لجنة التعريف بالإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

6716 / S19

نفحات الرحمن

تأليف

الأستاذ: عبد المغني المنشاوي

الكتاب الخامس والعسرون

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

يشرف على إصدارها:

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

باسمك اللهم نستفتح ، وبيمنك نستهدى ، ومنك نستملى ، وبك نستعين ، سبحانك اللهم ، بيدك مقاليد القلوب ، وخفيات الصدور ، ومفاتيح الألسنة ، ومن كنوز علمك ، نستوهب نوابغ الكلم ، وبوالغ الحكم .

أنزلت يانور السموات والأرض ، خاتم كتبك ، على خاتم رسلك ، عليه موصول صلواتك ، فياله من نور قرآنى ، أنزله الوحى الالهى ، على النور المحمدى ، فتعانق النوران ، كالشمس وضحاها ، وأخذا يشقان طريقهما على ظهر هذه الأرض المعتمة ، يكشفان دجاها ، وينشران هداها ، حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا .

ان دين الله الذى نزل به كتاب الله ، وأوسعته افصاحا وايضاحا سنة رسول الله ، يهدف أول ما يهدف الى بناء صرح التوحيد ، وتكليف العباد ألوانا شتى من العبادات ، يدعمون بها مكارم الأخلاق ، ويسيرون على هديها فى النهج القويم ، والصراط المستقيم ؛ فتتحقق لهم بها سعادتا الدنيا والآخرة .

وان من أمارات توفيق الله سبحانه ، أن قلد أمورنا جماعة صالحة مكافحة ، أجمعت أمرها على توفير عناصر الخير ، ووقفت جهودها على رفع شأن الدين والوطن ، وعلى رأس هذه الجماعة الصالحة المنافحة ، زعيم العروبة غير منازع ولا مدافع ، الرئيس جمال عبد الناصر .

فياله من عصر ذهبى ناصرى تظلنا مفاخره ومآثره ، وترتفع فيه لتعاليم الاسلام منابره ومناوره ، أعاد على أعيننا أطياف الاسلام فى فجر الرسالة ، فدعم للشورى حكمها ، ونشر للاشتراكية اسمها وجسمها ، بعد اذ طهر البلاد من عدوها وخصمها ، فى ثورة عارمة رائدة بيضاء ، لم تشب بياضها قطرة واحدة من الدماء ، كما وفر للمواطنين الكفاية والعدل ، وقضى فى حزم ورفق على كل أسباب المحاباة والظلم .

هذا ، ولأن هدف الاسلام أن تنتظم المسلمين جميعهم أمة واحدة ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وتتضافر جهودهم فى سبيل احقاق الحق ونصرته ، وازهاق الباطل وشبعته ، رأيت أن أسهم بمجهود متواضع مع المسهمين فى هذا الميدان ، باخراج هذا الكتاب .

وبحسبى فيه أنه جهد المقل ، وأنه محاولة لله وفى الله مخلصة ، من عبد مخلص منهوك مضعوف ، والله وحده أسأل أن يحقق لهذا الكتاب رسالته الهادفة ، وأن يدنى من يد كل مسلم ثمرته المرجوة ، كما أرجو أن يشاطرنى كل أخ مسلم دعوانى بتوفير أسباب العزة لجماهير المسلمين ، بعد اذ كتبها الله على نفسه ولرسوله وللمؤمنين .

الصــــلاة

أيها الاخوة المؤمنون :

خلوت الى نفسى فى غبطة الفائز المنتصر ، ونشوة المجدود المسعود ، أذكر لها وتذكر لى ما كتب الله لى ولها من توفيق ، فى حوار رقيق كريم ، كان بينى وبين صديق قديم ، وطفقت أحمد اليه الله سبحانه ، أن ودعته زاريا (١) على المصيف والصائفين ، متسخطا العرى والعريانين ، ينقم منهم المجانة ، ويبكى فيهـم الكرامة ، وكيف لا أحمـد اليه الله ، بمـا هدانى واياه ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وكأنما أخذت هذه الذكرى السعيدة من نفس صاحبى ، ما أخذت من نفسى ، وكأنما ناجت كلتا النفسين صاحبتها بظهر الغيب ، فكان صـاحبى بين يدى يقرأ على السلام فى اعتناقة شيقة متطاولة ، يزرى معناها النبيل بكل ما فى السلام من معان ، وتتعطل لدى لغتها الصامتة الناطقة لغة الكلام ، ولما أن أطفأ بطول اعتناقه ، حـرارة اشتياقه ، قال : لا أكذبك يا صاحبى ، فقد كنت لك بالأمس القريب صديق عين (٢) أما اليوم فأنى لك الصـديق الحـق ، يبيعك النفس ، ويبيحك القلب ، ويحفظك بظهـر الغيب ، منتجعا هديك ، وستكون مفزعى ما التاث على الأمر (٣) ، فهل أنت رادى مزودا بخير زادين ، زاد ودادك وزاد ارشادك ، فقلت لك ذلك ، ولكن أعنى عليه ياصاحبى بخلوص نيتك ، وجميل صبرك ، وحسن تأتيك ، ثم سألته فى ابتسامة : ما خطبك اليوم ؟

---

(١) عائبا .
(٢) مادمت ترانى
(٣) اختلط .

فقال الصلاة ، قلت مالها ، فقال أستفهمك عنها ، أمورا أنت لها ، قلت هات ، فلقد والله كدت أحزر لغة قلبك ، قبل أن أسمع لغة لسانك ، حتى لكأن أذنى فى صدرك فقال :

يزعمها الزاعمون نافلة (١) لا خطــر ولا أثر ويقــولون ، ان هى الا حركات ساذجة تؤدى ، وكلمات غافلة تلاك ، والعين يقظى والقلب سهوان ، أو ما ترى المصلى يصلى وجه (٢) النهار ثم يسرق أو يقتل آخره ، فمــاذا أجدت عليه صلاة يعانيها قائما قاعدا ، راكعا ساجدا .

فقلت : وهل يرى الصــديق ذلك رأيا ؟ فأجــاب : سل الله لى ولك العافية ، فانها لعمرك أعراض البيئة الوبيئة : خيرها شر ، وايمانها كفر ، ولست بكاتمك أنى غادرتها اذ غادرتها مريض العقيــدة ، متهم الدخلة ، ســقيم الوجدان ، وما حججت بيتك الا مستطبا لدائى ، فلا تبخل على صديقك بناجع الدواء . فقلت دونك ياصديق دواء عجبا ، يشرب بالأسماع ، فيذهب بما فى الصدور من آلام وأوجاع ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم « ألم . ذلك الــكتاب لاريب فيه هــدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » . صدق الله العظيم .

وهل يسعنى أو يسع أى أحد أن يداويك بغير هــذا الدواء السماوى الخالد ، الذى يقول فيه واصفه « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين » .

فالصلاة ياصديقى ملاك الدين ، كما أن القلب ملاك الجسد ،افترضها على الناس ، من خلق الناس وركز فيهم هذه الطباع الجامحة ، والغــرائز المتوثبة ، حتى تكون لجماحها عقلا وعقالا ، ولعيبها ونقصها حسنا وكمالا . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » فمن جحد أن الصلاة شرع الله فقد جحد بشرع الله ، ولا يجحد شرع الله الا القوم الكافرون ، فقال لى

(١) زائدة .
(٢) أول النهار .

صاحبى أنشدك (١) الله أن توسعنى ايضاحا واقناعا ، حتى أوسعك شكراً واستماعا ، فقلت أناتك وصبرك ، لاحمدك وشكرك ، اعلم أيها الصديق أن الصلاة حق الصلاة ، مادعمت أركانها ، وأقيم بنيانها ، حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها التى شرعت من أجلها « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ، ولا يزداد من الله الا بعدا ، وهل التجنى الظالم والظلم الصارخ ، الا أن نأخذ الصلاة بذنوب المقصرين فيها ، فنظلمها بهم ظلمين ، أما أولهما فغمط حقها ، وأماثانيهما فالصاق جرائرهم بها ، وهى لو علمت براء من هؤلاء المزورين فى صلاتهم . فان صلاتهم التى هى أشبه الأشياء بحركات القردة ، أو نقر الديكة ،ليست من الصلاة الحق ولا قلامة ظفر .

واعتبر (٢) ذلك بما تحدث به فى هذا المعنى رسول الله عليه صلوات الله « أشر الناس سرقة الذى يسرق صلاته ، فقالوا : يارسول الله ، وكيف يسرق صلاته ؟ قال : لايتم ركوعها ولا سجودها » .

وبقوله لرجل صلى أمامه فلم يحسن صلاته « ارجع فصل فانك لم تصل » قالها الرسول ثلاثا وصلاها الرجل ثلاثا وهو فى ثلاثتها لم يعترف له بصلاة ، حتى علمه الرسول أن الصلاة ليست حركات وكلاما ، بل خشوعا واطمئنانا ، وما خطر صلاة يقف فيها المصلى بين يدى ربه ، وهو جميع الجسم ، شتيت الفؤاد ، فقد يظل فى صلاته متشوفا الى موعد صديق اتعدا عليه ، أو حالما بمنصب تتلهف نفسه اليه ، أو لاهيا فى بطل هذه الحياة بطلب زاده ، عن زاد معاده ، فلا جرم ، كان هذا وأمثاله من جماعة الساهين اللاهين ، أحرياء أن تطوى صلاتهم كما يطوى الثوب الخلق ، ثم ترمى بها وجوههم يوم القيامة « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » .

قال صديقى : أو ليس من حق الصداقة عليك وقد حذرتها صلاة الغافلين ، أن تلم معها بمحاريب بعض الخاشعين من المصلين . لتشهد كيف

(١) أسألك بالله .
(٢) قس ذلك

بستاز الطيب على الخبيث ، ويمناز الغث من السمين ، فقلت : قال عز من قائل : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » ثم اختتم نعوت هؤلاء المفلحين بقوله : « والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون .

ألا فليعلم صديقى أن أخبار الخاشعين فى صلواتهم كثيرة مستيفضة ، وما لى يد أن أستوعبها حفظا ، أو أستظهرها لفظا .

قالت عائشة عليها الرضوان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الخاشعين يحدثنا ونحدثه ، حتى اذا حضرت الصلاة، كان كأن لم يعرفنا ولم نعرفه ، اشتغالا بعظمة ربه ؛ عز شأنه وتعالى جده (١) وكان على بن الحسين اذا توضأ امتقع لونه ؛ فيقول له أهله ، ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟ وكان مسلم بن يسار اذا أراد الصلاة قال لأهله تحدثوا فانى لست معكم ، وانقضت ناحية من جامع البصرة يوما وهو يصلى فيه ، فاجتمع الناس لذلك وهو لا يشعر بما كان ، حتى انصرف من الصلاة . وسئل حاتم الأصم عن صلاته فقال : اذا حانت أسبغت الوضوء وأتيت المصلى فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم الى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى ، والجنة عن يمينى والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، وأظنها آخر صلاة ، فأتمها بين الخوف والرجاء فى أتم خشوع ، ثم لا أدرى بعد ، أمقبولة منى أم مردودة على . وسئل بعض الصالحين عن صلاته فقال :

الصلاة من الآخرة ، فاذا دخلت فيها خرجت من الدنيا ، وان تعجب ياصاحبى لخشوع هؤلاء الخاشعين ، فعجب أن تعرف أن أحدهم تآكلت (٢) يده بعد اذ آكلتها الأكلة (٣) فسأله بعض من له بصر بالطب ، أن يمكنه من قطعها ، لأن فى قطعها صلة حياته ، فتأبى ذلك عليه ولم يمكنه منه ، فقيل له انه فى صلاته لايحس ما يصيبه ، فقطعها ذلك المتطبب والمصلى فى شغل بصلة ربه — عن قطع يده — فقال صديقى : كفى فقد أسمعتنى من أمر

(١) عظمته .
(٢) تساقطت أجزاء .
(٣) داء يأكل العظم .

هؤلاء الصالحين عجبا . لكن نبئني ، هل أتاك نبأ جماعة المفتونين بأساليب الغرب وحضارته ؟ يقولون : ان شرعت الصلاة أداة تهذيب للأوشاب من الدهماء (١) فما أغنى النبلاء عنها وأشباه النبــلاء ، والمؤمن مؤمن ما كف الأذى ، وأحسن المعاملة ، ولا أكتمك ياصاحبي أنهم يتندرون بالصلاة ،أنها من عاديات القرون الأولى ، كما يتلهون ويتفرجون برؤية المصلين ، واذا مروا بهم يتغامزون ويتهاتفون (٢) أفأنت تاركهم فى طغيــانهم يعمهون ، فقلت لا والذى مد لهم فى أسباب النعيم فطغوا ، وشرع لهم من الدين ما وصى به رسله فلهوا ، لقد زين لهم الشيطان أعمالهم ، فراحـوا يزكون أنفســهم والله أعلم بمن اتقى ، ان الكمال ياهؤلاء لله وحده ، والعصمة للمرسلين بعده ، أما أنتم ومن لف لفكم ، فبحسبنا دليلا على نقصكم ادعاؤكم الكمال ؛ وكأين من غر مدخول (٣) مثلكم ، تخيل ما تخيــل ثم خال ، فلئن صح أن أحدا من عباد الله أحوج الى الصلاة من أحد ، انكم معشر التياهين المدلين أحوج الناس الى صلاة تستـوعب أنفه كبريائــكم جدعا ، وتوسع رأس خيلائكم قطعا ، وتطهر نفوسكم من أرجاس ذنوب أنتم عنها عمون ، وما أجدركم ان كنتم كما زعمتم حنفاء لله ، أن تلتقطوا الحكمة الغالية من قــول رسول الله « مثل الصــلوات الخمس كمثــل نهر عذب غمر بيــاب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات ، فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لاشيء قال عليه الصلوات : ان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن » وهبوكم أقل الناس ذنوبا ، وأصلحهم قلوبا ، فمــا لكم تضنون على قلوبكم بما يحصن عليكم سلامتها ، كما يفعل السليم المعافى ، وهــو السليم المعافى ، يعمد الى شتى ألوان العقاقير ، يحقن بهــا جسمه ، تقية أن يفجأه داء عضال ، أو يسترقه مرض قتال .

قال صديقى : لك الله أيها الصديق ، فلقد والله حاججــت فحججت ، وخاصمت فخصمت ، وحززت فأصبت المحز ، ولم تخطىء المفصل ، وكأنى بهؤلاء القاعدين عن الصلاة ، قاموا بعد اذ سمعوا منك ما سمعوا ، يسبغون

(١) الأوباش من العامه .
(٢) يتضاحكون فى سخريه .
(٣) ناقص العقل .

وضوءهم ، ثم يقفون بين يدى الله ، متهيئين لاقامة الصلاة ، قلت ياحبذا لو صحت الأحلام ، اذن والله ليجدن الصلاة قصيدة عصماء عامرة الأبيات ، متينة الأسباب ، راسخة الأوتاد ، قد خفت على النفس أوزانها ، وعذبت فى القلب ألحانها ، فيالها من قصيدة عجب مطلعها التكبير ومقطعها التسليم ولكن لا عجب ، فقد قدرت السماء أوزانها وانتظمت لآلئها ومرجانها ، وأوقعت أنغامها وألحانها . ثم علمتها الانسان ليقوم بانشادها : فى آناءمعلومة. بنغمات شاجية منغومة ، تفتح عليه بابا من السماء فيظل عارجا فيه ، ليهرب بنفسه ساعة من أكلاف العيش ، وحرور هذه الحياة ، مستذريا (١) بظل الله ، هنالك فى حظيرة القدس الأقدس . تقوم هذه النفس المطمئنة ، الراضية المرضية ، بين يدى ربها ، تستقدره الخير ، وتستصرفه المكاره ، مرتلة آى الحمد والشكران ، مجددة عهود الاسلام والاذعان . ثم تنكفىء راجعة تستأنف ما كتب لها من العيش على ظهر هذه البسطة . وهى أصفى جوهرا وأهدى سبيلا .

ولعل صديقى بعد الذى سمع ، أن يفطن الى قوله صلوات الله عليه كلما آن أين الصلاة ، أرحنى يا بلال أى أذن بالصلاة لتريحنى بها . ولا بدع فقد جعلت قرة عينه فى الصلاة ، وكان اذا حز به (٢) أمر فزع الى الصلاة ، فما أفزعه (٣) شىء كالصلاة ، كما يفطن الى قوله سبحانه « واستعينوا بالصبر والصلاة » وقوله : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » فهى واجبة على المحارب كالمسالم ، واجبة على المسافر كالمقيم ، واجبة على المريض كالسليم ؛ ألا ان شرع الله يحل قتل تارك الصلاة ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

قال صاحبى وهو يحاورنى ؛ الحمد لله الذى عفى بيقينك على شكى . ورم بيدك الصناع الرقيقة ما أراد أن ينقض من بناء عقيدتى . غير أنى سائلك ، أترى صلاة الجماعة لزاما للخاصة . وهى جامعة أو شاب المسلمين من الفقراء والمساكين ؟ فقلت : يغفر الله لك ، وهل شرعت الصلاة الا من أجل

---

(١) مستظلا .
(٢) اشتد عليه .
(٣) أعانه وازال فزعه .

هذا الذى تود أن تأخذها به ، ألا ان فى وقوف الشريف ، بجانب الضعيف هذا فى طيلسانه الفاخر ، وذلك فى حلته الخلق ، لدرسا حكيما ، يعلم الناس أن حقيقة الانسانية واحدة . وان اختلفت العناوين ، ويملى عليهم أنه كلما زاد المصلى لله اتضاعا ، زاده الله ارتفاعا ، فيتخرج المسلم من هذا الدرس هينا لينا ، أليفا مألوفا ، يدين بدين الحب لأخيه ، والايثار علـى النفس لعنميه (١) .

من أجل هذه المقاصد النبيلة ، فضل الشارع الحكيم صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، فلا تعجب أن كان السلف يعزون أنفسهم سبعا ان فاتتهم الصلاة فى جماعة ، قال صاحبى : لقـد والله حببتها الى ، ولأكونن ان شاء الله الحريص على شهودها ، ما واتتنى الفرصـة ، وأرى الحزم ألا أدع اهتبال هذه الفرصة الطائرة ، حتى أسألك بعيش أبيك ألا تألو المأخـوذين بذنوب هؤلاء الشباب الأغرار تسميعا وتشنيعا ، بعد اذ كبرت عليهم الصلاة « وانها لكبيرة الا على الذين هدى الله » فقلت انى أحمد لصديقى هذه الغيرة الصادقة ، وانى أرسله كما أرسلته وكما سوف أرسله ان شاء الله صوتا جهيرا يسمع من لم يسمع ، ان مناهج التعليم تعوزها العناية بأمور الدين فى ناحيتيه العلمية والعملية ، فهل يتلافى القائمون على شئون هذا البلد المسكين قبل الفوات ؟

وتبعة الآباء ياصديقى أشد وأنكى ، فقد غفلوا أو تغافلوا عن حكمة الحديث الشريف « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر » وهـل ينزع (٢) الولد الا أباه ؟ ويقتاس الفـرع الا بأصـله ؟ لكن الذى يضحك ويبكى فى آن ، أن آباء هذا الزمان يقفون من أبنائهم موقف المضـعوف المستكين ، يرافعونهم ويخافضونهم ، ويداورونهم ولا يجرءون أن ينصحوا لهم ، فاسأل الله معى صلاح الآباء ، يصلح بصلاحهم الأبناء ، فأمن صاحبى ثم قال : لعلك تقاسمنى العجب اذ تعرف أن حافزى الى محاورتك اليوم فى أمر الصلاة ، رؤيا لو طال عرض فصولها على لكتبت فى الغابرين . فقـد أخذتنى عينى أمس ، فرأيت فيما يرى النائم أن قد نفخ فى الصور . فصعق

(١) لسائليه .
(٢) يشبه .

من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ، لكنها حارت فى عينى بعد خطفة خاطفة مظلمة دكناء ، وما لبثت أن بصرت بجمهرة مشرقة معارفهم : وضاء وجوههم ، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، فساءلت نفسى فى خـزاية الخجل ، واضـطرابة الوجل . بلغة لا يستقيم لها حرف ، ولا يستبين منها جرس (١) ، من ياترى يكون هؤلاء الصباح الملاح ؟ فما راعنى الا صوت جهدت أن أستبين مصدره فما استبان. سك بروعته السمع وأسال الدمع وهو يقول : ياتارك الصلاة مالك ولهؤلاء ، انهم لهم المصلون ، فقلت الويل لى ، وما بال تارك الصلاة ؟ فأجاب الصوت نفسه : ملعون ؛ وجاره ان رضى به ملعون ، أو لم يحدثك النبى يأيها الشقى. ان أول ما يحاسب به العبد الصـلاة ، فان قبلت كان من الناجـين ، وان ردت هلك فى الهالـكين ، هنالك لم أتمـالك أن صحت صيحة المستصرخ المستيئس ، رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيمـا تركت ، فصحوت من هول ما رأيت وطفقت أتحسس أعضائى لأتحقق أحيا عدت أم ما أزال فى الغابرين ، ولما تبينت أنها بحمد الله رؤيا ، شكرت لله أن أرخى لى فى حبل الأجل ، حتى أعاهده ألا أدع مـكتوبة الا أقمتها ، كأحسن ما كلفنى أن أقيمها ؛ أو لست جديرا بعد هذا الفزع الأكبر ، أن أتلقى منك ياصديقى خالص التهنئة بسلامة العود ، وبعد : فما أريد أن أشق عليك .

فقلت له ، هنيئا لك هذه التوبة التى أخزيت بها الشيطان ، وأرضيت بها الرحمن ، وهيأت للملائكة فى سمائهم فرصة محببة اليهم ، يتبادلون فيها التهانى باسـتغفارك لذنبك ، واصـطلاحك على ربك ، ولقـد يضاعف فى مسرتك أن تعلم أن فرحتك بتوبك ، ليست أشد من فرحة الله بجميل أوبتك كما أرجو أن تعلم يا صديقى أنك ما أثقلت ولا أبرمت ، فان هذا مقام يعذب فيه الكلام . ومجال لا يمل فيه المقال وان طال ، ولقد يكون من الخير لى ولك أن تعرف أن الصلاة معناها الدعاء ، وأن الدعاء مخ العبـادة ، فكتاب الله يقول : وقال ربكم ادعونى أستجب لكم : فلكى تتهيأ للعبد فرص الدعاء

(١) صوت

فى الصلاة وخارج الصــلاة ، كان لزاما عليه أن يلم ببعض الدعوات المأثورة يرطب بذكرها لسانه ، ويوقظ قلبه ، ويطهر نفســـه ، حتى يكون شغله بالله داخل الصلاة وخارج الصلاة ، ولذكر الله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله.

ان خير ورد أيهــا الأخ المؤمن يعقد الصــلة الوثيقة بين قلبك ونور السماء ، أن تأخذ نفسك بقراءة ورد قرآنى يشرح صدرك وييسر أمرك ، ويبارك عملك ، ويحقق أملك ، ويبقى كنز القرآن فى صــدرك محفوظا ، ليكون لك فى القيامة شفيعا ، فرسول الله عليه صلوات الله يقول : تعاهدوا القرآن . فوالذى نفسى بيده ، لهو أشد تفصيا (١) من الابل فى عقلها (٢) ويقول : من سره أن يكلم الله فليقرأ قرآنه .

ويقول لأبى ذر : ياأبا ذر انى أحبك ، قل عقب كل صلاة ، ســبحان الله ؛ والحمد لله ، والله أكبر ، ثلاثا وثلاثين :

ويقول : كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم :

واحرص أيها الأخ المؤمن بعد هذا الورد القرآنى أن تتقرب الى الله بالصلاة على رسول الله ، فانها شيخ من لا شيخ له ، وهذا كتاب الله يقــول : ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما :

وهناك صيغ للصلوات على رسول الله تستطيع أيها القارىء الكريم أن تختار منها ماتشاء ، فكلها تبلغك من درجات حب الله وحب رسوله الى ماتشاء ، واليك بعض صيغ من هذه الصلوات المختارة .

١ — اللهم صل على سيدنا محمد عدد مافى علم الله ، صــلاة دائمة بدوام ملك الله .

٢ — اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميــع الأهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من السيئات ، وترفعنا بها أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات ، فى الحياة وبعد الممات .

---

(١) تخلصا .
(٢) جمع عقال .

الزكاة

تعريفها : هى لغة التطهير والنماء ، ففى الكتاب الكريم : قد أفلح من زكاها ، أى طهرها من الأدناس . ويقال : زكا الزرع اذا نما وزاد ، وشرعا . هى حق واجب فى مال خاص لطائفة معينة فى وقت مخصوص .

حكمها : الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمس ، وفرض عين على كل من توفرت فيه شروطها ، وقد فرضت فى السنة الثانية من الهجرة ، أما دليل فرضيتها ، فالكتاب والسنة والاجماع .

قال تعالى : وآتوا الزكاة . وقال سبحانه : وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . وقال رسول الله عليه صلوات الله : بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة . وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . وقد اتفقت الأمة على فرضيتها حتى صارت معلومة من الدين بالضرورة .

فالزكاة هى الركن الثالث من أركان الاسلام الخمس ، وبركنها مع الأربعة الأركان ، يتم بنيان الاسلام ، ولقد كرر كتاب الله ذكر الزكاة بعد الصلاة التى هى عماد الدين ، فقال المولى عز من قائل : وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وهذا أمر صريح كريم قد أمرت به السماء ، فلا مفر من تنفيذه ولا التواء ، كما شدد كتاب الله الوعيد على المقصرين فى أداء الزكاة بقوله : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج حق الزكاة .

قال الأحنف بن قيس : كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال : بشر الكافرين وما نعى الزكاة بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم ، وبكى فى

أقفائهم يخرج من جباههم ، وفى مثل هذا العذاب المعد لما نعى الزكاة يقول المصطفى عليه صلوات الله :

من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ، مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع(١) يأخذ بلهزمتيه : يعنى شدقيه ، يقول أنا مالك ، آنا كنزك : ثم يتلو قول المولى سبحانه : والذين يكنزون الذهب والفضة : الى آخر الآية الكريمة .

قال أبو ذر : انتهيت الى رسول الله عليه صلوات الله ، وهو جالس فى ظل الكعبة ، فلما رآنى قال : هم الأخسرون ورب الكعبة ، فقلت من هم ؟ قال : الأكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا ، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وقليل ماهم ، ما من صـــاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها ، الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه ، تنطحـه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها ، كلما نفدت آخراها ، عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس .

وتجب الزكاة فى مال كل من الصبى والمجنون وعلى الولى اخراجها منه ، ويرى فقهاء الحنفية أن الزكاة لا تجب فى مال صبى ولا مجنون .

شروط وجوبها :

من هذه الشروط الاسلام . فلا تجب على كافر أو مرتد،وكماأنالاسلام شرط لوجوب الزكاة فهو شرط لصحتها أيضا ، لأن الزكاة لا تصح الا بالنية والنية لا تصح من الكافر — ومنشروط وجوب الزكاة الملك التام ، وهو أن يكون الشخص صاحب التصرف فيما ملك — ومنها حولان الحول القمرى على ملك النصاب ، ومنها أن يبلغ المال المملوك نصابا . والنصاب هومانصبه الشارع علامة على وجوب الزكاة ، ويختلف النصاب باختلاف المال المزكى ، وسيأتى بيانه ، ومنها الحرية فلا تجب على الرقيق ، ومنها فراغ المـــال من الدين ، فمن كان عليه دين يستغرق النصـــاب أو ينقصـــه فلا تجب عليه الزكاة .

الأنواع التى تجب فيها الزكاة :

الزكاة واجبة فى خمسة أشياء :

---

(١) ثعبانا ضخما ساما

الأول — النعم : وهى الابل والبقـر والغنم ، ويراد بالبقر ما يشمل الجاموس . وبالغنم ما يشمل المعز ، ولا زكاة فى الخيل والبغال والحمير الا اذا كانت للتجارة ، ففيها زكاة التجارة الآتى بيانها .

الثانى : الذهب والفضة ولو غير مضروبين .

الثالث : عروض التجارة .

الرابع : المعدن والركاز .

الخامس : الزروع والثمار ، ولا زكاة فيما عدا هذه الأنواع الخمسة .

زكاة النعم : تجب الزكاة فى النعم بشرط أن تكون سائمة ، وهى التى يرسلها صاحبها لترعى فى البرارى فى أكثر السنة لقصد الدر أو النسل أو السمن الذى يراد به تقويتها لا ذبحها ، وان أسـامها للتجـارة ففيها زكاة التجارة .

وأول نصاب الابل خمس فاذا بلغتها ففيها شاة من الضـأن أو المعز ، وهكذا فى كل خمس شاة الى عشرين ففيها أربع شياه ، وهكذا فى نظام ليس هنا مكان تفصيله .

وأول نصاب البقر ثلاثون فاذا بلغتها ففيها تبيع ، والتبيع ما أوفى سنة ودخل فى الثانية .

وأول نصاب الغنم أربعون وفيها شاة من الضـأن أو المعز ، وتفصيل ذلك فى كتب الفقه فليرجع اليها من شاء .

زكاة الذهب والفضة : تجب الزكاة فيهما اذا بلغا النصاب — ونصاب الذهب عشرون مثقالا ويساوى بالعـملة المصرية أحد عشر جنيهـا مصريا ونصفا وربعا وثمنا وقيمة ذلك بالقروش المصرية ١١٨٧ر٥ قرش ، ويجب أن يخرج مالك النصاب من الذهب ربع العشر زكاة له ، ونصاب الفضـة مائتا درهم وتساوى بالقروش المصرية خمسمائة وتسعة وعشرين قرشـا وثلثين ، فمن ملك نصابا منها وجب عليه اخراج ربع العشر زكاة له ، ولا فرق بين أن يكون الذهب والفضة مضروبين أو غير مضروبين .

زكاة عروض التجارة : عروض التجارة جمع عرض (بسكون الراء) وهو ما ليس بنقد (ذهب أو فضة) وتجب فيها الزكاة (ربع العشر) .

زكاة المعدن والركاز : المعدن والركاز معناهما واحد عند الحنفية ، وهو شرعا ما يستخرج من مكان خلقه الله تعالى فيه ، وهو خاص هنا بالذهب والفضة ، فلا يجب شيء فيما يستخرج من المعادن الأخرى كالحديد والنحاس والرصاص ، أما ما يستخرج من الذهب والفضة فيجب فيه ربع العشر .

زكاة الزروع والثمار :

ثبتت فرضيتها بعد ما تقدم من الدليل العام ، بدليل خاص من الكتاب والسنة ، فالمولى سبحانه يقول : وآتوا حقه يوم حصاده . ورسول الله عليه صلوات الله يقول : ما سقت السماء ففيه العشر ، وما سقى غرب (دلو) أو دالية (دولاب) ففيه نصف العشر ، وهذا الحديث الشريف قد بين ماأجملته الآية الكريمة .

مصرف الزكاة : تصرف الزكاة للأصناف الثمانية المذكورة فى قوله سبحانه : انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم .

صدقة الفطر : واجبة على كل حر مسلم قادر ، أمرنا بها رسول الله عليه صلوات الله ، فى السنة التى فرض فيها رمضان قبل الزكاة ، وقد خطب رسول الله عليه الصلوات قبل الفطر بيوم أو يومين فقال : أدوا صاعا من بر أو قمح أو صاعا من تمر أو شعير عن كل حر أو عبد ، صغير أو كبير .

فهى واجبة على كل حر مسلم قادر على قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته ، يخرجها عن نفسه وولده الصغير الفقير وخادمه وولده الكبير اذا كان مجنونا ، كما يجب عليه اخراجها عن زوجته فى بعض المذاهب ، ومقدارها عن كل فرد قدحان وثلث قدح بالكيل المصرى ومصرفها مصرف الزكاة العامة .

وقد سبق توضيحه فى الآية الكريمة : انما الصدقات للفقراء .. الى آخر الآية الكريمة ، ووقت وجوبها منطلوع فجرعيدالفطر، ويصح أداؤها

مقدما ومؤخرا ، لأن وقت أدائها العمر الا أنهـا تستحب قبل الخروج الى المصلى فى صلاة العيـد لقول رسول الله عليه صـلوات الله : أغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم .

بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة :

عالج أسرار هذا الموضوع الشائق حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فى كتابه : احياء علوم الدين ، ويتقاضانا واجب الحرص على أن يفيد القـارىء الكريم ما أفدنا من هذا العلاج الحكيم عرض نقـاطه البارزة فى وضوح وايجاز .

يقول الغزالى عليه الرحمة والرضوان :

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف :

الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها ، ولم جعلت من مبانى الاسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان ، وفيه ثلاث معان :

الأول : ان التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيـد وشـهادة بافراد المعبود سبحانه ، وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد لفرد ، فان المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وانما يمتحن المحب لمعرفة درجة حبه ، بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا ، وبسببها يأنسون بهذا العالم . وينفرون من الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب ، واستنزلوا عن المـال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ؛ ولهـذا قال المولى سبحانه : ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . وذلك بالجهاد وهو جود بالمهجة شوقا الى لقاء واهب المهج والأرواح سـبحانه ، والجود بالمال أهون ، ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس ثلاثة أقسام ؛ قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم ، حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم ، فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ، ولهذا تصـدق

أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشطر ماله ، فقال له رسول الله عليه صلوات الله ما أبقيت لأهلك ؟ فقال مثله ، وقال لأبي بكر عليه الرضوان : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : الله ورسوله : فقال لهما رسول الله عليه صلوات الله : بينكما ما بين كلمتيكما : فالصديق وفى بتمام الصدق ، فلم يمسك سوى المحبوب عنده ، وهو الله ورسوله .

والقسم الثانى درجتهم دون درجة هؤلاء ، وهم الممسكون أموالهم ، المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم ، وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر ، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة ، بل يتجاوزونه الى سد حاجات ذوى الحاجات ببذل الصدقات بعد أداء حقوق الزكاة .

القسم الثالث : الذين يقتصرون على أداء الواجب ، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه ، وهى أقل المراتب ، وقد اقتصر جميع العوام عليه ، لبخلهم بالمال وميلهم اليه ، وضعف حبهم للاخرة ، وفى هذا يقول المولى سبحانه : انما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم : جميعا بل يكتفى بالزكاة المفروضة فيها : ان يسألكموها فيحفكم أى يبالغ فى طلبها حتى يستأصلها ، تبخلوا ويخرج أضغانكم : أحقادكم وبغضكم لدين الاسلام : ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، مافرض عليكم من زكاة ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى : عنكم وعن نفقتكم : وأنتم الفقراء : اليه : وان تتولوا عن طاعته . ستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم : فى التولى عن طاعته .

المعنى الثانى : التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات .

قال رسول الله عليه صلوات الله : ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه .

وقال تعالى : ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . فالزكاة بهذا المعنى تطهير لنفس صاحبها من خبث البخل المهلك ، وانما تقدر طهارته بقدر بذله وفرحه باخراج ماله ، واستبشاره بانفاقه فى سبيل طاعة الله والتماس رضاه .

المعنى الثالث : شكر النعمة ، فان لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله ، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال ، وما أخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأرهقته الحاجة ، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال ، واحواج غيره اليه ، بربع العشر أو العشر من ماله ، ناسيا أو متناسيا الحكمة الغالية القائلة : ان من أجل نعم الله عليك ، استغناءك عن النـاس وكثرة حاجات الناس اليك .

الوظيفة الثانية : وقت الأداء — فان من آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة فى الامتثال بالاسراع فى ايصال السرور الى قلوب الفقراء ، فما أسرع تقلب القلوب ، وان كان قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن ، وما أقوى حبـائل الشيطان ووسـاوس الشيطان : الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم .

والمراد بالفحشاء البخل فى الآية الكريمة .

الوظيفة الثالثة : الاسرار — فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة ، وقد روى عن صاحب الرسالة الكبرى عليه الصلوات ، أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر .

وفى الحديث المشهور : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله . ومن بين هؤلاء السبعة : رجل تصدق بصدقة فأخفاها ، فلم تعلم شماله ما أعطت يمينه .

وفى الخبر : صدقة السر تطفىء غضب الرب : والمولى سبحانه يقول : وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . وفائدة الاخفـاء الخلاص من آفات الرياء .

الوظيفة الرابعة : ان يظهر حيث يعلم أن فى اظهـاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ، وكتاب الله تعالى يقول : ان تبدوا الصدقات فنعما هى : وقد يكون الاظهار لأن السائل انما سأل على ملأ من النـاس ، فلا ينبغى للمسئول أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الاظهار .

الوظيفة الخامسة : ألا يفسد صدقته بالمن والأذى فكتاب الله يقول : يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . ورسول الله عليه صلوات الله يقول : لا يقبل الله صدقة منان : واختلفوا فى حقيقة المن والأذى ، فقيل : المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها . وقيل : المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر .

ويرى الغزالى أن أصل المن أن يرى المتصدق نفسه محسنا بصدقته الى الفقير ومنعما عليه ، وحقه أن يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله عز وجل منه ، فهو سبب طهارته ونجاته من النار ، ولو لم يقبله منه لبقى مرتهنا به ، فحقه أن يشكر فضل الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض حق الله منه ؛ ورسول الله عليه صلوات الله يقول : ان الصدقة لتقع فى يد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل : ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة أمام الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين ، كما كان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه ، وتكون يد الفقير هى العليا .

الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فانه ان استعظمها أعجب بها ، والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال ، قال تعالى : ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين : والطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل ، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل .

الوظيفة السابعة : أن يختار من ماله أجوده وأحبه اليه ، وأجله وأطيبه ، فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، فاذا لم يخرج من جيد المال وصم بسوء الأدب ، اذ يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو أهله ، فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ، ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره ، هذا ان كان نظره الى الله عز وجل ، وان كان نظره الى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله الا ما تصدق به فأبقى ، أو أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، ولقد أخطأ الجادة وكان عدو نفسه من قصر النظر على العاجلة ، واطرح وراء ظهره الادخار للآخرة ، وهذا كتاب الله يقول : يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما

أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه : أي لا تأخذونه الا مع كراهية وحياء ، وحاشا أن تكونوا ممن قال فيهم كتاب الله : ويجعلون لله ما يكرهون .

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ، تقيا أو عالما أو مخفيا لحاجته لا يكثر البث والشكوى ، ممن وصفهم كتاب الله بقوله : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا :

أي لا يلحون في السؤال ، فثواب صرف المعروف اليهم أضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال .

هذا أيها القارىء الكريم بعض ما أفدنا من كتاب احياء علوم الدين ؛ جزى الله حجة الاسلام : الغزالى ، خير ما يجزى به عالم عامل عن جماهير المؤمنين .

ولعل هذه الشرائط التى أفاض الغزالى فى ايضاحها لتؤدى الزكوات على خير وجوهها ، تجرى مجرى الخشوع من الصلوات ، وفى هذا الخشوع وما يتبعه من تدبر فى الصلاة . يقول المصطفى عليه الصلوات : ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها .

صدقة التطوع :

من أعمال البر التى رغب فيها دين الله ، واستنهض لها عزائم المسلمين رسول الله ، وفيها يقول الرسول الكريم عليه الصلوات : تصدقوا ولو بتمرة . فانها تسد من حاجة الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار : ويقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة .

ويقول المصطفى عليه السلام : ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب — ولا يقبل الله الا طيبا — الا كان الله آخذها بيمينه ، فيربيها كما يربى أحدكم فصيله ، حتى تبلغ التمرة مثل « أحد » .

وقال عليه الصلوات لأبى الدرداء : اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف .

وقال : كل امرىء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس : يعنى يوم القيامة .

وقال : الصدقة تسد سبعين بابا من الشر .

وسئل عليه الصلوات : أى الصدقة أفضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تأمل البقاء وتخشى الفاقة ، ولاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم ، قلت لفلان كذا ولفلان كذا . وقال : ردوا مذمة السائل ، ولو بمثل رأس الطائر من الطعام .

وقال : لو صدق السائل ما أفلح من رده ، وقال : ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف ، اقرءوا ان شئتم : لا يسألون الناس الحافا ، يعنى الحاحا ، وقال : ما من مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة : ذلكم بأن الزكاة والصدقة ما شرعتا الا لتكونا خير علاج لمرض « الطبقية » الذى كان أساس نظام مجتمع ما قبل الاسلام ، فبالزكاة والصدقات وما قام عليه بناء الدين من أركان الاسلام ذابت الفوارق المادية والمعنوية بين الناس ، وسبحان من شرع للناس ما فيه الخير لجميع الناس .

هذا وقد كان نبينا عليه الصلوات ، لا يكل خصلتين الى غيره ، كان يضع طهوره « الماء الذى يتطهر به » بالليل ويخمره « يغطيه » ، وكان يناول المسكين بيده الشريفة عليه صلوات الله .

قال عمر بن عبد العزيز عليه الرضوان : الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه .

ومن أروع ما قال الشعبى : من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه .

وقد روى الرواة أن الحسن بن على عليهما الرضوان مر به نخاس ومعه جارية وضيئة الخد فارعة القد ، فقال للنخاس ، أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال لا . قال الحسن فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة .

اشتراكية الزكاة :

ان أديان السماء المتعاقبة تهدف أول ما تهدف الى تحقيق أمرين خطيرين جليلين :

أولهما : هدم الشرك واستئصال دواعيه ، واقامة صرح للتوحيد لا تهتز رواسيه ، وغزو قلوب المؤمنين بنور الايمان بالله الواحد الأحد ، وحب الله الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وهذا هو معنى الايمان ، ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وثانيهما : انتفاع المؤمنين بجنى ثمرات هذا الايمان ، التى لا يقوم على حراستها ونضجها الا أركان الاسلام ، من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وهذا هو معنى الاسلام .

فالايمان بغير الاسلام شجرة خاصمتها الثمرات ، والاسلام بدون الايمان بنيان مزور خداع واهى الأساس ، ولا يكمل دين العبد الا اذا تحقق جانباه ، ايمان راسخ بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واسلام وانقياد ينفذ أوامر الايمان بصلاة وزكاة وحج وصيام .

واذا كان من أبرز أهداف الصلاة والحج والصيام اقامة العدالة والمساواة بين الناس بتحقيق « الديمقراطية » فان من أبرز أهداف الزكاة العمل على توزيع الثروات على الفقراء بتحقيق « الاشتراكية » .

وان من آيات توفيق الله لهذا البلد الأمين أن ولى أزمة أموره أعلاما ممتازين من أبنائه البررة الصالحين ، نشئوا على التقوى ، وعلموا منذ نعومة الأظفار أن حب الأوطان من أبرز علامات الايمان ، اقتدى هؤلاء الضباط الأحرار وعلى رأسهم زعيمهم جمال حرية بلادهم بأرواحهم ، وخلعوا عليها رداء شبابهم، فاستعرت بصدق عزائمهم نار ثورة رائدة وطنية عارمة كان وقودها عتاد المستعمرين ، وعبث الحكام المفسدين المستبدين ، ونعمت مصر فى ظل عهدهم السعيد وبعون الله القوى القاهر بما لم تكن تحلم به حتى فى المنام ، من حياة أفضل ، وعيش أمثل ، وحرية وسعت جميع معانى الحريات ، وعدالة اجتماعية ، فاقت جميع العدالات ، ونظام اشتراكى عجب سوى بين جميع الطبقات ، حقق بيده العادلة نعمة الملكية للمعدمين ، فأصبحوا سادة الأرض بعد اذ كانوا عبيدها وأجراءها ، وهيأ للصناع فى مصانعهم أن يسهموا فيها

بالحظ الوفير ، حتى كأنهم أربابها وأصحابها ، فهل شرع الشارع الحكيم فريضة الزكاة لأكثر وأوفر مما حققه هذا العهد الناصرى والعصر الذهبى ، من نظام اشتراكى ، يؤيده تكافؤ فى الفرص مع عدالة اجتماعية ، ونهضة ثورية ، تتجه الى الله ضارعين أن يحقق بها جميع الآمال ، على يدى زعيم الثورة المباركة : جمال : رائد العروبة ، وحامى حوزة الاسلام .

ويرحم الرحمن شوقى اذ يخاطب رسول الله فى همزيته النبوية الخالدة فيقول :

الاشــــتراكيون أنت امامهــم — لولا دعاوى القوم والغلواء (١)
داويت متئــدا [٢] وداووا طفرة [٣] — وأخف من بعض الدواء الــداء
الحرب فى حق لديك شريعة — ومن السموم الناقعــات [٤] دواء
والبر عنــدك ذمة [٥] وفريضــة — لا منــة ممنــونة [٦] وجبــاء
جاءت فوحدت الزكاة سـبيله [٧] — حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى — فالــكل فى حق الحياة سواء
فلو أن انســانا تخير مــلة — ما اختــار الا دينك الفقــراء

هذا ولنعلم يا جماهير المؤمنين ان لم نكن نعلم ، أن المال عصب الحياة ، وأس نظام التعامل فى هذه الدنيا ، به تقضى الحوائج ، وتنال الرغائب ، لهذا كان حبيبا الى نفوس الناس ، منذ خلق الله فى الدنيا هذا الناس ، يتبارون فى ادخاره ، ويتفانون فى الحصول على درهمه وديناره ، وما فتن الانسان بحب شىء فى هذه الفانية ، فتنته بحب المال والولد ، فكأنهما له فى موضع الروح من الجسد : زين للناس حب الشهوات من النســاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة (٨) والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب .

---

(١) الغلو .
(٢) متأنيا .
(٣) وثبة .
(٤) القاتلات .
(٥) عهد .
(٦) عطية متبوعة بالمن .
(٧) سبيل البر والاحسان .
(٨) المعلمة .

لا يغرنك من المـــر ء قميص رقعـــه
أو ازار فوق عظم الســـاق مـــه رفعـــه
أو ثرى فى وجهـــه من ســـجود وضـعه
أره الدرهم تعـرف حبـــه أو ورعـــه

ولقد تظاهرت الديانات على أن تحارب فى الانسان غرائز الشر جميعها . ولعله أن يكون شر ما فى هذه الغرائز شحا مطاعا ، يحبس المال فى خزائنه ؛ لا ينتفع به صاحبه ، ولا ينفع أى أحد من الناس ، فلو حرص كل انسان أن يستجيب الى نداء هذا الشح من نفسه ، لتوقفت دواليب الأعمال ، ولفوتت على الناس فى هذه الدنيا جميع الآمال .

لهذا أوسع كتاب الله البخل والبخلاء ذما وتقريعا : « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وانتم الفقراء
كما أوسع كتاب الله الكرم والكرماء تحية وتكريما : وســـارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضـها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء » أى فى الشدة والرخاء .

ان المال يا جماهير المؤمنين ، عرض زائل ، وحال حائل ، فأما اذ لا بد من زواله ، فليكن ذلكم فى سبيل تحقيق أسمى الغايات ، وبناء المكرمات ، أسعدوا به المكروب ، وأطعموا المحروب (١) ورفهوا عن المحتاجين من أقارب وأباعد ، فالقريب من تقرب لا من تنسب (٢) ، على أن جميع الناس فى الحق أقرباء ، فكلهم أبناء لآدم وحواء ، ولا تضنوا بنفائس مالـكم على رفعة وطنكم ، فالوطن للجميع وأبو الجميع ، وما أحرانا جميعا أن تتمثل بقول الشاعر الأريحى الجواد :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لـكن يمر عليهـا وهو منطلق

وأن نصغى فنحسن الاصغاء الى قول الشاعر الحكيم :

انى وجـدت فلا تظنـوا غيره ان التورع عنـد هـذا الدرهم
فاذا قـدرت عليـه ثم تركتـه فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

(١) المحروم .
(٢) أثبت قرابته بالنسب .

وما ترك الدرهم : أيها الاخوة المؤمنون بعد القدرة عليه ، الا بانفاقه في أحد وجوه البر التى بينها كتاب الله : انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم .

ألا انمـــا مالى الذى أنا منفــق
وليس لى المـــال الذى أنـــا تاركه

هذا وليكن دستورنا فى صنع المعروف قول رسول الله عليه صلوات الله اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله ؛ فان صادف أهله فهو أهله ؛ وان لم يصادف أهله فأنت أهله .

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز عليه الرحمات ، وهو يجود بنفسه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، صنعت صنيعا لم يصنعه أحـــد قبلك ، تركت ولدك ، ليس لهم درهم ولا دينار ، وكان له ثلاثة عشر ولدا ، فقال عمر : أقعدونى ، فأقعدوه ، فقـــال أما قولك ، لم أدع لهم دينارا ولا درهما ، فانى لم أمنعهم حقا لهم ، ولم أعطهم حقا لغيرهم ، وانما ولدى أحد رجلين ، اما مطيع لله ، فالله كافيه ، والله يتولى الصالحين ، واما عاص لله ، فلا أبالى ما يكون فيه .

هذا وقد روى الرواة أن محمد بن كعب القرظى ، أصاب مالا كثيرا ، ففال له بعض خاصته ، لو ادخرته لولدك من بعدك ، قال : لا ، ولكنى أدخره لنفسي عند ربى ، وأدخر ربى لولدى .

كما رووا أن رجلا قال لأبى عبد ربه وكان ذا مال : يا أخى لا تذهب بشر ، وتترك أولادك بخير ، فما أسرع ما أخرج أبو عبد ربه عند هذه اللفتة الأخوية السماوية من ماله مائة ألف درهم .

ولعلنا يا جماهير المؤمنين أن تستحيل جوارحنا قلوبا وآذانا لنستمع الى يحيى بن معاذ عليه الرحمات يقول : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته ، فسأله سائل وما هما ؟ فقال : يؤخذ منه ماله كله ، ويسأل عنه كله .

وها نحن أولاء يأيها المواطنون الصالحون — بعد اذ استجبنا الى نداء هذا الروح الوطني المتوثب ، والوعى القومى المتفجر ، بعون من الله وتوفيق ، تنعم عيوننا بمشاهدة نهضة للوطن متوثبة ، تتطلب منا أن نحوطها بالعزيزين الغاليين ، الروح والمال ، فلنخلع فى سبيل حياطة هذه النهضة المباركة ، رذيلة الأثرة ، ولنتحل بفضيلة الايثار ، فاليوم يظلنا بعون الله عصر اقبال لا يعرف الادبار ، ولا تسلمنا يد الله فيه من انتصار الا الى انتصار .

شـفيت يا مصـر بسـحر عجيب وكف ديـن الله نعـم الطبيب
فاسـتفتحى الدنيـا به واقرئى نصـر من الله وفتح قـريب

ولأمر ما كان محمد بن عبد الله النبى الأمى خاتم الأنبياء ، بعثه مولاه للانس والجن بأكمل دين صنعته السماء ، يشهد له بذلك كتاب الله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » .. دين الانسانية الكاملة ، والرحمة الشاملة « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . دين المدنية والحضارة ، بما قعد من قواعد ، دين العزة والكرامة ، بما اشترع من مبادىء ، فليس وراء هذا الدين الكريم دين يصلح كما يصلح لكل زمان ومكان ، ويتمشى مع أساليب الحضارات حتى يتفرق الفرقدان ، ولا عجب ، فانه دين جل الله صانعه « وما محمد الا رسول » ، « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى » ، « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، الا الى الله تصير الأمور » .

أما بعد .. يأيها الأخوة المؤمنون ، فلنستدم جميعا نصر الله ونعم الله ، بدوام النهوض بواجب شكر الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

الصوم

لقينى صديق عزيز على النفس ، قريب الى القلب ، أحبه ويحبنى لله وفى الله ، وأعرف فيه حرصه الحريص على التزام طاعة الله ، وشغفه الشديد بمعرفة ما احتوته ألوان العبادات من أسرار وحكم بالغة ، أودعها اياها الشارع الحكيم ، لتكون هديا للعابدين ، وموعظة للمتقين .

لقينى هذا الصديق الكريم ، بعد اذ سلخنا من عمر رمضان الكريم ، يوما ونصف يوم وعلى معارفه اشراقة الصلاح ، وفوق ثغره ابتسامة الارتياح ، فابتدرنى بعد السلام ، مهنئا بشهر الصيام ، ثم قال : ما كان أحلاها يا صديقى ، بل ما كان أمرها ساعة انتظار لبثناها فى ساح المحكمة الشرعية العليا ، تنتظر فى لهفة المحب المهجور شهادة الأشهاد فى رؤية هلال رمضان ، ولقد والله كنت الحريص فى الليلة التالية لمولد هذا الهلال المبارك السعيد ، أن تتملأ العين منه بالفاتنين ، نوره ونونه ، ولا والله لا أكذبك اذ أخبرك ، أن قد لمحت فى نون هذا الهلال المضيئة الوضيئة ، الحرف الأول من نور الله ، وما هو الا عمر ليال حتى أرى وترى معى ، أن قد تمت كلمة ربك الحسنى على أبناء الحنيفية ، بما صبروا وبما صاموا ، فلا يفتئون يسبحون لله ، ويستديمون أنعم الله ، لكنى سائلك يا صاحبى ، ما موقع الصيام من بين سائر أركان الاسلام ؟

قلت ، بحسبك أن تسمع رسول الله عليه صلوات الله يقول : الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الايمان : وفى رواية : الايمان الصبر : لتعلم أن الصوم ربع الايمان بل نصف الايمان ، وأن تصغى الى صوت الله سبحانه فى حديثه القدسى : كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لى وأنا أجزى به » :

قال صديقي يا عجبا ، كيف وأعمال البر كلها له ، فأياما يأتي العبد من عبادة فهي له سبحانه وهو الذي يجزى بها ، فلم اختص سبحانه الصوم بهذه النسبة القدسية ، التي ظهر بها على سائر ألوان العبادات .

قلت يا صديقي : ذلك أن الصوم من دون سائر العبادات عمل سلبي روحه الاخلاص فهو سر بين العبد وربه ، وهل الصوم الا نية في القلب ؛ وامساك عن حركة المطعوم والمشروب وعن ملابسة النكر من قول وفعل ؛ فالله سبحانه يتولى جزاء الصائم مضاعفا على ما أحب ، لا على كتاب كتب له ، ولعلك بعد اذ عرفت ذلك ، أيها الصديق الحميم ، أن تفطن الى معنى قول الرسول الكريم عليه الصلوات : ليس في الصوم رياء ، والذى نفسى بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك : وقوله : ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع .

وقوله لعائشة عليها الرضوان : داومى قرع باب الجنة ، قالت بماذا يا رسول الله ؟ قال بالجوع : ويرحم الرحمن سفيان بن عيينة اذ يقول : الصوم هو الصبر ، وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

قال صديقي : انى عارض على عينيك صورا شتى ذات ألوان عجب ، للصوم والصائمين في هذا الزمان العجب ، وسائلك الادلاء بحكم الشارع الحكيم فيها ، قلت ، هات ، فقد شاقتنى والله ألوان تصويرك البارع ، وأفانين نقدك اللاذع الرادع ، أسأل الله أن يلطف بنا ويهدينا سواء الصراط . فقال :

أعرف في فلان جارنا حرصا حريصا على الاستمساك بشرائط الصوم الظاهرة ، حتى ليكاد لتأثمه (١) يسد مدارج أنفاسه ، تقية أن يتغفله الهواء الذي يتنفسه فيدس له في جوفه ما يفسد عليه صيامه ، ولكنى أعرف فيه الى هذا التحرج المضحك فكها بأعراض الأبرياء (٢) نهاشا للحوم الغافلين ، لا يترفع به صيامه عن الكلمة اللاغية ، ولا يكف عينه عن النظرة المريبة العادية ، ولطالما شهدته يشهد الزور بائعا دينه بلقيمات أو دريهمات ، فهل يرضى الله ورسوله يا صديقي هذا الصوم الزائف ؟ قلت لا ، والذى جاء في حديثه

(١) خشية الوقوع في الاثم .
(٢) يلتذ باغتيابهم .

الشريف : من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه : والذى روى الرواة عنه : انما الصوم جنة : أى سترة : فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث (١) ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل : انى صائم ، انى صائم : صدق رسول الله عليه صلوات الله ، فما زجر سفيه بمثل الاعراض ، من أجل ذلك كانت فتيا بعض الأئمة الأعلام ، بافطار من لابس الغيبة والكذب وما اليهما فى رمضان ؛ ولو أنك تأملت يا صديقى قول المولى سبحانه على لسان مريم عليها السلام « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » لتبينت أن الصوم فى معنى الصمت حقيقة لا تجوز فيه ، وعرفت معى أن الصوم شطران ، صمت عن المحارم ، وكف عن المشارب والمطاعم ، وربما كان شطره الأول أجدى شطريه على الانسانية ، حتى قال بعض من علم : كم من صائم مفطر ، وكم من مفطرصائم : قال صديقى لعل هذا الحكم الحكيم أن ينتظم جمهرة الحمقى من الصائمين ، ظنوا الصوم قد آتاهم سببا أن يجهلوا أو يجهل عليهم فأتبعوا سببا ، فاذا تغير وجه أحدهم غيظا قالوا صائم ، واذا ارتد غليظ القلب فظا قالوا صائم ، واذا لطم خد ولده أو زوجه أو خادمه فأطار عينيه ، أو طاحت حركاته النزقة المجنونة بما بين يديه ، قالوا ، لا عليه ، لا عليه ، فانه صائم ، شاه اذن وجه الصيام . أو اضحى سبب اشتجار واختصام ، لا رسول محبة ووئام وسلام .

قلت رويدك يا صديقى ، ولا تأخذ الصيام المظلوم بجرم الصائمين الظالمين ، فلعلك أن تذكر أنى قدمت بين يديك ، أول ما تحدثت اليك ، أن الصوم نصف الصبر ، أو هو الصبر ، فاذا لم يجهد الصائم أن ينساح باله ويتسع صدره ، ويسمح خلقه ، وتطيب نفسه ، فليسعه بيته ، وليرح نفسه والناس ، من عناء صيام بات شرا عليه وعلى الناس ، لا خيرا له وللناس ، أما هؤلاء الصائمون الذين عموا عن معنى الصيام وهدف الصيام ، فقوضوا أركانه ، وشوهوا عنوانه ، فما أشبه شكرهم بالكفران ، وما أقرب طاعتهم من العصيان .

وأجدر بنا أيها الصديق الحريص على اكتناه أسرار دينه ، أن نلم المامة عابرة بما عرض له حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فى هذا المقام .

(١) يفحش

« اعلم أن الصوم ثلاث درجات ، صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص ، أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ، وأما صوم الخصوص ، فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ، وأما صوم خصوص الخصوص ، فصوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا اللون من الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ، وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين ، فان ذلك من زاد الآخرة ، وليس من الدنيـا ، حتى قال أرباب القلوب ، من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة ، فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل ، وقلة اليقين برزقه الموعود ، وهذه مرتبة الأنبياء والصديقين والمقربين .

وأعلم أيها الصديق الكريم ، أن صوم الخصوص لا يكفيه من الصائم كف الجوارح عن الآثام ، بل يتطلب منه ألا يستكثر من الطعام الحـــلال وقت الافطار : لكيلا يمتلىء جوفه ، فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن مليء من حلال ، وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند نطره ما فاته ضحوة نهاره ، وربما زاد عليه في ألوان الطعام ، ولقـد شاعت عادة ادخار ألوان ممتـازة من الأطعمة احتفاء بشهر رمضان ، فيأكل الصائمون فيه أضعاف ما يأكلون في غيره ، وكلنا يعلم أن هدف الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على كسر شهواتها ، واخماد نزواتها .

قال صديقى صدقت ، ان الرأى ما رأيت ، والحق ما أحققت ، فلكم أساء الى الاسلام جهال المسلمين .

مررت أمسية أمس بأهل بيت يشتجرون ويصطرعون ، فى حشد من الأقربين وسامر من المتفرجين ، فأونيت الخطا لأستطلع طلع الخبر ، فاذا الجمع يتناءب عن رجل يصيح فى ثورة الصاخب ، هى طالق ثلاثا فما لى بها بعد اليوم حاجة ، قلت رويدك يأيهذا المطلاق ، فان أبغض الحـــلال الى الله الطلاق ، قال — الا فى هذه الحال ، فانه أحب الحلال — دع عنك لومى

اذا أنصفت ولم المليم ، (١) فقد كنت امرأ وسعنى الغنى ووسعته ، أتحفل لرمضان كلما طالعنا هلال رمضان ، فلا آلو أهل بيتى اتحافا بالنقل جوزه ولوزه ، وبألوان من الطعام مشتبهات وغير مشتبهات ، ولكنى فى هذا العام عاجز أن أتحفى بالنزيل الكريم فقد قعدت بى الحال ، وأمسيت ثقيل الظهر كثير العيال ، ولقد كان أنكى مارمتنى به يد الدهر العسراء ، زوجا حمقاء تكلفنى الأكلاف ، وأنا اليوم معدم لا يملك حتى الكفاف ، فهل يرضى ذلك يا صاحبى رمضان ورب رمضان ؟ قلت لا أيها الصاحب المظلوم ، وويل للصيام من هؤلاء الصائمين الغافلين عن حكمة الصيام .

شرع الشارع الصيام شهرا فى كل عام ، ليحبس الجسد عن شهواته ، ويخفف عن الروح أسر اسارها المادى البغيض ، واذ ذاك تفرصها الفرصة ، أن تتزود من عالمها الأقدس نورا يكون لها خير دليل ، فى سفرها الى الآخرة ذلك السفر الشاق الطويل ، فتقوى على التقوى ، ولا تودع شهر الصوم الا وهى أطهر وأنضر ، وأصبر وأشكر ، فيهتف صاحبها متمثلا .

أهنت الهـــوى حتى تجنبنى الهـــوى
كما اجتنبت الجـانى الـدم الطـالب الدما

لكن صائم هذا الزمان ، لا يدع صومه ينتشله من بوائق الشهوات وشرورها ، بل يغرق فى موائد رمضان ومقاصف رمضان ، الى الآذان وما فوق الآذان ، فليس يتحامى أكلة الا ليظفر بأكلات ، ولا يفرغ بطنه نهارا الا ليتخمه ليلا بألوان شتى من المطعومات والمشروبات ، وقد لا يزايل رمضان الا متوفا (٢) ممعودا أو مكبودا أو مفئودا (٣) ، وما كان أجدره أن يفطن الى قول رسول الله عليه صلوات الله « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » : وقوله عليه الصلوات « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض ، فرددتها وقلت : أجوع يوما وأشبع يوما ، أحمـدك اذا شبعت ، وأتضرع اليك اذا جعت » وأن يعرف أن العود انما صفا صوته لخلو جوفه .

---

(١) الذى يفعل ما يلام عليه .
(٢) مصابا بآفة .
(٣) مصابا فى معدته أو كبده او فؤاده .

قال صديقى : لقد أذكرتنى بما تحدثت عزوف جمهرة من المياسير عن الصيام ، متجنين عليه انه يعل الصحة ويضنى الأجسام ، فهلا حركت لسان الطب الحديث فى فيك ليسمعنا رأيه فى هذا الادعاء العريض ، والرأى المأفون المريض ؟ قلت استمع يا صاحبى . وانظر معى الى أى مدى كان شرع الله بالناس رءوفا رحيما ، أثبت الطب الحديث بتجاربه الحكيمة أن الصوم أنجع دواء للأدواء التى سأذكرها بعد اذا نزلت ، وخير وقاء منها قبل أن تنزل أما هذه الأدواء فهى :

١ — اضطراب الأمعاء المزمن .

٢ — زيادة الوزن الناشىء من كثرة الغذاء وقلة الحركة .

٣ — زيادة الضغط الذاتى .

٤ — البول السكرى .

٥ — التهاب المفاصل المزمن .

وهذه الأدواء تستشرى (١) ما استشرت أسباب الحضارة والترف . ولعل هذا هو السر فى أن الصوم فى الاسلام أثقل قيودا وأضيق حدودا منه فى سائر الأديان ، ذلك بأن الحنيفية وهى خاتم الشرائع السماوية ، قد علمت زمانا تعدو فيه الانسانية نحو الترف بخطوات فساح ، بل تكاد تطير اليه بغير جناح ، ولعلك أيها الصديق قد سمعت أن بعض الملوك وهم أترف الناس عيشا وأنعمهم حياة ، يأخذون أنفسهم بصوم يومين فى كل أسبوع ما امتد بهم حبل الحياة .

هذا ولعل عصبة الراغبين عن الصوم أن يرعوني أسماعهم لأفسر لهم أن بعض أنواع الحيوان ألهمته الغريزة أن يصوم فى كل عام اياما أو شهورا لا يعدوها ، استجماما للعافية ، واستبقاء للحياة ؛ فالسلحفاة تمسك عن الطعام والشراب ثلاثة أشهر كاملات فى كل عام ، وهذا الشاعر العربى يقول .

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

(١) تتفاقم وتنتشر

وهذه الصحف تقتص علينا قصة عجبا ، بطلها ضب معمر فى حديقة الحيوان بمدينة لندن ، يسمى (جورج) عمره اليوم نيف ومائة عام ، قد اعتاد أن يصوم أربعة أشهر فى كل عام ، يبتدئها بشهر ديسمبر ، ويختتمها بشهر مارس ، ويستسن الضب جورج فى صومه طريقة المسلمين ، فيحتمى الطعام والشراب الاحتماء كله ، ويناهز طول هذا الضب الجسيم أربعة أمتار ، بينا يعيش معه ضبان صغيران من فصيلته ، لا يتجاوز طول كليهما خمسة عشر سنتيمترا ، ولسوف يبلغان طوله على الأيام ، وان لم يكن ذلك بل أن تسلك فى سلك الزمن عقود وعقود من السنين . وأغلب الظن ألا ... أحد من أبناء هذا الجيل ، حتى يراهما فى حجم أبيهما جورج العظيم ، فكيف لا أدعوه عظيما وقد قام يلقى فى عجبته الفسيحة دروسا بالغة فى مزايا الصيام ، على الانسان قبل الحيوان .

أفبعد ذلك تصوموا أيها يا دعاة الافطار بكلام مسخول ، تلغون لعلكم ... تبون : وتزورونها معاذير كاذبة خاطئة تفرون بها من نجوة الصوم المجير . ... دعوة المتطير البير (١) : بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره : ولكنهن الناس مداران (٢) على قلوبكم بالافطار من خبائة ، وما حل بنفوسكم من غثاثة ، ومن أعوزته منكم الجرأة على الحق ، أفطر فى ... عن أعين الناس « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم » .

قال صديقى — فما أشبههم اذن بمجوسى اسمه مرزبان، أسلم ولما ... حل الايمان فى قلبه ، فأمضه رمضان طويل بياض النهار ، واذ أعياه الصوم ، ... ول خبزا واستتر فى بيته يأكله فرآه بعض أصحابه فقال من أنت ؟ قال أنا مرزبان ، آكل خبز نفسى من شؤمى فى خفية .

... أين مرزبان هذا يا صديقى ومن لف لفه ، من ذلك الحداد المتعنف ، وقف صائما يعمل أمام كوره (٣) فى يوم قائظ بعيد ما بين الطرفين يتفصد جبينه عرقا ، وقد ... يده ... لأصابع ، والواهنة

(١) الملك .
(٢) مغطى .
(٣) الموقد .

العصب ، فقيل له كيف تستطيع الصوم والعمل مضن والحر لافح ؟ فقال : من عرف قدر من يسأله ، هان عليه ما يبذله .

قال صديقى ، خبرنى بصومك ، هل يرجى الخير من صيام موسر صام دهره عن الجود ، فلم يفضل من عفو ماله على مسكين ، بل ظل جاثما على ماله ، جثوم الدجاجة المرخم على بيضها العقيم ، قلت وهل شرع الصوم حق الصوم ، الا لتستشعر النفس الصائمة ألم الجوع والظمأ ، فترفه من كربته الحاجة ، وتطعم من أضر به الجوع ، محتذية فى ذلك رسول الله عليه صلوات الله ، فقد كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضـــان يدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

قال صديقى : قد تلوت قول المولى ســبحانه : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » ، ثم قرأت فيما قرأت من أول السائحين بالصائمين ، فأى ملابسة بين السياحة والصوم ؟ .

قلت لقد روى الرواة عن أبى هريرة عليه الرضوان أن رسول الله عليه الصلوات ، سئل عن معنى السائحين ، فأجاب بالصائمين ، كما رووا عن عائشة عليها الرضوان : سياحة هذه الأمة الصيام : ذلك بان الصيام رياضة روحية ، يتكشف بها للصائم كثير من أحوال الملك والملكوت ، كما يتكشف للسائح فى سياحته كثير من أحوال البلدان النائية ، فلا يزال المرتاض بصومه ينوصل من مقام الى مقام ، ويتنقل فى دنيا المعارف من مدينة الى مدينة ، حتى تقع روحه على عنصر الخير ، وتظفر فى آخر مطافها بحقيقة النصر ، قال صديقى ، أو تعرف لليلة القدر فضلا غير بدء نزول القرآن فيها ؟ قلت — وهل تعدل بهذا الفضل يا صاحبى أى فضل ؟ من أجل ذلك كانت العبادة فيها خيرا من عبادة ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذ نربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر : والتماسها فى العشر الأواخر ، فقد كان رسول الله عليه صلوات الله اذا دخـــل العشر ، أحيا الليـــل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر ، وكان دعاؤه عليه الصلوات فى رمضان : اللهم سلمه لنا ، وتسلمه منـــا .

قال صديقي : وماذا ترى فيما تواضع عليه أغنياء المسلمين ، من احياء ليالي رمضان في بيوتهم بتلاوة آي الذكر الحكيم ، من قارىء صيت مطرب مجيد ؟

قلت — أما العادة فنعما هي ، ولكن هذه الجمهرة من الأغنياء ، مأخوذون باتخاذهم هذا القرآن مهجورا ، يتلهون عما يتلى في بيوتهم من آيات الله والحكمة ، بامعانهم في القصف واللهو مع من يتضيفونهم من الجيران والخلان ، فاذا أقبل أحدهم بأذنه على القارىء ، فللنبرة الموزونة ، والنغمة المنغومة ، من جواب وقرار ، وسيكا وحجاز كار ، فأما معاني القرآن ومبانيه ، فما هو منهما في قليل ولا كثير ، ولو أنه فطن لقول رسول الله عليه صلوات الله : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام — أي رب ، منعته الطعام والشهوة ، فشفعني فيه ، ويقول القرآن ، — منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه ، فيشفعان : اذن والله لاتتهزها فرصة سانحة ، وتقرب بها عبادة صالحة .

قال صديقي — أو لم تعرض كتب اللغة لسر تسمية شهر الصيام بشهر رمضان ؟ قلت : بلى ، لقد عرضت كتب اللغة لسر هذه التسمية ، وقالت ان رمضان يشارك الرمضاء في الاشتقاق — والرمضاء الحجارة البيض المحماة فسر تسمية رمضان بهذا الاسم أنه يحرق الذنوب ويعفي عليها .

قال صديقي — أو يأذن لي الصديق الكريم أن أنال شرف التحدث عن رمضان في كلمة موجزة أترجم بها خواطر نفسي ، وأشبع بها رغبات قلبي ، فان الواجب يتقاضاني أن أشاطرك يأيها الأخ المؤمن تحفيك بشهر الصوم فيما شرحت وأوضحت ، وفيما نهضت به من واجب الترحيب والتكريم لهذا الضيف العظيم .. فقلت لك يا صديقي ما تشاء فجزاك الله عني وعن رمضان خير الجزاء — قال الصديق :

سبحان من قسم الحظوظ ... فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو ... بصر وزرقاء اليمامه

وليست هذه الحظوظ بمقصورة على نوع الانسان ، بل لقد شاءت يد

واهب الحظوظ سبحانه ، أن تتجاوز بها الانسان الى الحيوان ، بل تفضتها على المكان والزمان ، ولا عجب فلسان الحكمة يقول :

هو الجد حتى تفضـل العـين أختهـا
وحتى يصـير اليـوم لليـوم سـيدا

فهذا رمضان المبارك يظلنا أوانه ، وتتشابه في اشراقاته وبركاته لياليه وأيامه ، وهل يستطيع أن يسامى رمضـان فى نفحاته وبركاته أي شهر ؟ ، وفيه ليلة واحدة هي ليلة القدر ، خير من ألف شهر ، ذلك بما اختارها الله مظهرا لاشعاعه السماوى ، ووحيه النورانى القرآنى ، الذى التقى فى قلب ... بنوره النبوى المحمدى ، نتضافر النورانى الكريمان أن يشعا كوكبى رحمة وهداية فى الأكوان ، يهتدى بهما ويسعد الانسان ، بل شاءت مشيئة الرحمن ، أن يسعد بهما كل شيء حتى الزمان والمكان ، وستظل رسالتهما المباركة تؤدى على عين الله ما بقى زمان وما بقى مكان .

هذا ولعلك يا صديقى ترى بعينى كما أرى بعينك ، أن الناس فى هذه الدار الزائلة أضياف بل أطياف ، لا تعدو ضـيافتهم أعواما معدودة ، تنتهى بآجال محدودة ، وهم عمر هذه الضيافة الخاطفة ، مكلفون مجاهدة النفس والهوى والشيطان يحاربونها بأسلحة سماوية أمدتهم بها عناية الرحمن ، من صلاة وزكاة وحج وصيام ، يحاربون بهـا الجهالة ، ويزيلون الضـلالة . ويدفعون الغفلة ، ويقتلون الشهوة ، حتى ينتظم قلوبهم حب الله ورسوله ، ... من أجلهما الأخلاق الفاضلة ، والاعمال الصالحة ، والنفحات العالية . والمثل العليا ، هنالك تتعالى أرواحهم بسلطانها الروحى على سلطان المادة ، ... نفسها لحياة أخرى ... بحياة الملائكة أشكل ، ومن ... الحياة الدنيا ... وأمثل ، وما ذلك بحياة تكتنفها جنات عرضها السموات والأرض ... عنصراها نعيم وخلود ، لا يعتورها ألم ولا يتهددها فناء ، وهيهات ... لروح احتواها حب المادة ... وأن تكون أهلا لمتعة النظر الى وجه ربها الكريم .

هذا ولأسلوب رمضان الحكيم أثره العظيم فى توجيه الصائم التوجيه السليم ، يسلم به جسمه وعقله وخلقه ، فالحكمة تقول : الصوم مصحة .

ولله در الحارث بن كلدة طبيب العرب اذ زعم أن الدواء هو الأزم — والازم ألا ندخل طعاما على طعام — فالداء كله من فضول الطعام ، فكيف لا نطمع في شيء يجب لنا صحة البدن وذكاء الذهن ، وسماحة الأخلاق ، وصلاح أمور الدين والدنيا .

فهذا يوسف الصديق عليه السلام يسأل ، لم تجوع وفي يديك خزائن الارض ؟ فيقول عليه الصلوات : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع ، وهذا لقمان الحكيم يقول لابنه : يا بني ، اذا امتلأت المعدة ، نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة — ولا عجب فالشهوات مهواة ، والطاعات منجاة .. ألا حيا الله الشاعر الحكيم اذ يقول :

أيها الصائم لا توسع عرى الصوم انفصاما
ليس معنى الصوم أن تحمى شرابا وطعاما
صومنا أن تتحامى كل ما كان حراما
صومنا المقبول أن ترعى حقوقا وذماما
يفطر الصائم لو عالج بالمغو كلاما
أو أطاع الاثم والآثم قد يلقى الأثاما (١)
انما الصوم غذاء أرواحنا عاما فعاما
بالصدى والجوع نلقى فيه بردا وسلاما (٢)
جنة عن لذة النار واحذر انه كان غراما
ونعيم الخلد نخطب تلق نعماه دواما
زهرة الدنيا نراها بعد ساعات حطاما
جنة الخلد أعلى عند مولانا مقاما
فأعد الزاد للأخرى صياما وقياما
فازمن حج وزكى فازمن صلى وصاما

(١) عقوبة الذنب
(٢) الصدى : العطش

الحج

ان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الاسلام ، وكمال الدين ، فيه أنزل المولى عز وجل قوله « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » وبه أمر ابراهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلوات أن يؤذن فى الناس : وآذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم : قال قتادة لما أمر الله عز وجل ابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج نادى — يأيها الناس ، ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوا ، وفى فريضه الحج يقول المصطفى عليه الصلوات : من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ويقول عليه الصلوات ماروى الشيطان فى يوم أصغر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة : وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام — اد يقال — ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة .

ولا يكون الحج مبرورا مقبولا الا اذا أداه الحاج تام الأركان متين البنيان ، ولا يتم له ذلك الا اذا هزم شيطانه وهواه ، ونصر ربه ومولاه . بأداء جميع مافترضه عليه فى خلوص نية وثبات يقين ، فان عبثت به يد التقصير فى شيء من ذلك ، فأمره وأمر حجه الى الله ، ان شاء قبله ، وان شاء رده ، وان كان الأمل فى عفو الله عظيما ، — قال علي بن موفق : حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت : اللهم انى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تتقبل حجه — قال — فرأيت فى النوم رب العزة جل جلاله ، فقال لى — يا على — تتسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء ، وأنا أجود الأجودين ، وأكرم الاكرمين ، وأحق بالجود والكرم من العالمين ، قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته . وسبحان من ليس لجوده سدود ولا حدود ــ تعالى جود الله عن ذلك علوا كبيرا .

لك الحمــد يا من عــدله أنصف الــورى
ورحمتـــه نالتهمـــو فلك الحمــــد

الله أكبر ولله الحمد ، وهل يخطر ببال مؤمن آمن بعظمة الله ، أن فى الوجود من هو أكبر من الله ، أو من يشابه فى عظمته الزائفة عظمة الله ، أو يجول بخاطر مسلم من يستحق الحمد ســواه ، وهل يستطيع عبد بغير اذن مولاه ، أن يتصرف حتى فيما ملكت يداه .

هــذه هى جموع حجــاج بيت الله فى عام قريب ، قد أزمعت السفر وكانت على وشك الرحيل ، فطالعها الخبر أن خطرا فى هذا السفر يحبسها عن تحقيق هذا الحلم الرائع والأمل المرجو ، هذا والمال فى أيديهم ، ودم العافية يتدفق فى عروقهم ، والسفن والطائرات العتيدة (١) تتحرق شــوقا أن تنال الشرف بحمل هذا الركب السعيد ، الى البيت العتيق وروضــــة الحبيب .

أوشك هذا الحلم الذهبى الرائع أن يفلت من أيدى هؤلاء المشوقين المخلصين ، لولا رحمة هبطت من السماء ، تكشف عن الحقــائق ، وتزيل العوائق ، وتنادى فيهم بصوت لا يسمعه الا المتقون — يا حجاج هــذا العام ، قوموا فحققوا روائع الأحلام ، بالسفر الى بيت الله الحرام ، فما أحرانا يا جمــاهير القارئين والســامعين من المسلمين ، أن نرســـلها مدوية فى صيحة رجل واحد وعلى قلــب رجــل واحد ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد — وما أجدركم يا أفراد هذا الركــب السعيد من حجاج بيت الله ، أن تذكروا أن لكم اخوانا فى الله ، يشوقهم ما شاقكم ، فاسألوا الله لهم فى مكان وزمان لا ترد فى قداستهما الدعوات ، أن يكتب لهــم ما كتب لكم ، وأن يتم عليهم النعمــة كما أتمها عليكم ، لتقر عين الدين بأداء هــذا الركن الركين .

سيروا حجاج بيت الله على بركة الله ، وتحت عين الله ، لتجــدوا فى مدرسة الحج الكبرى من شائق الدروس ما تقوى به تقــوى القلوب ،

(١) المهيأة المحضرة .

وتستقيم به نزعات النفوس ، دروس فى المساواة الحق بين الغنى والفقير ، والعظيم والحقير ، فالكل أمام محكمة الخالق الأكبر سواء ، والكل عبد قد عرى رأسه ، وحفيت قدماه ، وبدا أمام نفسه الذليل المضعوف ، لا غنى له عن عون ربه القوى ، فيا لها من دروس سماوية حكيمة فى المجالدة والصبر ، والتوجه بالحمد والشكر لمستوجب الحمد والشكر ، دروس عملية عالية تحقق معنى الاتحاد الحق بين جماهير المسلمين ، والتعاون الصدق المتبادل بين المؤمنين ، دروس فى معنى الجهاد بالمال والنفس والراحة فى سبيل الله ، بل فى معنى استدبار مفاتن الدنيا والنهوض بتكاليف الآخرة ابتغاء مرضاة الله .

انه والله لعدو نفسه من خلع الكريم عليه حلل العافية والغنى ، ثم بخل على نفسه بتلقى هذه الدروس الغوالى فى مدرسة الحج الكبرى .

خبرنى أيها الغنى القوى ، ما أنت وحج بيت الله ؟ وهذه الأشهر الحرم تنتظمها مواسمه ، وتلك أقطار الخليقة تنهد فيها معالمه ، كيف تتحامى السفر ؟ وقد خلع الله عليك الغالين ؛ الصحة والمال ، ويتحاماك ركوب الخطر ، والحاج اليوم يركب الامن دون أن يشد الرحال ، هل أتاك نبأ البواخر المصرية ، التى تمخر عباب البحر الأحمر ، كأنها بحر تغالب بحر ، أو جبل يناطح الصخر ، وهى مزهوة بالعلم الوطنى الرفاف بزين سربتها ، وبأنغام رتيبة يرسلها الحجيج بالتلبية والتكبير . اذا تلقى فى روع المسافر بما توفر له فيها من امن وراحة ، أنه ما فارق الوطن ، ولا عدا السكن .

بحسب الحاج اليوم أن يعتزم ويصمم (١) فما هو إلا زمن قصير حتى يرحب به يوم عرفة ، ويضمه الى صدره ليل المبيت بمزدلفة ، ثم يسلمه على عين الله ذلك المشعر الحرام ، الى البلد الحرام ، الى البيت الحرام ، ثم الى الأم الرءوم ، والوالد البر الرحيم ، وما هو الا أن يتشبث بالأستار ، ويصيح غفرانك يا غفار ، حتى يحرم المولى جسده على النار — لا ، لا — يأيهذا الترى المعافى ، لقد انقطعت بك أسباب المعاذير ، وعشت بك أيدى المقادير ،

---

(١) يعنى قصما اعترمه .

وتجللك وأنت القادر عار العجز والتقصير ، وكأنى بك لم تفطن الى قول المولى عز من قائل « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » فكيف لا ينخلع فؤادك جزعا ، ولا تطير نفسك شعاعا بعد اذ سوى قضاء الله بين المقصر فى حج بيته ، والكافر بنعم ربه — وهذا رسول الله عليه صلوات الله يقول : من مات ولم يحج حجة الاسلام ، لم يمنعه مرض حابس ، أو سلطان جائر ، أو حاجة ظاهـرة . فليمت على أية حالة شاء ، يهوديا أو نصرانيا ، وعمر عليه الرضوان يقول لقد هممت أن أبعث رجالا الى الأمصار ، فلينظروا كل من كان له جدة (١) فلم يحج فليضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين ، ما هم بمسلمين .

هذا هو عيد الاسلام يهتف بك أيها المسلم ، ان عيدك الأكبر ، يوم الحج الأكبر ، فبحسب حجيج بيت الله ، أن ينسلخوا من مفاتن الدنيـا أياما ، ينجردون فيهـا من حلاها وحللها ، وتعرض لهم الحيـاة الصـادقة مجردة عن كل عرض زائل ، وبهرج باطل ، فيتاح لهم أن يعيشوا لأرواحهم عمر ساعة ، كما عاشوا لأجسادهم عمر سنين ، ولقد كتب ربهم على نفسه ، أن يذهب منهم هذه الساعة ، بأوضار هذه السنين .

الله أكبر : اذ ينتظم أصواتهم لحن واحد ، يجـودون ايقاعه ، على أوتار قلوبهم لرب واحـد : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيـك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك : وحين يهتفون : الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، هنالك يرجف قلب الأرض ، وتصغى آذان السماء ويملأ أسماع الدنيا لحن صـــوت سماوى خالد : قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم .

يا عبادى ، قد استجبت لـكم بما استجبتم لى ، ووضعت عنـكم أوزاركم التى أنقضت (٢) ظهوركم بمـا عانيتم من أجـلى ، فعـودوا الى بلادكم كيوم ولدتكم أمهاتكم ، أطهارا أبرارا ، أخيارا ، والله الذى لا اله الا هو ؛ بمينا برة غير حانثة ولا فاجرة ، انها لمتعة ساعة ، يقل لها عمر الدنيا ثمنا —

(١) جدة : غنى .
(٢) أثقلت .

وما ظنكم بساعة تشرف بالحجيج على نعيم الجنــة حتى ليكادون يلمحون أطيافها ، ويلبسون أفوافها (١) ويحتسون ســلافها (٢) : والحازم الرابح من باع عاجلا يفنى بآجل يبقى « فما متــاع الحياة الدنيا فى الآخـرة الا قليل » .

أيها السيد الموسر الموهوب : حدثنى بدينك ، أى شرع بدع أملى عليك أن تحج فى البلد الأجنب كعبة اللهو فى كل عام ، وتضن على نفسك وعلى كعبة الله فى البلد الأقرب ، بما لا يعدو الساعات والأيام ، هذا والطريق أمن ، والسفر قاصد (٣) والفرصة مواتية ، فهل تعد العيد الأكبر ورب العيد الأكبر ، والبيت الأطهر ورب البيت الأطهر ، لئن امتــد بك حبل العمر الى قابل ، لتقــومن به حجا مقبــولا مبرورا ، ولتعالجنــه عمــلا صالحا منذورا مشكورا ؟

آه ، لو فطن المسلمون الى ما فى الحج من أسرار عجب ، اذا لولوا وجوههم شطر مدرسته الكبرى يوفضون (٤) ليلقنوا على معلمها الأكبر ، دروسا عالية فى الحرية والمســاواة والاخاء ، ومثلها فى مناصرة الأولياء ومصابرة الأعداء ، ولكان شأنهم اليوم غير شأنهم ، ولأقبلت عليهم أمــور دنياهم بإقبالهم على أمور دينهم ، وأكبر الظن أنهم لن يقعدوا بعد اليوم عن أداء فريضة الحج ، بعد اذ عرفوا فيه اتحاد القلوب ، وتفريج الكروب ، وحط الذنوب :

« الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » .

هذا ويستن للحاج أن يختم حجته المبرورة بزيارة نبوية مقبــولة ، للروضة الشريفة ، التى تضم جثمان الرسول الكريم عليه أفضــل الصلوات وأكرم التسليم ، ولا يفوتنا فى هذا المقام الكريم أن نوجه نظر الزائر الى التزام آداب الزيارة حتى لا تلتبس عليه الأمور وتتشابك الأوضاع فيأتى عند زيارته عملا لا يرضاه الله و لايقره رسول الله .

---

(١) أثوابها الرقيعة (٢) تشربون خمرها (٣) قريب (٤) يسرعون

يقول المولى سبحانه « يأيها الذين آمنوا اتقـوا الله وابتغوا اليـه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » .

أما تقوى الله يأيهـا القارىء الكريم ، فهى رأس الحكمـة ، ومهبط الرحمة ، ولا يتم للعبد معناها الا اذا استشعر قلبه لربه رهبة يتجنب معها المحارم ، ويتحامى بها المآثم ، ويستعيذ فيها برضا الله من سخطه ، وبمعافاته من معاقبته .

وأما الوسيلة فهى ما يتوسل العبد به ويتقرب الى الله سبحانه ، من فعل الطاعات وترك المنكرات وليس وراء هذين بعد العقيدة الراسخة ، رغبة لراغب ، ولا زيادة لمستزيد ، والله سبحانه يأمرنا — وقد تفرد بالعظمة والسلطان — ألا نفزع فى طلب حاجتنا الا الى ساحة فضـله ، طامعين فى خيره ، منصرفين عن غيره . حتى لا نكون كضعيف عاذ بضعيف ، أو غريق استنجد بغريق .

ولكن بدعة شاعت بين العامة وأنصاف المتعامين ، من الحق عليهـم أن يحاربوها فى أنفسهم ، قبل أن يحاربها فيهم غيرهم ، فانها وليدة الباطل ووحى الشيطان ، تزلزل العقيدة ، وتوهى الايمان ، تلك هى بدعة زيارة قبور الصالحين ، يحجون اليها ، ويعفرون وجوههم فى ترابها ، ولا يتحرجون أن يسألوا أصحـابها جبر الـكسير ، وتيسير العسير ، وتفريج الضيق ، وشفاء المريض ، ولا يفطنون وهم يقترفون ذلك ، أنهم عباد أصنام ، وطلاب أوهام ، وأن المؤمن حق المؤمن ، لا يتوجه بحاجة قلت أو جلت الا الى ساحة ربه .

فما أجدر هؤلاء الغافلين بعد اذ من الله عليهم بنعمـة الايمان ، أن يهربوا بعقيدتهم سليمة من هذا الشرك الخفى ، وأن يلزموا أنفسهم جانب الصراط السوى .

لك أيها المؤمن أن تزور القبور مسلما على أهلها ، واعظا نفسك بها ، داعيا لنفسك ولأصحابها ، وعليك أن تتلقى آداب زيارتها من سيد المؤدبين عليه صلاة الله وسلامه ، فقد كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا :

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . يرحم الله تعالى المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله تعالى لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم .

عليك أيها المؤمن الحريص على طاعة الله ، المستمسك بآداب رسول الله ، وصحابة رسول الله ، أن نقتدى بابن عمر عليهما الرضوان فقد كان يقول اذا دخل الروضة النبوية الشريفة زائرا بعد اذ نمد ر رسول الله وصاحباه : أبو بكر وعمر : — السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف ولا يزيد ع ذلك ، ولا يطلب شيئا من سيد المرسلين ولا من صاحبيه ووزيريه وهم جميعا أعز الخلق على الله ، وأدناهم من رحمة الله .

نعم لك أيها الأخ المؤمن أن تدعو الله بما تشاء فى هذا المقام الكريم . كما كان الصحابة يدعون ، مستقبلين القبلة عند الدعاء ، ولا يستقبلون القبر الشريف الا عند السلام .

كما أن لك أيها الأخ المؤمن ، أن تسال أخاك المؤمن الدعاء لك ، ولو كان المسئول أقل قدرا منك ، فقد يطلب الفاضل من المفضول ، كما قال رسول الله عليه صلوات الله لعمر عليه الرضوان لما استأذنه فى العمرة لا تنسنا يا أخى من دعائك : ولكن أمرا ذا بال يجب مع ذلك أن تفطن له . وتحتفل به ، ذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه ، قبل أن يرفعه دعاء صاحبه ، وأن أحد أصحاب رسول الله عليه صلوات الله سأله دعوة له ، فقال رسول الله له : أعنى عليها بكثرة السجود .

ولو كان الدعاء وحده آخذا بيد المدعو له ، لنفع دعاء ابراهيم أباه . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه ، ان ابراهيم لأواه حليم ، فليكن دستور المؤمنين بعد هذا البيان قول المولى سبحانه « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »

هذا وتشاء حكمة الله البالغة أن تختم أعمال الصوم بالعيد الأصغر ليكون ذلك عنوان فرحة الصائم بقبول صومه ؛ كما شاءت هذه الحكمة العالية أن تختتم أعمال الحج بالعيد الأكبر ، يتخذه الحاج شعار الفرحة بقبول حجه ، وواجب المعيدين صائمين أو حاجين أن يؤدوا رسالة الرحمة والانسانية كما شرعها لهم الدين . بالترفيه على الفقراء والأخذ بأيدي المحتاجين .

فلكيلا يكون العيد احتكارا بين الاغنياء ؛ بل شركة عادلة تسهم(١) للفقراء كان من البر بالانسانية أن يرد الغنى بعض ما أفاء (٢) الله عليه من (٣) ماله على هؤلاء المعوزين . وأن يمسح بيد الرحمة والبر على أطفالهم البائسين ، فان من نفس عن أخيه المسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، كما خبر الصادق الأمين .

ولقد درج بعض المياسير على أن يضحوا في عيد الأضحى ، ويختصوا بلحوم الأضاحي أنفسهم ، دون أن يكون للفقراء فيها نصيب ، والواجب الا يقل حظ الفقراء عن ثلث الأضحية ؛ ما لم تكن منذورة ، والا كانت وقفا على الفقراء وحدهم ، ليس للمضحى فيها نصيب ، وما أجدر المضحين ان يعلموا أنه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين .

هذا وليعلم جماهير المؤمنين ، انه ليس من الانسانية فى قليل ولا كثير ، أن يختص ابن بلد بالعيد دون أهل البلاد الواحد ، فانما الانسانية جميعها أسرة ، وانما المؤمنون اخوة ، فكثيرا ما تصيب نوائب الدهر وتحل بيوت الفقر ديار قوم ، فتستبد الحاجة بهم ، حتى يطووا على الطوى أحشاءهم ، ويوشك الجوع أن يهضم أمعاءهم ، فما أجدر بالمؤمنين ان ينظر الى أمثال هؤلاء المنكوبين ، يجبر كسيرهم ، ويمسح بيد الرحمة على رءوسهم ، ولو كان ذلك على حساب البطون الجائعة من الباذلين . استجابة لفضيلة الايثار ،

(١) تجعل لهم سهما .
(٢) رده عليه وأعطاه .
(٣) عفو المال : ما فضل عن الحاجة .

التى يقدم بها الباذل غيره على نفسه « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (١) ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

بهذا الطابع الكريم طبع الاسلام قلوب المسلمين ، فاسمعوا ابن عمر عليهما الرضوان يقول : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله عليه صلوات الله رأس شاة فقال : ان أخى فلانا وعياله أحوج الى هذا منا ، فبعث به اليه ، فلم يزل يبعث به واحد الى آخر ، حتى تداوله أهل سبعة أبيات ، حتى رجع الى الأول ،فنزل قوله سبحانه « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وفى هذا المعنى ما حكاه أبو زيد قال : سألنى شاب من أهل بلخ ، ما الزهد عندكم ؟ قلت اذا وجدنا أكلنا ، واذا فقدنا صبرنا ، فقال : هكذا عندنا كلاب بلخ ، بل اذا فقدنا صبرنا ، واذا وجدنا آثرنا .

وهانحن أولاء بعون الله تعالى ، نجرده قلما فتيا ، ونرسله صوتا نديا (٢) نرجو أن يهز أوتار القلوب ، ويبعث دفائن الجيوب ، حتى يفضل الغنى ما وسعته الطاقة على أخيه الفقير ، فخير الصدقة ما أغنى ، ولا يستقلن باذل ما بذل . فما على المحسنين من سبيل ، وكل مبذول وان قل أكثر من العدم ، فالقليل الى القليل كثير ، والذود (٣) الى الذود أبل ، والدرهم الى الدرهم دينار « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

هذا وليفطن القارىء الكريم أن أكثر أعمال الحج تعبد محض ، لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه كرمى الجمرات ، اذ لا حظ للجمرة فى وصول الحصى اليها ، وانما يهدف الشارع الحكيم فى هذا اللون من العبادة ان يبتلى العبد ليظهر رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه قد يساعده الطبع عليه ، ويدعوه اليه ، فلا يظهر فيه خلوص الرق والعبودية ، اذ العبودية تظهر بأن الحركة الصادرة من العبد انما

(١) فقر وحاجه .
(٢) بعيدا عاليا .
(٣) الذود : ثلاثه من الابل الى العشرة .

صدرت لحق أمر المعبود فحسب ، لا لمعنى آخر ، ولعله أن يكشف عن هذا المعنى قول رسول الله صلوات الله عليه في احرامه : لبيك بحجة حقا ، تعبدا ورقا : تنبيها الى أن ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر ، من غير استئناس العقل منه ، نسأل الله سبحانه أن نكون بخلوص نياتنا مقبولين ، وبعقولنا غير مفتونين

مسلم لله ثابا ... نال عزا وثوابا
صائم صلى وزكى ... وبحج البيت تابا
شاقه لله بيت ... فامنطى الشوق ركابا
شهد الكعبة قلب ... مسه الحب فذابا
ورأى الكعبة نورا ... فارتدى النور ثيابا
يا له نورا تصدى ... للظى النار حجابا
طاف سبعا ثم سبعا ... لم يزد الا ارتغابا (١)
قبل الركن يمينا ... عن يمين الله نابا
ورأى بالبيت آيا ... تفتح البيت كتابا
بالصفا يعطش والمر ... وة تسقيه شرابا
عرفات حط عنه ... كل ما شان وعابا
وابتغى الروضة يجنى ... كل ما لذ وطابا
تربها ينفح مسكا ... ودلو كان ترابا
أدعنا يا رسول الل ... ـه لله متابا
أذن الرحمن يا أعـ ... ـدل من قال صوابا
وتشفع يمح كل الذنـ ... ـب رأسا وذنابى (٢)
قد عشقنا دار خلد ... فليكن حبك بابا

(١) ارعابا : رغبة .
(٢) الدبابى : الذنب أى الديل .

كيف يعبد الله ؟

ايها الأخوة المؤمنون : انى أحمد لله تعالى أن أتاح لى فرصة التحدث معكم فى هذا الموضوع الخطير « كيف يعبد الله » فرب عبادة يلطم بها وجه صاحبها يوم القيامة ، لأنها جاءت منه بنت العادة والتقليد ، لا بنت الاعتقاد الراسخ ، والتفكير السليم ، ولأمر ما قال الرسول الكريم صلوات الله عليه : « فكر ساعة خير من عبادة سنة » ذلكم أن العبادة اذا جانبت الفكر الصائب ، والنظر الثاقب ، كانت أعمالا آلية تصدرها الجوارح وحدها ، دون أن يكون للعقل عليها اشراف ، أو للقلب سلطان ، أشبه ما تكون بأعمال حيوان أعجم معلم ، ككلب الصيدأو جواد الرهان .

فالفكر رأس العبادة وروحها ، ولئن فقدت العبادة روحها . انها الجسم لا حراك به ولا حياة فيه .

أيها الأخوة فى الله : قد حدثنا كتاب الله العزيز حديث هؤلاء الجامدين المقلدين ، الذين ورثهم آباؤهم دين الزيغ والضلالة ، فكان عندهم الدين لا يعدلون به غيره ، ولو كان دين الحق ، يخبرهم به لسان الصدق ، ملك التقليد الأعمى نواحى العقيدة من نفوسهم ، وسد متنفس التفكير من دونهم ، فما قرعهم شرع الله الجديد نور الهدى ودين الحق ، حتى ركبوا رءوسهم واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا ، فاسمعوا كتاب الله يحدثنا حديثهم العجب : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ، ويسألون ، وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون (١) ، أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة (٢) ، وانا

---

(١) يخرصون [illegible]

أ[illegible]

آثارهم مقتدون ، قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون »

من أجل ذلك جاءت الحنيفية السمحة بما افتك العقول من اسارها . واحتثها أن تستديم الفكر ، وتدمن النظر فى ملكوت السموات والأرض . وما خلق الله من شيء ، فان هذا وحده هو الطريق القاصد يفضى بها الى غاية الغايات ، وهى معرفة فاطر السموات والأرض ، فتكون عبادتها خالصة لوجه ربها ذى الجلال والاكرام ، عبادة يقظى لا تلهيها الغفلة ، بريئة لا تتهم بلون من ألوان الشرك الخفى « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون »

أيها الأخوة المؤمنون : لم يعرف المناطقة الانسان بأنه حيوان ناطق ، أى عاقل مفكر ، الا لأن الفكر مركوز فيه حتى فى أدنى صور الانسان . فالانسان المستوحش المتأبد الذى يسكن الغابات ويقطن الغيران (١) ؛ لا يجانبه التفكير والنظر الدارس حتى فى هذه المعيشة الدنيا ، وهل أتاكم حديث ذلك البدوى الجلف (٢) الذى سأله سائل أن يدلى ببرهان على وجود الله ، فما كان جوابه ، وهو ابن البديهة وعفو الخاطر الا ميزان الحكمة ومعيار المنطق السليم ، ولا عليه ان أخطأه الذوق فى أول كلمة من جوابه فان له فى ذلك واسع العذر ، بعد اذ عرفنا أنه انما يستملى البيئة التى نكتنفه : قال نضر الله وجهه ، وطيب ثراه : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج (٣) ، ألا تدلنا على الحكيم الخبير !

ولو أنا عرضنا الى ذكر آى الذكر الحكيم التى تكلفنا النظر والفكر فى بديع صنع الله ، وفى آثار رحمة الله ، لأعيانا تقصيها فى هذه النهزة (٤) الخاطفة ، فكان لزاما أن نجتزىء بذكر طائفة منها ، لنعلم الى أى حد كان

(١) الغيران : جمع غار .
(٢) الجلف : الجافى .
(٣) فجاج : طرق واسعة .
(٤) النهزة : الفرصة العاجلة

ولا يزال كتاب الله معنيا بحفز الأبصار والبصائر الى هذه الناحية الخصبة من الوجود .

قال عزمن قائل : « أفلا ينظرون الي الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » ، وقال : ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ؛ وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » !« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . فبأى حديث بعده يؤمنون »

أيها الأخوة المؤمنون : لا اخالكم بعد اذ سمعتم هذه الآيات البينات ، الا مستجيبين لربكم ، وموافقى على القيام برحلة ميمونة مباركة ، نزمعها جميعا الى أقطار السماء ؛ ولا يهولنكم أمر هذه الرحلة ، نهيئبون فيها امتطاء الخضر ، ووعثاء السفر ؛ واعنات النفس ، وركوب الرأس ، فما هى بحمد الله الا رحلة العقول والأبصار ، لا يمسكم فيها نصب ، ولا يمسكم فيها لغـوب .

ها نحن أولاء أمام القمر فى داربه (١) وسهل فى احسراره وخفقته ، نحاول أن تقنص نسر السماء فيطير ، ونطلب الى الزهرة انتظارنا فلا تفتأ تغذ المسير . ثم تغذ المسير ؛ أين أرمعت أيتها النجوم الزاهرة ، فى هذا البحر اللجى الأثيرى ، الذى لا ساحل له ؟ ! انها لا تحير جوابا ، و لاتحسن خطابا ، ولقد اختص ربانها القدير نفسه بعلم ذلك ، وكان باسمه وحده مجراها ومرساها ، فسبحان الله ربنا وربها وربانها . ثم اسألوها معى : من خلع عليها حلل السنا الباهر ، فتبدت

(١) داربه : هالته .

فيها سحرا للمتأملين ، وفتنة للناظرين ، والعجب العاجب أن تسير هذه الكثرة الغامرة من الكواكب : وهي التي جاوزت حد التقصي : في سرعة تختبط فيها الأوهام ، وتضل الظنون والأفهام ، ثم هي لا تعود منذ قذفتها يد خالقها القدير الى نقطة مرت بها ، فصوروا لأنفسكم : أيها الأخوة : عظم هذا الكون ، الذي اتسعت أرجاؤه لهذه الرحلة العجب ، ولسوف تتسع لها وتتسع ، مادام في هذه الدنيا نجوم تطلع ، وأخرى تغور ، فاما تعاظمتكم مظاهر تلك القدرة القادرة ، فأرسلوها معي صيحة من أعماق النفس ، تزلزل قلوب الملاحدة المكابرين ، الله أكبر . الله أكبر .

أيها الأخوة المؤمنون : لنعد بحمد الله سالمين ، حامدين لهذه الرحلة الموفقة أثرها ، قادرين لها خطرها ، ولنرسلها نظرات عابرة مستعبرة (١) الى بعض ما احتواه كوكبنا الصغير من آيات بينات ، نأخذ أنفسنا بدراستها قبل أن نؤخذ بتقصيرنا ، ونتقي بذلك هذا العتب القاتل ، واللوم الزاجر ، في قوله سبحانه : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

لنقف أمام هذه الوردة السافرة من برعومها (٢) ، سفور العذراء ، تحيى من يجتليها في خفر واستحياء ، ولنسألها في عجب ، من ذا الذي خلع عليها هذا اللون العجب ، وحباها هذا الطيب النافح ، والحسن الفاضح وهي هي تلك البذرة المهينة ، تواريها الأيدي الزارعة في تربتها الخصبة ، فتشق لها يد القدرة طريقها الى الهواء والضياء ، لتخرج علينا في صورة أرق من الهواء . وأبهى من الضياء ، انها وحق من سواها خلقا بديعا ، لتكاد تحرك شفتيها باسمه الأعظم ، في صوت ان لم تسمعه الآذان ، فقد وعته القلوب التي في الصدور « وان من شيء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

يا جمال الورد حدث … عن جمال الله فيكا
قل لذي عينين لاتد … ع مع الله شريكا

---

(١) استعبر : جرت دموعه .
(٢) برعومها : الزهرة قبل أن تتفتح .

وهذه الشجرات مشتبهات وغير مشتبهات ، فى جنات معروشات وغير معروشات ، تطعمون منها جنى مختلف الألوان ، متباين الطعوم ، ثم تجهدون أن تكتنهوا سر هذا الاختلاف فلا تظفرون ، فغذاء جميعها من تربة واحدة ؛ وري جميعها من ماء واحد ، ولو فطن المتأملون الى هذا السر الذى يظهر فى خفاء ويخفى فى ظهور ، لرأوا من ورائه يد الحكيم البديع تبدىء وتعيد . وتنقص وتزيد «وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

أيها الأخوة : ألا تشجوكم أصوات البلابل الغردة المطربة ، لكأن الملائكة والله ترتل مزاميرها فى حناجرها ، وترفرف فوق غصونها بأجنحتها ، ألا يطاب اليكم هذا الصوت الساحر ، أن تتلبثوا أمامه يسيرا لتسألوه ، من يرى هذه الحنجرة عودا تهتز لايقاع أوتاره أوتار القلوب ، ويجرى من شـئونه ماء الشئون (١) فان ضن عليكم بالجواب فاسألوه التقطيع والترجيع ، واستعيدوه مستملحين الله الله ، تجدوا فى ثنايا سؤالكم الجواب .

بل اسألوا النحل : أيها الاخوة من علمها الزهر كيف تجنيه ، والشهد كيف تطهوه ، والشمع كيف تؤسسه وتبنيه ، ومن خلع عليها هذه الأبراد اليمانية ، وسلحها بهذه الابر الشائكة الواخزة تجبكم أنه القائل : « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات ، فاسلكى سبل ربك ذللا . يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

والنملة وهى الدقيقـة خلقا ، المتينة خلقا ، كيف تبنى قراها ، وتجمع غذاها ، وكيف تصبر وتصابر ، وتجالد وتثابر ، حتى كانت أستاذا للانسان الموهوب ، عنها يتلقى دروس الادخار والدءوب . فمن يا ترى وهب لها هذه الطباع المركوزة ، وهيأ لها هذه السبيل الممهودة ، سبحانه سبحانه : انه ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

---

(١) الشئون : مجارى الدموع .

أيها الأخوة المؤمنون : ان كتاب الحياة بين الآيات ، كثير الصفحات ، يجد قارئوه في كل سطر من صفحة ، بل في كل كلمة من سطر ، بل في كل حرف من كلمة ، عبرة وذكرى لو كانوا يعقلون ، وما يعقلها الا العالمون ، وما أجدر الانسان أن يقرأ كتاب العبر في نفسه ، قبل أن يقرأه في غيره ، استجابة لقوله سبحانه : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون ») حتى يكون من الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، فينظر وهو المخلوق من ماء وطين ، كيف سواه ربه بشرا سويا ، فكان ذايد باطشة وعين باصرة ولسان ناطق ، وفؤاد خافق ، وعقل يعي ويقيس ، ويشترع ويبتدع ، ثم يفطن الى نبض لايني دقه ، ورئة لا تهن أنفاسها ، قاعدا وقائما ، يقظان ونائما ، فيعلم أن هذا الخلق العجب ، لا يكون وليد الطبيعة العاجزة ، أو المصادفة العمياء . بل : « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون في ضلال مبين » : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب (١) سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور »

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » يهديكم ويهديني الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(١) غرابيب : تأكيد لمعنى السواد .

مولد مكارم الأخلاق

يا سيدى يا رسول الله : هل تسمح وأنت رمز الجود فى هذا الوجود ، وربان سفينة النجاة ، فى خضم هـذه الحياة ، أقـول يا سيدى وسيد الرسل ، هل تسمح وتنفح بنفحة محمدية سماوية أحد مواليك ، فتـأذن يا مولاى لهذا المولى أن يتحدث الى الناس فيك ؟ ان كان ذاك ، وأكبر الظن أنه يكون ، فمر سرى المعانى وسحر البيان ، أن يكون فى خدمـة هذا المولى ، الذى يشرفه أن يظل ما امتـدت به الحياة ، فى خدمة مولاه ، محمد بن عبد الله .

اذا قلنا ان هذه هى الذكرى الرابعة والثمانون بعد الثلثمائة والألف لمولد محمد بن عبد الله ، فما عدونا القول بأن هذه هى الذكرى الرابعة والثمانون بعد الثلثمائة والألف لمولد كرائم الأخـلاق ، ونبائل الخـلال — ألا تشعرون معى يا جمـاهير المؤمنين بأن قلوبنـا تثب فى نشوة من السرور الى أعلى الصدور ، وتطل من حدق العيون وتنظر ، الى مباهج هذه الذكرى العطرة لمولد مكارم الأخلاق ، فيالها من ذكرى نفاحة كالرياض ، يتجاوب فى مهرجانها الأطيار والأنهار ، ويتعانق على مـرأى من أطيانها وأفوافها النور والنوار ، ويتنافس فى اقتناء حلاوتها وملاحتها الأثمـار والأزهار .

وهل كان محمد عليه الصلوات الا رسالة الرحمة من السماء ؟ الى هذه الانسانية الشقية المعذبة ، أو رسالة النور من مصدر الضياء ، الى هذه الأرض المعتمة المظلمة .

فما قامت هذه الرسالة الكبرى فى شخص انسانها الكامل — تعالج أمور الدين والدنيا — حتى راحت الانسانية رائحـة النعيم ، واستحالت

ظلمات الأرض نورا ، واهتز عطفاها بهجة وسرورا ، وأصاخت أذناها وقلبها في لهفة المنهوك الملهوف ، الى صوت ربها الرءوف الرحيم : وما أرسلناك الا رحمة للعالمين : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم : فيا مولد البركة والفضل ، ويا مولد الرحمة والعدل ، ويا مولد البطولة والندى ، ويا مولد النور والهدى ، ويا مولد العفو والحياء ، ويا مولد الصلة بين الأرض والسماء ، بل يا مولد محمد بن عبد الله أو محمد رسول الله وكفى .

لقد والله تنفس صبحك عن أريج روضة معطار ، وأشرقت شمسك فما أسلمها نهارها الا الى نهار ، وهل يحلم الغروب ، أن يحضن شمس الحبيب ، وهي لا تعرف في مدارها الا أفلاك القلوب في المطلع والمغيب ، فيا لك يوما طوت فيه الانسانية دهرها ، وسجلت على جبينه الأغر شرفها وفخرها ، وعقدت بناصيته خيرها وبرها ، يوما عجبا ، عقد الصلح بين المادة والروح ، أو بين الجسم والنفس ، أو بين الدنيا والآخرة ، الا يكن ، فما بال هؤلاء العرب في جاهليتهم ، وقد كانوا أصناما يكعفون على أصنام لهم ، فما صحت فيهم صيحتك المدوية الكبرى : لا اله الا الله والله أكبر : حتى كبت على وجوهها الأصنام ، وأدخلت العرب أفواجا في دين الاسلام ، وكانوا المستهترين بمعاقرة بنت الحان ، تعقر منهم الأحلام ، وتؤرث بينهم نار الخصام ، وتقترف بها الآثام على عين الشيطان ، فتقربها بين الشيطان ، كما كانوا المولعين بالميسر ، يفسح للخراب الطريق الى جيوبهم ، كما يفسح للعداوة والبغضاء السبيل الى قلوبهم ، يغريهم بالرغبة في الكسل ، والرغبة عن العمل ، فما قرعت آذانهم آية من كتاب الله ، على لسان رسول الله : انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ؟ : حتى انتهوا عنهما ، شغلوا عن حب الخمر والميسر بحب من حرم الخمر والميسر .

كانوا المرضى بحمى حمية الجاهلية ، جفاة قساة طغاة ، يئدون البنات لأوهى الشبهات ، ويشرعون الحراب لأتفه الأسباب ، تستجيب سيوفهم

لأول ناعق ، ولو كان على غير حق ، فما احتوتهم مدرسة القرآن ، وتعهدهم معلمها الأول عليه الصلوات بالآيات والبرهان ، حتى برئوا من حمى جاهليتهم ، وتخرجوا على يديه الكريمتين ، علماء حلماء حكماء ، لا تثور نفوسهم ، ولا تتمرد على أغمادها سيوفهم ، الا باسم الحق ، في سبيل الحق ، أو الذود عن بيضة الحق : سيدى يا رسول الله .

كان من قبلك النساء متاعا ... فضلته عند الشراء الاماء
تورث الزوج باسمه وهي انسا ... ن كأن النساء بهم وشاء
لودرت ظلم نسلها حواء ... وأدته ولم تلد حواء
فجعلت النساء في الناس ناسا ... هن بالدين والرجال سواء
ما بغير النساء كان رجال ... ما بغير الرجال كانت نساء
يا معير الضعيف عزا وجاها ... حسدت عز جاهه الأقوياء

كان الناس قبل مبعث الرحمة ، لا يعدون صنفين اثنين ، أما أولهما فقد مكن للمادة من جسمه ونفسه ، حتى استغرق حبها نواحي شعوره وحسه ، وجعل لذاذات الجسم قصاراه (١) بعد أن اتخذ الهه هواه ، أغشى حب المادة على بصره ، فليس شيء في الوجود بمستطيع أن يتبع عينيه الا المادة ، حتى لو تحننت اليه عقله ، في غفلة من هوى نفسه ، أن يتخذ له الها يختصه بشتى ألوان العبادة ، ما وسعه أن يتخذه من غير النار والحجر ، أو الشمس والقمر ، ولا عليه أن سوى بيديه الهه من الحلوى ، يكون في السفر معاذه وملاذه ، حتى اذا كان وقت العبادة ، أخرجه من جيبه في رفق المحاذر أن يحطم رأسه ، أو يخمد أنفاسه ، أو يبقر بطنه أو يهشم ساقه ، ولا عليه أيضا أن يتحاب شدقاه في سورة من الجوع لحلوى هذا الاله ، فيطفيء به سورة المعدة الثائرة ، ويرد به عقل البطن الجوعان ، وهل يؤخذ بهذا ، وهو الذى خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، فيا عجبا لهذا الاله . ما أحلاه وما أدله ، بل ما أحقره وما أذله .

---

(١) قصاراه : غايته وجهده

وأما ثاني الصنفين ، فقد كفر بالمادة ، وما هو منها بسبيل ، وآمن بالروح وما هو منها بسبيل ، فتحامل على الجسم بضروب شتى من الحرمان والتعذيب ، نهشت اللحم وعرقت العظم ، وقد نسي أو تناسى ، أن الجسم وعاء الروح ومطيته ، واذا شعب (١) الوعاء تسرب الماء ، واذا نفقت (٢) المطيه هلك المسافر .

ولما ارتاح الله برحمته (٣) للانسانية المعذبة ، بارسال صاحب الرسالة الكبرى ، محمد صلوات الله عليه ، قام يبين للناس فيما نزل اليه ، أن نجاءهم في التزام القصد ، وأن هلاكهم في ايثار الميل ، ويبصرهم أن في طغيان الروح على الجسم ، ازهاقا للروح والجسم جميعا ، وأن في طغيان الجسم على الروح اتلافا للجسم والروح جميعا ، وأن خير الدنيا وثواب الآخرة ، معقودان بأن يؤدي كل من الجسم والروح رسالته في الحياة : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين .

من أجل ذلك كانت رسالة المصطفى عليه الصلوات الى الناس كافة ، كما كانت خاتم الرسالات ، لأنها في الحق رسالة الفطرة الى الفطرة ، ودين الانسانية للانسانية ، يشرق بها وجه الزمان ، ويعمر بها قلب المكان ، ويصلح عليها أمر الدنيا والآخرة : ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وهل ينهض بهذا العبء الجسيم الا الجسيم ، ويضطلع بهذا الأمر العظيم الا العظيم — اصطفى الله المصطفى ليتمم مكارم الأخلاق ، ولا يتاح ذلك الا لمن تمت له مكارم الأخلاق .

فالفاقد الشيء لا يستطيع أن يهبه :

بهذا سوته يد البديع الحكيم خلقا رضيا ، وان مثل للناس بشرا سويا ، وكان أهلا أن يقول فيه ربه : فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو

(١) شعب : كسر .
(٢) نفقت : هلكت .
(٣) ارتاح الله له برحمته : انقذه من البليه .

كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، « وانك لعلى خلق عظيم »
وأن تقول فيه عائشة عليها الرضوان : كان خلقه القرآن .

وهأنذا أيها الأخ المؤمن تيمنا بهذه الذكرى المجيدة السعيدة ، أحاول أن أعرض لبعض نواحي هذه العظمة الخلقية المحمدية ، وان لم أكن أول من عرض لها ، ولن أكون آخر من يعرض لها ، فهيهات هيهات لآفاق هذه العظمة أن تحد ، وهيهات هيهات لمادتها أن تنفد ، وما أحلى ترجيع الكلام وترديد الأنغام فى هذا المقام .

النبوة الكريمة العفيفة الزاهدة : لما كان صلوات الله عليه أقوى الناس ايمانا بالله ، كان أسخاهم بمال الله ، وأعطفهم على المعوزين من عباد الله ، اذ كانت ثقته بما فى يد الله أشد من ثقته بما فى يده ، فلا بدع أن كانت كفه أجرى بالخير من الريح المرسلة ، وأسح بالغيث من الغمامة الوطفاء (١) ما عرف عنه أنه رد سائلا ، فان لم يجد وجدا (٢) وعد ولم يرد .

حمل اليه تسعون ألف درهم ، فوضعها على حصير ، ثم قام اليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها ، وجاء رجل فسأله فقال : ما عندى شيء ، ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه : فقال عمر يا رسول الله : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه : فكره رسول الله ذلك ، فقال رجل : أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا ، فتبسم رسول الله عليه صلوات الله ، وشاع السرور فى وجهه ، وهل يحسن أحد فى جوده وايثاره ، واعراضه عن اعراض الدنيا الباطلة ما أحسن محمد رسول الله ؟

جاء رجل يسأله فقال : اجلس سيرزقك الله ، ثم جاء آخر ثم آخر ، فقال لهم اجلسوا ، فجاء رجل بأربع أواق (٣) فأعطاها اياه وقال ، يا رسول الله ان هذه صدقة ، فدعا الأول فأعطاه أوقية ثم دعا الثانى فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية ، وبقيت معه عليه الصلوات أوقية واحده ، فعرض بها للقوم فما قام أحد ، فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءة ،

---

(١) الوطفاء : المسترخية لكثرة مائها .
(٢) وجدا : غنى .
(٣) أواق : جمع أوقية وهى اربعون درهما .

فجعل لا تأخذه عينه ، ولا يطعم النوم جفنه ، فيرجع فيصلى ، فقالت له عائشة عليها الرضوان : يا رسول الله هل بك شيء ؟ قال : لا . قالت فجاءك أمر من الله ؟ قال : لا ، قالت : انك صنعت منذ الليلة شيئا لم تكن تفعله ، فأخرجها وقال : هذه هي التي فعلت بي ما ترين ، انى خشيت أن يحدث أمر الله ولم أمضها .

هذا هو الذى يسلخ الشهر والشهرين لا توقد فى بيته نار ، وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع ، والذى تشكو اليه ابنته فاطمة عليها الرضوان ما تلقى من خدمة البيت ، وتسأله خادما تكفيها مؤونة بيتها ، فيأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد ، ويقول : لا أعطيك وأدع أهل الصفة (١) تطوى بطونهم من الجوع ، وقد روى الشيخان : ما شبع آل محمد ثلاثة أيام تباعا ، حتى قبض صلوات الله عليه .

النبوة الحليمة الرحيمة الرفيقة المتواضعة : كان قصد النبوة الأسمى أن تتألف عباد الله ، على حب دين الله ، وهل أوحى (٢) الى تحقيق هذه الغاية النبيلة من حلم حليم ، تكتنفه رحمة رحيمة ورفق رفيق ، ثم يزين جميعها تواضع متواضع .

كانت هذه بعض نعوت رسول الله عليه صلوات الله ، ولقد والله كان أحق بها وأهلها ، سأله أعرابى شيئا فأعطاه ، ثم قال له : أحسنت اليك ؟ : قال الاعرابى ولا أجملت ، فغضب المسلمون وقاموا اليه ، فأشار اليهم ان كفوا ، ثم دخل منزله ، وأرسل الى الاعرابى وزاده شيئا ثم قال له : أحسنت اليك ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال له الرسول : انك قلت ما قلت ، وفى نفس أصحابى شيء من ذلك ، فاذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى ، حتى يذهب من صدورهم مافيها عليك : قال نعم ، فلما كان الغداة أو العشى جاء فقال رسول الله عليه صلوات الله : ان هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه ، فزعم أنه رضى ، أكذلك ؟ : قال الأعرابى : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال

(١) الصفه : موضع مظلل من مسجد رسول الله كان أضياف الاسلام يبيتون فيه .
(٢) أوحى : أسرع .

عليه الصلوات : ان مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه ، فأتبعها (١) الناس فلم يزيدوها الا نفورا ، فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى ، فانى أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها ، فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا هونا ، حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها واستوى عليها . وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه ، دخل النار .

وركب رسول الله ذات مرة حمارا الى قبـاء (٢) ومعه أبو هريرة . فقال : أحملك ؟ فقال : ما شئت يا رسول الله ، فقال : اركب ، فوثب ليركب فلم يقدر ، فاستمسك به صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعـا ، ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعا ، ثم ركب وقال له مثل ذلك ، فقال لا والذى بعثك بالحق نبيا ما رميتك ثالثا .

ولقد كان صلوات الله عليه يرقع الثوب ويخصف النعل ، ويمشى بينه مع أهله فى حاجتهم ، ولا يقـوم أحد من أصحابه له لكراهته ذلك منهم .

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فارتاع من هيبته ، فقال له الرسول عليه الصلوات : هون عليك فانما أنا ابن امرأة تأكل القديد وقالت له عائشة يوما : كل جعلنى الله فداك متكئا فانه أهون عليك ، فأصغى (٣) عليه السلام رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد . وأجلس كما يجلس العبد .

النبوة المجردة فى الحق : ولو شئنا أن نضع بنا التهتوى لبدهتنا المعجزة الخارقة . اذ نرى رسول الله المنتصر المنصور ، وهـو فى الجند المستضعف والعدد القليل . ذلكم أن رسـول الله ألقى على أصحابه فى ميادين الجرأة الجريئة ، والجهاد البئيس (٤) دروسـا لقنها انفاذ السهام ، وضرب الهام ، ومجالدة الاقدام ، وو وقف الموت دون الاقدام . لا شقشقة

---

(٣) أتبعها : تبعها .
(٤) قباء : موضع قرب المدينة .
(١) فأصغى : فأمال .
(٢) البئيس : الشديد .

الدعاوى الباطلة وزور الكلام ، وما ضر جند الله أن يموتوا لتحيا عقيدتهم ، وأن يطويهم بطن الأرض ليظهر دينهم على ظهرها .

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

فلا عجب بعد أن نسمع عليا كرم الله وجهه يقول : كنا اذا حمى البأس (١) اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب منه الى العدو .

سيدي يا رسول الله -- حدثني بحبي اياك ، وحبك مولاى ومولاك . أي سحر حلال أسلس قياده اليك ، وأية معجزة سماوية كبرى منت بين يديك ، في ربوع هذه الجزيرة الغبراء ، فاستحال سكانها كواكب سماء . تحسدها كواكب السماء ، وتتنقلت على عين الله في مداراتها المباركة ، تحمل الناس رسالة الهداية والضياء .

يالرسالتك القدسية المباركة ، التي خدمتها الملائكة ، وباركتها يد الله . فأخرجت من رعاة الغنم رعاة الأمم ، يحملون باسم الله وباسم الاسلام مشاعل الحضارة والمدنية ، يتقدمون بها مواكب الانسانية ، ويخطون الملك في لباقة وأناقة وارتفاق ، على أسس متينة مكينة من مكارم الأخلاق ، فيا له من دستور سماوى حكيم ، تخرج فيه المسلمون على يد نبي حكيم ، وتوارثه أجيالهم كابرا عن كابر ، فعاشوا في سلام المسلمين وعزة المؤمنين ، ثم نامت ذراريهم عشرات وعشرات من السنين ، عن حماية بيضة الدين ، وعن تراث كريم ورثوه عن آباء غر ميامين . حتى كادوا يلتهمون طعاما لعصبة من الفراعنة الطغاة المستبدين ، ولكن الله سبحانه ومن أسمائه الرحمن الرحيم ، قد ارتاح برحمته من أحالك يا رسول الله لجماهير المؤمنين ، فنفخ فيهم حتى بعثوا بعد موت . وأدركوا بعد فوت ، وهزوا الظلم هزة تقوضت أركانه ، وهدمت على رءوس أهله بنيانه .

هذا ، وما قال قال (٢) الوطن ولا تخلت عنه نصرة الله مهما هم

---

(١) البأس : الشدة في الحرب

(٢) قال قاله : حاك

أولاء أبناء الوطن وأحباب رسـول الله ، يسدون مجـارى الأنفاس على أعدائهم وأعداء الله ، حتى لمحوا طلائع النصر يطالعهم بها وجه رسـول الله ، فى عيد مولده الشريف وعيد ذكراه .

أما بعـد يأيهـا الاخوة المؤمنون : فهذه لمحة خاطفة فى آفاق هذه العظمة الخلقية المحمدية ، وهذه معالم ذكراها العبقة الخالدة ، تتقاضى كل مسلم أن يبوئها أعز مكان من قلبه ، ويختص صاحبها عليه الصلوات بأوفر حظ من حبـه ، وليعرف كل مسـلم ان لم يكن قد عرف ، أن المرأة من من الأنصار قتل أبوها وأخـوها وزوجها فى يوم أحد ، فأخبروها بذلك فقالت ما فعل رسول الله عليه صلوات الله ؟ قالوا : هو بحمـد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى أنظـره ، فلما رأته قالت : كل مصيبـة بعدك صغيرة ، وليفطن الى الغاية النبيلة من قوله عليه الصلوات : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين : ومن أعز علينا بعد الله من رسول الله ، عليه وعلى جميع اخوانه المرسلين صلوات الله .

عبرة الهجرة

أيها الأخ المؤمن :

اذا كانت مشيئة الله العالية قد جرى قلمها فى صحيفة الأزل ، أن يكون بين هذا الناس صنف ممتاز ، يتعشق المبادىء السامية ، والأخلاق الرفيعة ، يعيش لها ، ويموت فى سبيل احيائها ، فان أصحاب الرسالات السماوية عليهم الصلوات ، هم المجلون فى هذا الميدان ، بل هم النجوم الزهر فى سماء هذا المقام .

واذا كان محمد بن عبد الله عليه صلوات الله ، سيد الرسل وخاتم الأنبياء ، فقد رشحه مولاه لهذا المقام الخطير بما خلع عليه من شمائل ومكارم ، وبما سلحه به من حزم وعزم ، وبما رباه عليه من تفان فى سبيل الحق ، وهيام بالحرص على هداية الخلق ، هياما ينسى به نفسه ، ويعرض للتلف حياته ، حتى يخاطبه مولاه بقوله : فلعلك باخع : قاتل : نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، بل بآباء جماهير المسلمين وأمهاتهم جميعا . منذ أشرقت على يديك شمس الدين ، الى يوم الدين ، فما نعموا بنعمة الاسلام ، ولا استظلوا بظله الوارف ، الا بسلسلة من التضحيات الغوالى ، قدمتها راضية بها نفسك ارضاء لربك ولدينك ولقومك ، ولقد كانت حلقة من سلسلة تضحياتك الغوالى ، هجرتك المباركة الموفقة ، التى أصلحت بها شأن الدنيا ، وحولت بها مجرى التاريخ ، وغيرت بها وجه الحياة ، أيقظت بها الدهر النائم ، فأشخص عينيه ، وأرهف أذنيه ، ليرى منك ، ويحفظ عنك ، وليسجل لك فى سجله الأبدى من مفاخر ومآثر ، ما لم يسجل لأحد من قبل ، ولن يسجل لأحد من بعد .

قمت تبنى للتوحيد دولة ، وتهد للأصنام صولة ، ولسان العقل والحكمة يهتف بعباد هذه الأصنام ، وأسارى هذه الأوهام .

أمن العقـل أن تؤله أصـــــــــنام وهن الحجارة الخرساء
كل من يرتضى الحجـارة ربا عقله والذى ارتضاه ســواه

سيدى يا رسول الله :

لقد لقيت ما لقيت من عنت قومك ، فما حفلت ولا تخاذلت ، وان أدمت ثقيف عقبيك وردتك ردا غير كريم ، فربما كان بذل الدماء فى سبيل العقيدة أدنى مراتب الفداء ، هؤلاء صناديد قريش يضيقون ذرعا بدعوتك التى سفهت أحلامهم ، وسبت آلهتهم ، فيذهبون الى عمك أبى طالب ، يطالبونه بوضع حد بينك وبينهم ، ويقولون له فى عنت المتعنتين ، اما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيننا وبينه ، فاذا جنح عمك الى سياسة المسالمة والمهادنة ، وزين طريقها لك ، قلت قولتك التى أصغت لها أذن الدنيا ، وتهلل لها وجه التاريخ : والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، فلا يسع عمك الا أن يستمد عزمة من عزيمتك ، وصلابة فى نصر الحق من صلابتك ، فيقول لك : اذهب يابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبدا — ولما يئس القوم من عمك ، أخذوا يأتمرون بك : واذ يمكر بك الذين كفــروا ليثبتوك (١) أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين .

سيدى يا رسول الله ، ان القائد الموفق المظفر ، الحصيف الرأى ، البعيد مد البصر ، هو الذى يحسن اختيار مكان المعركة ، ويرغم خصمه أن ينازله فيه ، فليس عجبا أن تقلب وجوه الرأى ، حتى تطمئن الى خطة حكيمة حازمة تظاهرك عليها السماء ، فتأمر بالهجرة ، وان فى الهجرة لدروسا وعبرا ، لمن كتب الله له أن يدرس وأن يعتبر .

بيتوا قتله بليـــــل أتـــــاه فى دجاه با لهجرة الايحـــاء
نام فى بـــــردة النبى على كى يضل الارصاد والرقبـــاء
ومشى المصطفى يخوض المنايا والمنـــايا مشـــلولة عميـــاء
هاجر الكوكبان من وطن جا ر الى جيرة هم الحنفـــــاء
فكأن الرســول قد قال لمـــا جاذبته من شـــوقها البطحـــاء
وطن المرء دينـــــه فدعينى دون دينى الآبـــاء والأبنـــاء

(١) ليثبتوك : ليحبسوك .

سيدى يا رسول الله : لقد علمتنا مدرســة هجرتك الموفقة المظفرة ، دروسا عالية غالية لن ننساها ، وسنسير الدهر بمشيئة الله على هديها وسناها ، فلقد تعلمنا فيها على يديك أيهــا المعلم الأكبر ، عليك الصــلوات ، ومنك النفحات والبركات .

١ — أن الفئة القليلة اذا كانت على الحق ، كتب لها النصر على أعدائها ، ولو كاثروها عددا فكثروها .

٢ — أن دين المرء أعز لديه وأغلى عليه من كل ما تضم الحياة ، حتى من وطنهالذى شب فيهوترعرع ، فدين المرء وطنه الأول الذى لابسروحه وقلبه وجسمه جميعا ، فاذا امتحن المرء فى دينه ، وكانت سلامة دينه فى ترك وطنه ، تركه مغتبطا فى غير تردد ولا ابطاء .

٣ — ما كانت هجرتك الموفقة فرارا بل انتصارا ، لأن القائد المظفر المحنك هو الذى يرغم خصمه أن ينازله فى الميدان الذى يختاره ويتوقع فيه النصر على أعدائه .

٤ — الهجرة تعلم المسلمين ألا ييئسوا من نصر الحــق ، وألا يستسلموا للظالمين ، بل عليهم أن يعملوا أساليب الحيلة ، وأن يبتغوا فى احقاق الحق كل وسيلة ، ولو ألجأهم ذلك الى أن يتخذوا أسلوب الفرار ، وسيلة للانتصار .

٥ — ان معاهدتك للأنصار على نصرتك قبل هجرتك ، تعلمنا أن يكون المرء بعيد النظرة ، وئيد الخطوة ، مشرق الفكرة ، آخذا فى كل شــئون حياته بأسباب الحيطة والحزم ، والكياسة وحسن السياسة ، فلايقدم رجله لخطوة تالية ، الا وهو واثق أنه سيوطئها أرضا صلبة لا تسوخ بها ولا تميد .

٦ — ان هذه التضحية الغالية من الرسول والمهاجرين معه بالهجرة ، ومن الأنصار بالتفانى فى النصرة ، كونت شعبا جديدا ، يملك قلبا جليدا وعزما حديدا ، وأنشأت أمة مثالية ، لا تغريها زخارف الدنيا ، بعد اذ ملكت عليها نواحى نفسها وقلبها العناية باقامة الدين ، وارســاء أركانه على أساس من الخلق متين .

وهكذا يا سيد الرسل قد نشأت على يدك المباركة هذا الجيل المبارك الجديد — فاذا حاول زخرف الدنيا أن يلفتهم عن الحيـاة المثالية لحظة ، تخولتهم بتوجيهة سماوية محمدية ، لا تلبث أن تردهم في سلامة وعافية الى ساحة من ساحات هديك وفضلك ، مزودين بتعاليم الدين القويم ، والخلق الكريم ، لما أعطيت يا رسول الله ما أعطيت من مال هوازن ، واختصصت به المؤلفة قلوبهم من قريش وقبائل العرب ، ولم يك فى الانصار منها شىء ، وجد عليك هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة ، حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله عليه السلام قومه ، فدخل عليك سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، ان هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفىء الذى أحببت من مال هوازن ، قسمته فى المؤلفة قلوبهم من قومك ، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منه شىء : فقلت له يا رسول الله ، فأين أنت من ذلك يا سعد ، فقال يا رسول الله ، ما أنا الا من قومى — فقلت له : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة فخرج سعد فجمع الأنصار كما أمرت فى الحظيرة ، وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أقبل سعد فقال يا رسول الله ، قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فجئتهم يا رسول الله ، وقمت فيهم خطيبا ، فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت :

يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتنى عنكم ؟ وجدة وجدتموها على فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى — الله ورسوله أمن وأفضـل ، ثم قلت : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ، قالوا ، بماذا نجيبك يا رسول الله — لله ورسوله المن والفضل ، فقلت — أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها قلوب قوم ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ؟ ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلك

(١) لعاعة : حصيد وخير .

الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

فبكى القوم حتى أخضلوا لحـاهم ، وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا .

من هذا الموقف النبوى الحكيم ، تتجلى أمام ناظريك : أيها الأخ المؤمن صفحات مشرقات خالدات تنطق بما كان للرسول الكريم من هـدى حكيم وأسلوب آخاذ يأخذ الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة ، ولا عجب فقد خلع عليه مولاه أغلى ما يتصف به الانسان الكامل اذ قال له : وانك لعلى خلق عظيم : كما قال له : ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر .

فياله من نعت فى السماحة كريم ، خلعه المولى على نبى كريم ، وياله من درس ربانى سماوى فى الصفح وتألف القلوب ، ألقاه الرحمن فى مدرسة القرآن ، على من اختار فيه المثل الأعلى وأرسله معلما وهاديا للخلق أجمعين .

واذا كانت رحمة السماء قد اتجهت الى هذا النور المحمدى ، فصورت منه خلقا رضيا ، وان تمثل للنـاس بشرا سويا ، وحملته رسـالة الرحمة والسماحة ، فكان فيهما أنبل رسول لأنبل رسالة ، فانما أرادت بذلك أن يتأثر الناس خطاه ، وأن يهتدوا بنور هداه ، حتى يكتب لهم من رضا الله وتوفيقه ما كتب لمحمد بن عبد الله .

شع نور الاسلام من جبين هذا النبى العربى ، وجرى بيان القرآن على لسانه آيات مفصلات ، ودستورا سماويا عجبا ، يوفر السعادتين فى الأولى والآخرة ، لسكان هذا الكوكب الأرضى ، ان هم آمنوا بكتابه ، وانتظموا فى ركابه ، وأخذوا أنفسهم بتعاليمه وتأدبوا بآدابه .

هذا الدستور السماوى العجب ، الذى وضـعته يد الله ، ولم تعبث بحرف واحد منه يد واحد من عباد الله ، يهدف فيما يهدف ، الى أن يأخذ الناس أنفسهم بالحلم واللين ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك : وبالتسامح الواسع الكريم : فاعف عنهم واستغفر لهم : فاذا حرص الناس أن

بأخذوا أنفسهم بدستور هذين المبدأين الكريمين باركتهم يد الله ، وأخرجت لهم من ثمرات هذين المبدأين ثمرة حلوة شهية ، هي تآلف القلوب ، فلا يرى بين الناس الا محب ومحبوب : ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم : من أجل ذلكم : يا جماهير المؤمنين : سميت ملة الاسلام بالحنيفية السمحة ، لما شرعته للناس من هذا التوجيه الحكيم ، والتسامح الكريم .

سلوا التاريخ معى يحدثكم لسانه الصادق ، ان مبدأى التسامح والتآلف كان لهما أثر أى أثر فى نشر الدعوة المحمدية ، فلقد كانا يفعلان بالقلوب والنفوس ما لا يفعل السحر ، من أجل هذا السحر الحلال كان الناس يهرعون من كل صوب ، يطرقون للحنيفية السـمحة أبوابا ، ويدخلون فى دين الله أفواجا ، دخلوا فى بحبوبة هذا الدين السمح الجديد ، بعد اذ خرجوا من ضيق الطبع العنيد والبأس الشديد ، وهم مابين مغرور وممرور (١) ، وآكل ومأكول — مرت على صدورهم يد مباركة لهذا الدين الجديد ، فنزعت ما فى صدورهم من غل ، وأصبحوا جميعا على قلب رجل واحد : واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

بهذا الفتح المبين ، والنصر العظيم لرسالة محمد بن عبد الله ، تحقق لها هدفها الأسمى من تأليف القلوب وتطهير النفوس ، انها كانت تهدف أول ما تهدف أن تتآلف عباد الله ، على حب دين الله ، وأن تصور لهم المثل العليا يحتذونها ، لتصل بهم الى السعادتين فى هذه الحياة وما بعد هذه الحياة .

ومما أقر عين هذه الرسالة المحمدية الكبرى ، أن أشاعت مبدأ العفو ، وألقت دروس السماحة والصفح غير مقصور أثرها على المؤمنين ، بل ليأخذ المؤمنون أنفسهم بها حتى مع أعدائهم وأعداء الدين ، وحاشا أن تضيق آفاق الحنيفية السمحة ، فلا تسع سماحتها الناس أجمعين من كل ملة ودين .

ابان فتح الأندلس ، قتل شاب أندلسى غير مسلم فتى عربيا ، ثم عاذ بباب

(١) الممرور : الحاقد الحاد المزاج .

أحد الفاتحين فأعاذه ، وما لبث أن طرق الباب طارق ، فاذا بعض فتيان العرب يحملون شابا قتيلا ، هو ابن صاحب البيت ، فما تظنون أنه فاعل بمن أعاذه ؟ وقد عرف فيه قاتل ابنه ؟ قد يدور بخلدكم كل حدس الا أن يمهد له سبيل الفرار ، حتى ينجو بجلده من وجوه مطارديه ، فلا يؤخذ بدم ابنه العزيز الحبيب ، ولكنه والله فعلها وان كان يضيق بها حلم الحليم ، ويتفطر لها القلب السليم .

وليس من ضروب السماحة في قليل ولا كثير ، أن يبدو المؤمن فى ثوب مهلهل من العجز والضراعة ، فان الله سبحانه يحب المؤمن القوى ، ولا يحب المؤمن الضعيف .

رأت عائشة عليها الرضوان رجلا ثقيل الخطا مستضعفا ، فسألت ما هذا ؟ فقالوا لها انه زاهد ، فقالت عليها الرضوان ، ما بهذا الضعف يكون الزهد ، لقد رأيت عمر عليه الرضوان ، وهو أزهد الزهاد ، ولكنه كان اذا مشى أسرع ، واذا ضرب فى ذات الله أوجع .

فاسألوا الله معى يا جماهير المؤمنين ، أن نكون المؤمنين الأقوياء ، بالله ، ولله ، وفى الله ، حتى يرضى عنا الله ويرضى عنا رسول الله .

ولقد يكون من البر بكم وبنا ألا نفوت على أنفسنا بعد هذه العبر الواعظة من الهجرة المباركة الموفقة ، أن نصغى بقلوبنا قبل آذاننا الى هذه الحكم الغوالي ، التى نطق بها رسول الله عليه صلوات الله ، وهو يختار الرفيق الأعلى ، ويؤثره على متاع هذه الدنيا .

لما اشتد المرض على رسول الله عليه صلوات الله ، جزع المسلمون ، وأحاطوا بالمسجد ، فخرج اليهم رسول الله متوكئا على على والعباس ، وكان عليه الصلوات معصوب الرأس ، فجلس فى أسفل مرقاة المنبر ، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس : بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبى قبلى ممن بعث الله فأخلد فيكم ؟ ألا انى لاحق بربى وانكم لاحقون بى ، فأوصيكم بالمهاجرين خيرا ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم ، فان الله تعالى يقول : والعصر

ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ، وأوصيكم بالأنصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ، ألم يشاطروكم الثمار ؟ ألم يوسعوا لكم فى الدار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصة (١) ؟

ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين ، فليقبل من محسنهما ، وليعف عن مسيئهما ، ألا وانى فرط (٢) لكم ، وأنتم لاحقون بى ، وان موعدنا الحوض ، ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفكف لسانه الا فيما ينبغى : صدقت يا سيدى يا رسول الله ، وجزاك مولاك عنا ما أنت أهله ، بما جاهدت ، وصابرت فى سبيل الله ، وبما أسديت من نعمة الهداية والتوجيه للمؤمنين من عباد الله .

---

(١) خصاصه : فقر وحاجة .
(٢) الفرط : من يتقدم لطلب الماء وبعد الدلاء والرشاء .

الإسراء والمعراج

سـيدى يارسول الله .

هذا شهر رجب الفرد ، تظلنا أيامه الغر ، ولياليه الزهر ، وانه ليحلو فيه لجماهير المؤمنين ، ان يتحدث اليهم المتحدثون ، بعد معجزة القرآن ، التى لا يبلى جديدها على الزمان ، فى معجزة اختصك بها مولاك من بين سائر اخوانك الأنبياء ، هى معجزة المعراج والاسراء

دعوت اليك يا صاحب الرسالة الكبرى أم هانىء ابنة عمك أبى طالب ، بعد اذ تنفس الصبح عن ليلة عجب ، قضيت طرفيها فى بيتها ، ووسطها خارج بيتها ، لتسجل على وجه الزمان آيات سماوية تشهد بأنك رسول الله ، وعلى رأس المصطفين الأخيار من أنبياء الله .

أقول — يارسول الله — قد دعوتها اليك ثم قلت لها : يا أم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهـذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صـلاة الغداة معـكم الآن كما ترين ، ثم نبأتها فى لهجة المؤمن الصادق ، الواثق بنفسه بعد ثقته بربه ، أنك خارج تلقى قريشا فتحدثهم بما حدثتها فيه .

ما كان الشك ليجد طريقه ممهودا الى قلب أم هانىء ، وهى من هى ، المؤمنة المطمئنة الايمان واليقين بكل ما جاء ويجىء به الصادق الأمين ، ولكنها عرفت فى قريش نزوعا الى الأذى وعزوفا عن التسليم فدعت جاريتها : نبعة وقالت لها ــ تأثرى رسول الله ثم عودى فحدثينى يانبعة بما سيكون ، لقيت يا سيدى وسيد الرسل أول ما لقيت أبا جهل ، رأس الجهالة والضلالة والعناد ، فابتدرك مستهزئا كعادته ، هل كان من شىء ؟ قلت نعم ، أسرى بى الليلة ، قال الى أين ؟ — قلت الى بيت المقدس ، قال — ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قلت نعم ، فعدا أبو جهل كما يعدو الثور وهو ينادى ، يا معشر بنى كلب بن لؤى ، فأقبل القوم من كل حدب ، يقدمهم أبو جهل ، وأحاطوا بك يا رسول الله ، فى انتظار المتلهف ، ولهفة المنتظر ، وسرعان ما طلب اليك أبو جهل ، أبو الجهالة والحمق ، أن تخبر القوم بما رأيت ، ظانا لخبث طيته أنك ستغير قولتك ، وتخون رسالتك ، ولكنك يا رسول الله جبهته (١) بصوت تسرى فيه حلاوة الايمان ، ويكتنف جانبيه ثبات الاطمئنان ، : لقد أسرى بى الى بيت المقدس ، فنشرلى رهط من الأنبياء ، منهم ابراهيم وموسى وعيسى - وصليت بهم وكلمتهم ، فقال لك أبو جهل ، وهو مايزال فى سخره الساخر منه ، القائل له ، ان كنت رأيتهم فصفهم ، فأجبته دون أن تتلبث أو تتريث ، تؤيدك السماء بروح القدس ، : أما عيسى ففوق الربعة ودون الطويل ، تعلوه حمرة ، كأنما يتحادر عن لحيته الجمان ، وأما موسى فضخم آدم طويل ، كأنه من رجال شنوءة وأما ابراهيم فانه والله لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ، — ثم طفقت تسوق لهم فى حلمك الحليم ، يأيها الرسول الحليم الحكيم ، من آيات الصدق ، مالا يدع ريبة لمستريب ، وآخر آياتك أنك مررت بعير بنى فلان ، والقوم نيام ، وكشفت الغطاء عن اناء لهم فيه ماء ، فشربت الماء ، وأعدت الغطاء ؛ وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء : طريق فى الجبل : يقدمها جمل أورق : فيه سواد وبياض : عليه غرارتان سوداء وورقاء — فابتدر القوم الى الثنية ، فوجدوا العير كما ذكرت ، يقدمها جمل أورق كما أخبرت ولكنه ديدن العناد والمكابرة، كفانا الله شرهما ، يحملان صاحبهما حتى ولو صدقت العين أن يكذب القلب .

أما أبو بكر الصديق الصديق ، فقد انطلق من فوره يقول لك : أشهد أنك صادق يا رسول الله ، انى لأصدقك فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقك فى خبر السماء فى غدوك ورواحك ، أفأكذبك فى اكرام الله اياك ، بأن ينقلك فى ليلة واحدة مسيرة شهر ؟ — صدقت يارسول الله ، وصدقك فى الاسراء كتاب الله : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

---

(١) جبهه : ضرب جبهته أو لقيه بما يكره .

الى المسجد الأقصى ــ : بل صدقت يا رسول الله وصدقك كتــاب الله فى المعراج ، يطوى كوكبك السموات وأنت السراج الوهاج : ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ! اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى : ثم عدت الينا أيها النور ، تحمل النور من مصدر النور ، لنقرأ فيك كتاب العجائب المنشور ، فأنت فينا يا رسول الله ولن تزال على وجه الزمان آية الآيات ، ما دامت الأرض والسموات ، وستظل فينا تعاليمك السماوية المصونة المرعية مفدية بالأرواح والآباء والأمهات .

أيها القارىء الكريم ، اذا كانت عقول المخلوقين وقد هيأ لها خالقها سبل البحث والدرس ، والابتداع والاشتراع ، قد كاشفتها الأرض سر عاصرها ، وأوشكت كواكب السماء أن تخاطبها بلغة الاشارات والأضواء ، بعد اذ جاوزت دنيا الناس عصر الكهرباء ، الى عصر الذرة والفضاء ، وكادت سفن الفضاء حاملة ركابها ، محمولة على صواريخها . أن تتخذ من ظهــور الكواكب مرساها ، أقــول — أفبعد أن جاوزت العقــول هذا الحد غير المعقول ، ننكر وهى المخلوقة المضعوفة ، على خالقها القادر المقتدر ، أن يسرى بعبده محمد بن عبد الله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، أو يعرج به من طبق (١) الأرض الى أعلى طباق السماء .

أيهــذا المســـرى بــه وهــو يقظــا
ن هنـــاك (٢) المعــراج والاسراء
خبــط القــوم منهمــا فى ديــاج
من شــكوك تعسى بهــا الزرقـــاء
وأبان الصــديق من أضرب التصــد
يــق ما أعجــبت به الأصـــدقاء
ليــس يطــفى نــور النبــوة ألا
تبصر النــــور مقلــة عميـــــاء

(١) طبق الارض : وجهها .
(٢) هناك : أصلها هنأك من الهناءة .

لسليمان قبل رد لطرف
عرش : بلقيس : من«سبا» بك جاءوا
وله الجن والطيور وبسط الريح
تجرى بالأمر وهى رخاء
ولموسى تفلق البحر وازدا
نت بأنوار ربها « سيناء »
وعصاه وارت بجوف عصيا
وحبالا وهى العصا الصماء
فهوى السحر ساجدا يشترى
الجنة مهما يصلب الأبرياء

• • • • •

وبعيسى لله آى تجلى
فى وليد وأمه العذراء
أذن الله فهو يخلق طيرا
ويرد الموتى وهم أحياء
كل يوم يجلو لنا الله سرا
من أعاجيب ما لهن انتهاء
معجزات الأثير أو قسمه الذرة
فتح تعنو له العلماء
لا تقل فى سرى الحبيب لهذا
كيف تدنو أرض وتطوى سماء
(١) شيئة الله أن تلاقى حبيب
بحبيب والعرش تحت وطاء
فى مقام ما ان يدانيه ظن
لا و لا يرتقى اليه علاء

(١) شيئة : مشيئة .

يعجـز العقـل أن يحـيط بغيـب
فاحـــذروه يأيهـــا العقـــلاء
ان دســـتور أخلـص النـاس دينا
يفعـــل الله ربنـا ما يشـــاء

* * * * *

أما بعد ، فهذا هو دستور المؤمنين يا جماهير المؤمنين : يفعل الله ربنا ما يشاء : وقد شاءت مشيئته العالية أن يختصر محمد بن عبد الله وهو السراج الـوهاج ، بشرف الاسراء والمعراج ، وأن يجعله صاحب الرســالة الكبرى ، والشفاعة العظمى ،والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحوض المورود ،وأن يرسله رحمة للعالمين ، ومنارا للمهتدين .

وما أجدرنا يا رسول الله ونحن الطامعون فى شفاعتك ، الحريصون على طاعتك ، المدينون بالولاء لأيادى رسالتك ، أن نصلى عليك يا رسول الله صـــلاة دائمة بدوام ملك الله .

الأخوة في الإسلام - عزة وقـــوة وكرامة

جرى القلم من قبل أن تكتحل الأعين بنور هذا الوجود ، بأن كتب ربنا على نفسه الرحمة ، وهذه رحمات السماء ، تتسابق وفودها وتتلاحق ، تقدم هدايا رحمانية ، على موائد ربانية ، لأبناء آدم وحواء ، منذ أن سوى الله بيديه آدم وحواء .

كواكب من السماء تشرق للناس فى صور كتب مقدسة ، تمحو بنورها الظلم ، وتهدى بهديها الأمم ، واشعاعات يرسلها النور سبحانه ، فتهبط على الناس فى أزياء رسل مبشرين ومنذرين ، الى طريق السـعادة داعين ، وعن طريق الشقاوة مانعين صارفين ، ولو ترك الناس وشأنهم فى دنيـا الناس هذه ، وحرموا هذه الرحمة الرحمانية ، وهذه الاشعاعة الربانية ، لضـلوا وذلوا ، بل لقتلوا أنفسهم بأسـلحة من غـرائزهم الجامحـة ، وطبائعهم الفاسدة .

شرفت هذا الكوكب الأرضى رسالة محمد بن عبد الله ، عليه صلوات الله ، فكانت أتم الرسالات ، اذ باع رسول الله فى أدائها نفسه المثالية الزكية، يجشمها المخاطر ، ويركبها الأهوال ، هادفا الى استئصال جـذور الشرك ، وتثبيت قواعد التوحيد ، ونشر ألوية مكارم الأخلاق ، فوق من أسـلموا وجوههم لله ، لتكون منهم خير أمة أخرجت للناس .

سيدى يارسول الله

جئت والخلف عـلة لقـلوب   أكلتهـا الأحقـاد والبغضـاء
فوصفت الدواء اكسير حب   عنصراه تنـاصر واخـاء

على ضوء هذه المبادىء السامية من شريعة محمد عليه الصلوات ، آخى صاحب الرسالة الكبرى بين جماهير المسلمين . اخاء تتضاءل أمامه أخـوة

الأرحام ، ووشائج القرابات ، وذلكم هو المعنى السامى للأخوة الاسلامية التى يهدف اليها كتاب الله بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا : وبقوله سبحانه : انما المؤمنون اخوة : أخوة مباركة مثالية ، يؤمن بها المسلم أنه بجانب ايمانه بالله أخو المسلم ، لايسلمه ولا يظلمه ، وأن عروة الاسلام الوثقى تتقاضاه أن يؤثر على نفسه أخاه ، لأنه عدل أخيه من أمه وأبيه ، لا ، بل ان أخوة الدين أوكد من أخوة القرابة — قيل لحكيم وقد سئل — أيهما أحب اليك ، أخوك أم صديقك ؟ فقال : انما أحب أخى اذا كان صديقا لى ، والحكمة البالغة تقول : رب أخ لك لم تلده أمك : ذلكم بأن القرابة تحتاج الى مودة ، والمودة لا تحتاج الى قرابة ، على اشعاع هـذا الدستور الاسلامى العجب ، الذى يربط قلوب الأخوة المسلمين برباط أقوى من روابط القرابة والنسب ، يجب أن يجمع المسلمون فى بقاع الأرض أمرهم، ويشدوا أمام الأعـداء البغاة الطغاة أزرهم ، ويأخذوا منهم حـذرهم ، ولا يخاطبوهم الا بلغة السيف والحرب ، والطعن والضرب ، التى لا يفهمـون لغة غيرها . وهنالـكم يأيها الأخوة المسـلمون المؤمنون توفرون لأوطانكم وأنفسكم حياة طيبة مستقيمة ، وعزة عزيزة كريمة ، ولله العزة ولرسـوله وللمؤمنين .

أيها الأخوة المسلمون فى جميع البقاع ، تحية مسـلمة مؤمنة ، تحملها أجنحة الأثير وصحائف التحرير من قلب أخ لكم الى قلوبـكم ، انه أخ فى الله ، يؤمن بأن ابوة الدين ، التى انتظمت قلوب المسلمين ، أبقى على الزمن ، وأجدى فى الشدائد والمحن ، حتى من أبوة القرابة والنسب .

من أجل هذه النعمة الكبرى ــ نعمة الاسلام ــ التى خلعتها علينا يد الرحمن ، يمن علينا بها كتاب الله ، ولله ولرسوله المن والفضل : اليوم أكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا :

وهل وراء الاسلام نعمة ، تهيىء أسباب السعادة فى الحياتين ، وتوفـر الكرامة فى الدارين ؟

قد يرجف المرجفون ، ويدعي المتخرصون ، من مرضى القلوب والعقول، أن الاسلام يعنى الانقياد والاستسلام — نعم هو ذاك — ولكنه انقياد واستسلام لله وحده : بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون : استسلام لله ، لا يعرف الذلة الا له ، ولا يؤمن بالخوف الا منه ،فمبادىء الاسلام جميعها تعلم المسلم أن يحيا الحياة كلها ، ليس سيدا لغير نفسه ، ولا عبدا لغير ربه : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين :

وهنا وفى هذه اللمحة الخاطفة ، يحدثنا لسان التاريخ الصادق ، حديثه الشائق العجب عمن تخرجوا فى مدرسة القرآن على يد معلمها الأول محمد بن عبد الله عليه صلوات الله .

باركت يد الله هؤلاء النفر القليل من المهاجرين والأنصار ، وأشعت شمس الدين الجديد فى نفوسهم ، وأضاءت أشعتها السماوية ماحولهم ، كما ربطت يد الرحمن بين قلوبهم ، فاستدت سواعدهم بالتآخى والتناصر ، وتأثرت خطاهم مواكب النصر ، فما خرجوا من نصر الا الى نصر ، وما هو الا أن استطال بنيانهم ، وامتد سلطانهم ، واستبحر عمرانهم ، ومشت بين أيديهم مبادىء دينهم العادلة الفاضلة ، تهون أمامهم الخطب ، وتذلل الصعب ،حتى لبسوا بيد هذا الدين المبارك العزة بعد الذل ، والقوة بعد الضعف ، والأمن بعد الخوف ، ولا عجب فالاسلام ، وهو دين العزة والقوة والكرامة ، ينبذ الأذلة الضعفاء ، ولا ينتظم فى سلكه الا الأعزة الأقوياء .

يأخذ دين الاسلام جماهير المسلمين بأساليبه السماوية الحكيمة ، فى التربية العالية ، والمبادىء السامية ، حتى يخرج للناس خير أمة أخرجت للناس ، أمة مثالية عجبا ، فى قوتها وعزتها ، وسيادتها ومجادتها .

فهذه مدرسة الصلاة ، تنتظم طلابها صفا صفا ، لتعلمهم بدروسها السماوية العملية ، أن أس النجاح اتحاد ونظام ، وأن عزة المسلم فى ألا يذل لغير مولاه ، وأن سر قوته يتجلى فى هذا البنيان المرصوص الذى يشد بعضه بعضا .

وهذه مدرسة الحج الكبرى ، تستقبل ألوف الألوف من طلابها يوم الحج الأكبر من كل عام ، تلقنهم دروسها العملية العالية فى التروية والتلبية : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك ، وتعلمهم أن مفاتن هذه الدنيا التى استدبروها ، ليستقبلوا الكعبة المسترة (١) والروضة النبوية المطهرة ، لا ينبغى أن تلهيهم ، وهى متاع الجسد عن متاع الروح ، ولا أن يبخلوا بها ثمنا لعزة هى أعز عليهم من كل ما تحتوى الحياة — كما تربط مدرسة الحج بين قلوب طلابها برباط روحانى سماوى ، لا تستطيع يد الزمن حله ، فيصبح هذا الجمع الجميع مع اختلاف أوطانهم ، على قلب رجل واحد ، يهدف الى هدف واحد ، ويدين لرب واحد ، ولا يسع هذا الجمع الجميع الا أن يؤمنوا بأن لهم وطنا واحدا أعز عليهم من كل الأوطان ، هو وطن الدين ورابطة الاسلام ، فالمسلم أخو المسلم ، لا يسلمه ولا يظلمه ، والمسلمون على تعدد أوطانهم واختلاف أجناسهم ، سواسية كأسنان المشط ، تتكافأ دماؤهم ، ويأخذ بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

وليس عجبا بعد اذ تؤدى هذه المدارس الدينية الكبرى رسالتها ، بامتزاج الأرواح ، وتأليف القلوب ، أن يخف المسلم فى مصر لنصرة أخيه فى فلسطين ، وأن يلبى مسلم العراق نداء أخيه المسلم ولو بالصين ، وهنالك تقر عين الاسلام ، بهذه الأمة الاسلامية الموحدة : وان هذه أمتكم أمةواحدة. وأنا ربكم فاتقون : كما تجن كلاب الاستعمار الجشعة المتهالكة ؛ أن تنهش وأن تنبح ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

أيها الأخوة الكرام البررة ، ان كرامة دينكم ، من كرامة أوطانكم ، ولن يكون الدين حرا كريما ، الا فى البلد الحر الكريم ، فأجمعوا أمركم ، وأشهدوا ربكم ، أن تكونوا يدا واحدة على الغاصبين ، وأن تدفعوا ظلمهم بظلم يسحقه ويمحقه ، ولا عدوان الا على الظالمين .

حاشا ثم حاشا أن يكون الاسلام دين ضعف وذلة ومهانة ، بعد اذ شرعه الله دين عزم وعزة وكرامة ، وبعد اذ قرأنا فى بعض مواد دستوره : أن

(١) المسترة : المغطاة بالستار .

المؤمن القوى خير عند الله ، وأقرب الى مولاه ، من المؤمن الضعيف : وهذا كتاب الله يحدث من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله » — « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » — « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ادن فلقد أرخص الله الأرواح الغالية ، يبذلها المسلمون فى سبيل الكرامة الدينية ، والعزة الوطنية ، وعلم المسلمين أن يستمدوا العزة منه وحده . وألا يخشوا ربا سواه ، كما علمهم أن حياة العبودية أدنى مراتب الحياة ، وأن بيع الأرواح بيع السماح فى سبيل العزة والكرامة ، هو خير ما يتقرب به الى الله . فياشعوب الاسلام فى جميع أقطار الأرض . هنيئا لنا ولكم هذه اليقظة بعد النوم ، والحياة بعد الموت ، والقوة بعد الضعف ، بل هنيئا لكم ثم هنيئا ، هذا الوعى الدينى الوطنى ، وهذا الاتحاد المتين القوى، سدد الله للمعالى خطاكم ، وباركت يداه جهادكم واتحادكم ، حتى نعيش معاشر المسلمين ، كما أرادها لنا رب العالمين ، مرفوعة رءوسنا ،مهيبة أوطاننا ، أعزة أباة كفاة ؛ ولا حول ولا قوة الا بالله ؛ وما أجدرنا جميعا أن تتغنى متمثلين بقول الشاعر المؤمن الثائر :

ألا انما الاخوان فى الله وحدة	يباركها الاسلام فى الشرق والغرب
فاما تجدهم قد تناءت ديارهم	فانهمو كالجسم والدين كالقلب
ادا قيل هذا مسلم قلت يا أخى	مكانك من قلبى مكان أخى الصلب
فيا ملة الاسلام يا خير ملة	توثق ما بين الأعاجم والعرب
ويا ثورة السودان فى مصر مثلها	نبيد عدو الله بالطعن والضرب
يكلفنا الاسلام أن نكبت العدا	ونصليهمو حمى أتون من الحرب
ليلبث دين الله دين أعزة	أعزهم القهار فى محكم الكتب
ويجرى بوادى النيل نهر كرامة	أعز على واديه من نيله العذب

بقيت لنا معاشر المسلمين نعم الله ، وتحقق لنا باقبالنا على الله عز ونصر من الله ، بعد اذ أطعنا الله . واهتدينا بهدى رسول الله ، عليه صلوات الله .

الإســلام والعمل

ان الله يحب من عباده العاملين المتوكلين

باسم الله وباسم الدين ، وباسم الوطن الأكبر لجميع المسلمين ، أعرنى أيها الأخ المؤمن انتباهك وأحضرنى قلبك ، فلعلى أن أصل بك أو تصل بى على ضوء الهداية ونور الاخلاص ، الى أسلوب من العيش الحكيم ، نسعد به كما يسعد به الوطن الاسلامى الأكبر لجماهير المسلمين .

ان دستور ديننا الحكيم يهدف أول ما يهدف ، بعد نعمة الايمان بالله ، والتصديق برسول الله ، الى العمل الصالح النافع ، يعالجه المؤمن لاسعاد نفسه ، واسعاد من يشاء الله من عباد الله ، ولولا هذا الدستور السماوى العجب ، ما انتظمت الحياة ، ولا سعد انسان بما فى الحياة من نعم الله ، فهذا كتاب الله يقول : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . ويقول : هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه .

وهذا رسول الله عليه صلوات الله يقول لرجل وهو يعظه : اغتنم خمسا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .

ويقول : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ — يعنى رسول الله أن هذا المغبون فى الصحة والفراغ لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما : ويقول عليه الصلوات : من خاف أدلج — أى سار ليلا — ومن أدلج بلغ المنزل ، الا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة . ويقول : صلوات الله عليه : من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة ، وسعيا على عياله ، وتعطفا على جاره ، لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر .

وكان رسول الله صلوات الله عليه جالسا مع أصحابه ذات يوم ، فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ، فقال عليه الصلوات : لا تقولوا هذا ، فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ، ويغنيها عن الناس ، فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم ، فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان وروى الرواة أن عيسى عليه السلام ، رأى رجلا فقال ماتصنع ؟ قال : أتعبد ، قال من يعولك ؟ قال أخى . قال : أخوك أعبد منك .

وهل غاب عنك أيها الأخ المؤمن أن نفرا من صحابة رسول الله عليه صلوات الله جاءوه وقالوا له : يارسول الله : ان فلانا صوام قوام ، يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال : أيكم يكفيه قوته وعلف دابته ؟ قالوا كلنا يارسول الله ، قال : كلكم خير منه . ثم قال الرسول الكريم مخاطبا هذا العابد المسرف فى عبادته ، المنصرف عن كل عمل دنيوى لنفسه أو لأمته ، بعد اذ وهب للعبادة كل طاقته : ان هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ان المنبت لا أرضا قطع (١) ولا ظهرا أبقى . وكيف غاب عن هذا العابد المنقطع بالعبادةعن أعمالالحياة ، انرسول اللهعليه صلواتالله ، وهو أعبد خلق الله . كان يصوم ويفطر ، وينام ويتهجد ، ويسعى ويستريح ، وهو الذى يقول : ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه : ثم يقرأ قول المولى سبحانه : وابتغ فيما آتاكالله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا . ومما روى الرواة أن اعرابيا رؤى يبحث عن ناقة أضلها (٢) وضلت طريقها اليه ، فقيل له : أكنت عقلتها يا اعرابى ؟ قال ، لا ، بل تركتها غير معقولة متوكلا على الله ، فكان رد جوابه ، لقد أخطأك التوفيق يا أعرابى ، اعقلها وتوكل .

وهل شرع دين الله ، الا ليقذف فى قلوب المؤمنين قبسا من نور الايمان بالله ، ويوجه عقولهم ويحفز جهودهم الى العمل بما يحقق صوالحهم وصوالح الناس ، فاذا جانب المؤمن جانب العمل الصالح المثمر ، بات ايمانه أشل

(١) المنبت : المسافر مع جماعة . يرهق دابته ليسبق فيهلك دابته ويسبقه الآخرون .
(١) أضلها : دهبت عنه .

معطلا ، وما خطر ايمان يسكن القلب ، لا ينتفع به صاحبه ، ولا ينفع أى أحد من الناس ، ان قصارى ايمان هذا شأنه ، أن يظل شجرة لا تثمر ، وقانونا لا ينفذ .

عالج كتاب الله الحث على مداومة العمل فى غير موضع من آياته البينات المحكمات المفصلات ، وعقد عقدة كريمة لا تنفصم بين الايمان والعمل الصالح فى كثير من الآيات : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا . حتى يلقى فى روع الناس أن العمل الصالح شرط الايمان بل شطر الايمان ، فالايمان من غير عمل ، ليس بالشىء المعقول ، ولا بالأمر المقبـول .

والى مثل هذا المعنى ينظر الحديث النبوى القائل : ليس الايمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

ان هذا الحديث الكريم ليلقى ضوءا كاشفا على الايمان الصـادق ليجليه ، وعلى الايمان الزائف ليفضحه ، ويقول لجماعات الكسالى المتخلفين عن منافسة العاملين فى ميدان العمل الصالح : ـ ما أحراكم وأنتم عيال على الحياة أن تريحوا وتستريحوا من تكاليف هذه الحياة .

أيها الاخوة المؤمنون : لو كان الايمان وحده يكفى لسد مطالب الحياة، ما طالب الله رسله عليهم أفضل الصلوات ، بمعاناة الجهاد والجلاد ، ولا طالب عباده المؤمنين أن يمشوا فى الأرض طلبا للرزق : فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه . ولا قال سبحانه فى حديثه القدسى : يا عبـدى حرك يدك أنزل عليك الرزق . ولا قال الرسول عليه الصلوات : ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السـلام ، كان يأكل من عمل يده .

هذا هو دستور الدين يا جماهير المؤمنين ، وهذه هى تعاليـم الشرع الحكيم ، ايمان ينير جوانب القلب ويسكن ثوائر النفس ، وعمل صالح من

مؤمن مكافح ، يسرى نشاطه في عروق هذه الحياة ، ليخلع عليهـــا أسمى معانى الحياة ، ولا يستكثرن مؤمن أعماله الصـــالحة مهما كثرت ، فالحكمة تقول : حسنات الأبرار سيئات المقربين ٠

ومن ظن أن دين الله لايعنى بالعمل الصالح الا أعمال العبادات، كالصوم والحج ، والصلاة والزكاة ، فقد حاول بقصر نظره ، وقصور عقله ، أن يضيق واسعا ، أو يغير واقعا ، وهو لا يدرى أنه بهذه المحاولة الفاشلة ، والتهمـة الباطلة ، قد أساء الاساءة كلها الى دين الله ، سامحه الله ٠

ان العمل الصالح ينتظم كل عمل مثمر ، يزاوله صاحبه فى حدود ماشرع الله ، ملتزما فيه جانبى الأمانة والاتقان ، مراعيا فيه حق نفسه وحق أهـله وحق الوطن وحق الله، فالحديث الشريف يقول : ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ٠ ويقول : لأن يأخذ أحدكم حبله على غاربه فيحتطب ، خيرله من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه ٠

اذن لقد تضافرت دساتير الديانات السماوية ، على أن المؤمن العامل ، أحب الى الله من المؤمن الخامل ، حتى ولو كان انقطاعه عن عمله ، لاشتغاله بعبادة ربه ، فالصناعة أو الحرفة اذا لابستها تقـوى الله ، ومراقبة الله ، فن رفيع من فنون العبادة ، قصرت عنه همم العابدين المتبتلين .

أيها الأخ المؤمن ، والمواطن الصالح : ان روح هـذا البعث الجديد ، الذى بعثته مصر على أيدى أشبالها وأبطالها ، لحرى أن يمدك بدم جديد ، ويخلع عليك من ألوان القوة والنشاط ما يحرك يديك ، ويستغرق جهـود حواسك ومشاعرك ، تعمل جميعها متظاهرة متضافرة ، لبناء هـذا الجيل الجديد ، واستقبال هذا المستقبل الضاحك السعيد ٠

انها والله نفحة السماء ، هبطت على صفوة مختارة من أبناء هذا البلد ، فغضبوها غضبة خالصة لوجه الله والوطن ، أرضوا بها الله والوطن ، غضبة على عمق أثرها رزينة حكيمة ، استأصلت أصـل الداء وعملت على توفير عناصر الشفاء ، دون أن تحتاج بتوفيق الله الى سفك قطرة من الدماء . فيالها من ثورة حكيمة بيضاء ، باركتها يد الله ، فكانت أجل خطرا وأعظم أثرا من

ألف ثورة هوجاء حمراء ، ولن يتم لهذه الأيدى المبـاركة اتمام ما بدأت ، الا اذا ظاهرتها صوادق الجهود ، وأدى كل مواطن واجبه فيما كلفته الحياة الجديدة أداءه ، بعد اذ يتوكل ولا يتواكل ، فان المولى سبحـانه يحب من عباده العاملين المتوكلين ، ولا يحب القاعدين المتواكلين •

أيها المواطنون الاعزاء الابرار الاحرار : موظفين، أو صناعا، أو زراعا، أو تجارا ، أو عمالا ، كما لا تقبل صلواتكم الا اذا وليتم وجوهكم شطر كعبة ربكم ، لا تقبل أعمالكم الا اذا وليتم وجوهكم شطر كعبة وطنكم ، فمـا أحراكم أن تنزهوا أعمالكم عن كل سمعة ورياء ، وأن تقضـوا فيما بينكم وتساعدوا أولى الأمر فى القضاء على أساليب الوساطة والوسطاء ، والشفاعة والشفعاء ، وأن تتحاموا وتحموا الأبرياء الغافلين ، شائعـات المغرضين ، وتخرصات المرجفين ، فانهم اخوان الشياطين ، أعداء أنفسهم ، أعداء وطنهم أعداء الدين ، ـ ومن لا وطن له لا دين له ، ولا دنيا ولا آخرة له •

أيها المواطنون الأحـرار الثوار : ان الوطـن ليهتف بكم أن تحموا بأرواحكم ثورته ، وتباركوا باخلاصكم فى عملكم نهضته ، وأن يكون فى ثوب كل مواطن منكم شخص البطل الثائر : جمال عبد الناصر :

فثوار البـلاد لهـا جنود — تحامى نار غضبتها الأسـود
نفوا عن مصرنا غلواء قـوم — تراءوا سادة وهم عبيـد
تعـالى الله قـوى جانبيهـا — بأبطال هم الركن الشديد
ووافاها السـعود فكل يوم — يطالعنا به عيـد سـعيد
فعيشى مصر ولتهنى بعهد — تهنىء فيـه اسوانا رشـيد

أيها المواطنون الأحرار الثوار : ها هو ذا العيد الاكبر ، تنتظم بشائره جنبات الوادى السعيد ، مهنئة مصر بعيد الاعياد ، عيد القضاء على كل ألوان الظلم والفساد ، وتحطيم آخر حلقة من سلاسل الاستبداد والاستعباد ، وانه اذ يهنئكم بعيد أعيادكم ، يتقاضاكم العمل الخالص الدائب ، لاتمام ما بدأتم فان تقصير القادرين ، أشد وأنكى فى عقيدة الأحرار من عجز العاجزين ، فاعقدوا بين نظراتكم والمستقبل الباسم عقدا وطنيا ثوريا لا يحل ولا ينفصم، واخطوها تحت عين الله خطوات رزينات ثابتات الى الامام ، الى الامام ، فى

ايمان وجرأة واقدام ، نشيد بجهودكم الصادقة صروح العـــزة والكرامة والسلام .

وهكذا يأيها الاخوة المؤمنون ، تتقاضانا توجيهات الشارع الحكيم ، أن نكون الحراص على النهوض بواجباتنا من شئون ديننا ودنيانا ، نهوضـــا يسبقه الاعتماد على الله ، ويلازمه فى جميع مراحله حتى منتهاه ، فالاتكال من غير عمل يصحبه تواكل لا يقره شرع الله ، ولا يرضى عنه دستور المؤمنين المكافحين من عباد الله ، والعمل من غير اعتماد على الله يباركه ، عمل أقطع أبتر (١) قد لابسته الغفلة ، وشوهه الغرور ، ورشح صاحبه أن يكون أخا للشيطان ــ وكان الشيطان لربه كفورا .

أيها الأخ المؤمن : اعقل وتوكل ، واعتمد على الله واعمل ، موقنا أنك تستمد قوتك من قوة الله ،ولا تتصرف بمشيئتك الا بمشيئة الله ، واذا أثقل ظهرك حمل فألق به فى ساحة الله ، تحل لديك كل مشاكل الحياة .

---

(١) الاقطع : مقطوع اليد ، والابتر : مقطوع الذنب .

الصبر

أيها الأخوة المؤمنون : انى محدثكم ان شاء الله حديث فضيلة الصبر ، وانه لحديث يتقاضاكم عنوانه فى غير مواربة ولا خفاء ، أن تأخذوا أنفسكم عند سماعه بشيء من الصبر ، فلعله أن يكون لحضراتكم ولى فى ذلك ، عائدة نصيبها فى أمور ديننا ودنيانا ، وبحسبنا ان نحن أرعيناه أسماعنا ، وأحضرناه قلوبنا ، أن نقوم بنصيب عملى من هذا الموضوع الجليل ، فى التحلى بفضيلة الصبر الجميل .

الصبر نصف الايمان : لا يتعاظمنكم صـدق هذه القضـية العجب ، فترتابوا أن يكون الصبر نصف الايمان ، لأن الأيمان الحق تصديق وعمل ، فأداة التصديق اليقين بالله سبحانه ، وبكل ما أوحى الى عبده محمد صلوات الله عليه ، وأداة العمل صبر جميل يحفز همة صاحبه الى المكارم ، ويجنبه الخبيث ويحميه المكاره والمحارم ، فاذا حرم المؤمن نعمة الصبر . بات ايمانه أشل أعرج معطلا ، وما خطر ايمان يسكن القلب ، لا ينتفع به صاحبه ولا ينفع أى أحد الناس ، ان قصارى (١) ايمان هذا شأنه أن يظل شجرة لا تثمر ، وقانونا لا ينفذ ، خيلوا لأنفسكم مؤمنا من هذا اللون ، حرم الصبر وان منح اليقين ، فهل ترونه يقيم صلاة ، أو يؤدى زكاة ، أو يصوم رمضان ، أو يغيث لهفان ، أو يكظم غيظا ، أو يكتم سرا ، أو يصطنع برا أويتحمل ضرا ، لا ، لا ، ان ايمانه قصر مزور عنصره الخراب ، أو ماء خادع حقيقته السراب ، ذلك بأنه فقد ، بعد اذ فقد نعمة الصبر ، قوته الفاعله ، ويده العاملة .

وان تعجبوا أيها الأخوة أن يكون الصبر نصف الايمان ، فعجب أن تسمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل مرة عن الايمان فقال هو الصبر ، لأنه الأساس الذى تقوم عليه الناحية العملية من الدين ، فالصبر فى

---

(١) قصارى : الجهد والغاية .

أداء ما افترض الله طاعة ، وفى لظى الحرب بطولة وشجاعة ، وعن شهوة البطن وما اليه عفة وقناعة ، والصبر لدى النوائب والخطوب صبر ، وفى كظم الغيظ حلم وسعة صدر ، وفى سياسة الأنام واخفاء الكلام حزم وكتمان سر ، والصبر فى كل عمل ابداع وافتنان ، وتجويد واحسان ، ذلكم هو الصبر فى اسم واحد ومعان شتى ، تنتظم كل عمل جليل ، وخلق نبيل .

ولما كان للصبر هذا الخطر فى الدين ، وذلك الأثر فى الخلق الكريم ، فقد تناوله كتاب الله في نيف وسبعين موضعا ، فأقامه منار رفعة ، وشرعه مفيض خير وبركة ، وجعله شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، وبحسبنا أن نورد الآن بعض الآى المنزلة فى الصبر ، لتقفنا على مدى عناية كتاب الله ، بخلق هو نصف دين الله ، ان لم يكن هو دين الله ، قال عز من قائل : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا » : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا » : « وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » . « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » « واصبروا ان الله مع الصابرين » . « بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » . « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

وكذلك كانت الرسالات جد معنية بخلق الصبر وابرازه فى صورة تشتاقها النفوس ، وتهفو اليها القلوب فقد قال صاحب الرسالة الكبرى عليه صلوات الله « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافينى كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا ، وينكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . وروى جابر أن رسول الله سئل عن الايمان فقال :

« الصبر والسماحة » . وقال أيضا « الصبر كنز من كنوز الجنة . وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام : تخلق بأخلاقى وان من أخلاقى أنى أنا الصبور .

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار قال : أمؤمنون أنتم ؟ فسكتوا . فقال عمر : نعم يا رسول الله ، قال وما علامة ايمانكم ؟، قال: نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء . فقال صلوات الله عليه ، مؤمنون ورب الكعبة . وقال المسيح عليه السلام :

انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون ، وقال نبينا صلوات الله عليه : لو كان الصبر رجلا لكان كريما ، والله يحب الصابرين . والأحاديث فى الصبر مستفيضة ، ليس فى المكنة استيعابها فى مثل هذه الفرصة الطائرة .

أيها الاخوة المؤمنون : لما كان للصبر شعب متشعبة ، وألوان متعددة ، رأيت أن أقصر كلامى فى هـذه النظرة العجلى على ثلاث شعب ، أقدم كلا منها الى حضراتكم فى شىء من الايجاز الواضح فأقول :

الشعبة الأولى : الصبر فى الحرب ، وثمرته البطولة والشجاعة : وهل البطل الذى اذا دارت الحرب كان قطب رحاها ، واذا شبت نارها كان لظاها ، الا الصابر المصابر ، المجالد المثابر ، فاذا نزل الفارس الى الميدان فلا ينبغى أن نسأل : ما سلاحه ؟ بل يجب أن نسأل : ما كفاحه ؟ فان الصبر فى الحرب سلاح سحرى عجب ، سلاح لا تراه العيون وان أحسته القلوب ، فما أعجبه سيفا يفل السيوف ويحطم الدروع ، ويقصل (١) الرقاب وينتظم الضلوع ، وكأنى بحضراتكم تطلبون الى أن أضرب للصبر مثلا ما ، تلمسون منه عاقبته وأثره ، وتجتلون فيه جلاله وخطره ، وهأنذا أضرب لحضراتكم مثلا أى مثل ، وأسوق اليكم دليلا أى دليل ، جماعة المسلمين فى فجر الرسالة ، والاسلام وليد ، والعـدو طاغية عنيـد ، تعجبه كثرته ، وتغريه بالفئـة القليلة عدته وسورته ، فهل كان الغلب للجند الكثير ، والجم الغفير . لا والله ، ما كتب الغلب الا لهذه الفئة القليلة الصابرة المصابرة ، لأنها كانت تقاتل العـدو

(١) يقطع .

باتنظام صفوفها ، قبل انتضاء سيوفها ، وتتلقى ضرباته بقلوبها وضلوعها ، قبل تروسها ودروعها .

ان هـــــذى القلوب وهى دمـــاء
قد تفــل الأسـيـاف وهى حـديد

اذا صاح صائحهم الله أكبر ، هلل الجمع وكبر ، ودهموا العدو هاتفين، الى الجنة . الى الجنة ، يستعجلون عيشها الأخضر ، بخوض الموت الأحمر ، ولا عجب فقد باعوا فى الله أنفسهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم : « يأيها النبى حـرض المؤمنين على القتـال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، ألآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » . ثم سائلوا التاريخ بعد ، أى أقطار الأرض انتظمها ملكهم ، واستبحر فيها عمـرانهم ، وكم كسروا من أكاسرة ، وقسروا من قياصرة ، يجبكم انه حلم ذهبى رائع ، تراءى للعين لحظة ، وأكبر الظن أنه لا يعود .

مصـابرين يضـيـق الصـبر دونهم
ذرعـــا ويعجب منـهم أعجب العجب
والصـبر فى الحرب أقوى عـدة كتبت
من سورة الفتح آيا بالـدم السرب (١)

ومالى لا أضرب لحضراتكم مثلا ما زالت أطيافه تتراءى أمام العيون ، وأصداؤه تدوى فى الآذان ، ذلكم هو مثل أقرب الحروب بنا عهدا ، فلقد ظلت كفة أحد المتنازلين طوال الحرب راجحة ، وكفة خصيمه شائلة ، حتى باتت الدنيا لا ترى بدا من بقاء الغلب للغالبين ، ولكن القدر — وكنيته أبو العجب — أبى الا أن يفجأ العالم بما يخيب الظن ، فأتاح للفريق المرجوح

(١) السرب : السائل .

صبرا صابرا ، ظل يكافح فى ظله وينافح ، حتى استقادت له أسباب المنى ، وأقبل عليه وجه النصر ، ولولا ذلك لتغير وجه الدنيا ، وتحول مجرى التاريخ ، والعجب أن الجمع المنهزم ، لم تكن هزيمته وليدة نقص فى العدد ، أو قلة فى العدد ، ولكن كانت وليدة سأم واستيئاس ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، ومن صبر ، واتاه القدر ، وكتب له الظفر .

الشعبة الثانية : صبر المكروب اذا حزبته (١) الخطوب ، وصبر الحليم على اساءة المسيء وهو كظيم (٢) وهذا اللون من ألوان الصبر ، يحير نار الصبور جنة خضراء ، ويملأ قلبه تسليما للقدر ورضا بالقضاء ، وما لنا تطيش حلومنا ، وتنخلع قلوبنا اذا امتحننا الله فى مال أو صحة أو ولد ، ورب نعمة فى طى نقمة « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » لقد كان للمسلمين جميعا فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، صبر صلى الله عليه وسلم على محن تتهيبها الجبال ، وتتحاماها النبال ، فما زادته الا شدة بأس ، وقوة مراس ، أخذ القوم يأتمرون به ليقتلوه فهاجر ، وامتحن بألوان من الجوع والأذى فجاهد وصابر ، واذا سئل أن يدعو على قومه أسوة باخوانه من المرسلين ، فقصاراه (٣) أن يقول : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

وكيف لا وهو المنزل عليه « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين ، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به صلى الله عليه وسلم ، فاحمرت وجنتاه ثم قال « يرحم الله أخى موسى ، لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر والله يقول « ودع أذاهم وتوكل على الله » .

آيها الاخوة المؤمنون : عاذ شاب أندلسى ابان فتح الأندلس بعد أن نزل فتى عربيا ببيت أحد الفاتحين من المسلمين فأعاذه ، وماعتم أن طرق الباب

---

(١) حزبته أسبلت عامه ...
(٢) كظيم مكروب .
(٣) جهده وعامه .

طارق ، فاذا بعض فتيان العرب يحملون شابا قتيلا هو ابن صاحب البيت ، فماذا تظنون أنه فاعل بسن أعاذه ، وقد عرف فيه قاتل ابنه ، قد يدور بخلدكم كل حـدس ، الا أن يسهد له سبيل الفرار ، حتى ينجو بجلده من وجوه مطارديه ، فلا يؤخذ بدم ابنه العزيز الحبيب ، ولكنه والله فعلها ، وان كان يضيق بها حلم الحليم ، وينفطر لها القلب السليم ، ذلكم هو أثر الاسلام السمح فى نفوس معتنقيه من العرب ، بعد أن كانوا لا ينعمون الا فى أجواء مسمومة بالخصومات — والمطالبة بالترات فان افتقدوها اختلقوا أسبابها ليثيروها حروبا شعواء ، طالما أثاروها فى أمر يسير حقير ، ولو كان عقال بعير .

وهذه تماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء ، بكت فى الجاهلية أخاها صخرا ، بكاء أذاب قلب الصخر ، وفجر عيون الشعر . وأتت من ضروب الجزع ما يهون دونه لطم الخدود وشق الجيوب ، حتى اذادخلت فى دين الله بدلها بجزعها سرورا ، وسواها سيدة مسلمة صبورا شكورا ، كان لها بنون أربعة نفروا فى جيوش المسلمين لفتح فارس ، فسارت معهم وخطبتهم أول الليل خطبة مثيرة حانزة ، فلما أسفر الصبح تقدموا واحدا بعد واحد ، ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم ، حتى قتلوا جميعا ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته ، فانى لسيدات مصر هذا الموقف النبيل ، وذلك الصبر الجميل ، وهن اللواتى يرجفن قلب الأرض ، ويستبكين عيون السماء ، اذا دعا داعى الوطن أبناءهن أن يصبحوا أجنادا لا يكلفون ركوب الأخطار ، بل ركوب الأسفار ، واذا سلبهن الدهر عزيزا استسلمن الى الجزع الجازع ، والحزن الحزين ، وأطلن لبس السواد ، ونفضنه على من يلين حتى الجماد .

اسمعوا . اسمعوا . قالت الرميصاء : توفى ابن لى وزوجى أبو طلحة غائب ، فقمت فسجيته (١) فى ناحية البيت ، فقدم أبو طلحة ، فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل ثم قال : كيف الصبى ؟ فقلت بحمد الله على خير حال ، فانه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ، ثم تصنعت له أحسن ما كنت

(١) سجيته : غطيته .

أتصنع ، جاهدة أن أدخل السرور الى قلبه ، ثم قلت : آلا تعجب من جيراننا أعيروا عارية . فلما طلبت منهم جزعوا ، فقال بئس ما صنعوا ، فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى ، وان الله قد قبضه اليه ، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : اللهم بارك لهما : فكان لهم سبعة كلهم قد قرأ القرآن ، وروى جابر أن رسول الله قال : « دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة » .

هذا ولن يفوت على الصابر صبره دموع تفيض بها العين ، فيستروح (١) لها القلب ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه لموت ولده ابراهيم ، فقيل له : أما نهيتنا عن هذا فقال : « ان هذه رحمة ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء » .

الشعبة الثالثة : الصبر على أداء الفرائض واجتناب المحارم : وهو ميدان يتنافس فيه المتنافسون من عباد الله المتقين ، وأوليائه المقربين ، رجع صلوات الله عليه من احدى غزواته فقال ما معناه « لقد عدنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » يعنى جهاد النفس الأمارة بالسوء ، يناصرها على صاحبها شيطان مريد ، فما أعداهما عدوين خفيين ، لا تنالهما الرماح المشرعة ، ولا السيوف البواتر ، فالنفس بين جنوبنا والشيطان بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ، وليس أقتل للعدو الخفى من سلاح خفى ، هو صبر النفس وارادتها على ما تكره ففى الحديث الشريف : « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » .

وما أروع هذه الصورة الرائعة الجميلة ، لفضيلة الصبر الجميل ، فى اطار هذا الخيال الخصب للشاعر الحكيم :

بنى الله للأخيار بيتا سماؤه
همـوم وأحـزان وحيطـانه الضر
وأدخلهم فيـه وأغـلق بابه
وقال لهم مفتـاح بابكم الصـبر

(١) يستروح يجد الراحة .

ذلكم يا جماهير المؤمنين ، هو الصبر الجميل ، فى حشــد من جلاله وخطره ، لا غنى لنا عنه فى شئون الدنيا والدين ، فهو سيد الشيم ، وحافز الهمم ، وسر نجــاح الأفراد والأمم ، يأيها الذين آمنوا اصــبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .

الإعجاب والكبر

أيها الاخوة المؤمنون : أما فى هذه الأمســية ، فانى متحدث اليكم بمعونة الله ، حــديث عرة (١) من عرر الأخــلاق الذميمه وداء من أدوائها المستشرية (٢) المستعصية ، ذلكم هو اعجاب المرء بنفسه وتكبره على غيره ، محاولا أن أعرض فى هذه النهزة الخاطفة بعد تصوير خطر ذلك الداء لما ينبغى أن يأخذ به صريع هذا المرض نفسه من أسباب الشفاء ، ضــارعا فى ذلة العبد المضعوف الى المتفرد بالعظمة والكبرياء ، أن يكون ذلك منى فى غير غفلة ولا عجب ولا خيلاء .

أسباب العجب والكبر : أن نصيب النفس الناقصة حظا من علم أو مال ، أو تخلع عليها يد الوهاب من حلل العافية ، أو تنفض عليها من ألوان الجمال ، أو تتيح لها يد القدرة صبرا صابرا على ألوان شــتى من العبــادة وصالح الأعمال ، أو يكون لها من الحسب والنسب ما تباهى به وتفاخر ، ومن الأتباع والأنصار من تعتز بهم وتكاثر ، هنالك يجد الشيطان الى هذه النفس الخبيثة الدخلة ، الواهية النواحي ، طريقا دهسا (٣) وسبيلا ممهودا ، فلا يفتأ يزور لها ويزين ، ويموه عليها ويلون ، خادعا لها عن نفسها ، متعاليا بها عن جنسها ، حتى لترى أنها مفطورة من غير طينة الناس .

كأن عنصــــرها طهــر ومحمـــــدة
وعنصر النــــاس أدناس وأرجاس

مزالق العجب والكبــر ومخــاطرهما : والآن أرى أن أســوق الى حضراتكم ، بين يدى كلامى فى هذه الناحية الخطيرة ، ما تحدث الينا به

---

(١) الحلة القبيحه .
(٢) المتفــاقمه .
(٣) معبدا سهلا .

كتاب الله ، وحذرتنا اياه سنة رسول الله ، وما تواضع (١) عليه جمهرة المتواضعين ، من عباد الله الصالحين ، الذين تأثروا (٢) هدى الرسالة . ونرسموا خطا سيد المتواضعين ، بعد اذ لقنوا عنه دعاءه المتواضع الكريم : « اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين » . دلكم كتاب الله يتوعد ويتهدد : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » — « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » . « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٣) » وهاذاكم رسول الله صلوات الله عليه يحذر وينذر بقوله « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » وقوله : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه» . ويقوله فيما يرويه عن ربه « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي » وهذا أبو سلمة بن عبد الرحمن يحسن الينا والى جمهرة المتكبرين المكابرين بما ساق الينا من هذا الحادث الصغير الكبير ، الهين الخطير : التقى عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمر على الصفا ، فتواقفا ، فمضى ابن عمرو ، وأقام ابن عمر يبكي ، فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : هذا : يعني عبد الله بن عمرو ، زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه » ولقد حق والله لابن عمر أن يبكي ويستبكي ، وحق لنا وكلنا من مركب العجب على حذر ، أن تنزف منا دماء القلوب ، بعد أن تنفد من عيوننا أمواه الشئون(٤) . وأن ترجف قلوبنا ، وتزيغ أبصارنا ، من صورة ذلك الهول المهول ، الذي يخرج علينا به ذلك الحديث النبوي المؤدب الزاجر : تحاجب الجنة والنار ؛ فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة : مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم : فقال الله للجنة :

انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : انما أنت

(١) اصطلح .
(٢) ساروا على برها .
(٣) اذلاء .
(٤) مجاري الدموع .

عذابى أعذب بك من أشاء ، ولكل واحدة منـــكسا ملؤها » وذلك الحديث الآخر الذى يجدع أنوف الشامخين ، ويسوى بأديم الثرى هامات المتكبرين : « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى مثل صـــور الذر ، تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى » — هذا والله سوط المؤدب الحكيم ، يمكنه من أديم أولئك الجبارين المتكبرين فلعلهم أن يتلافوا قبل الفوات ، ولعلهم أن يأخذوا من أنفسهم لأنفسهم فى الحياة ، قبل أن يؤخذوا بها بعد الممات ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، فلم يقتحم (١) بها فى المرديات المهلكات .

ولقد فطن جمهـــرة من السلف الصالح رضـــوان الله عليهم الى ما فى العجب والكبـــر من مزالق ومهالك ، فكتبـــوا على أنفسهم أن يعالجـــوا الأصور (٢) حتى يقوموا صوره ، ويمارسوا الأصعر (٣) حتى يعدلوا صعره ويأخذوا الطريق على من كان مشـــيه المطيطاء (٤) ، وخطـــوه الخيلاء ولو نزعة (٥) الى الملك عرق ، ونماه الى النبالة والمجاداة أب وجد .

وهذا عمر بن عبد العزيز وقد ذهب الى الحج قبل أن يستخلف ، فنظر اليه طاوس بن كيسان وهو يختال فى مشيته ، فغمز جنبه باصبعه ثم قال : ليست هذه مشية من فى بطنه الأخثبان (٦) .

ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه ، وقال أتدرى من أنت ؟ أما أمك فاشتريتها بمائتى درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ، وأبصر ابن عمر رجلا يجر ازاره ، فقال : ان للشيطان اخوانا ، ان للشيطان اخوانا ، وروى أن مطرف ابن عبـــد الله رأى المهلب ، وقدره فى الناس قدره وهو يتبختر فى جبة خز فقال : يا أبا عبد الله . هذه مشية يبغضها الله ورسوله . فقال المهلب أما تعرفنى ؟ فقال : بلى أعرفك ، أولك نطفة مذرة (٧) وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك تحمل العذرة ، فمضى المهلب وترك مشيتهتلك .

---

(١) رمى بها بلا روية .
(٢) مائل العنق تيها .
(٣) الذى يميل خده كبرا .
(٤) مشية فيها تبختر .
(٥) نسبه .
(٦) البول وما اليه .
(٧) قذرة .

أيها الاخوة المؤمنون : ان أدنى ما يعـانى المعجب المتكبر من عجبه وكبره ، بعد غضب الله عليه والملائكة والناس أجمعين ، أن يظن لنفسه الكمال وهو الناقص ، ويدعى لها النبالة والمجـادة وهو الأذل الأخس ولا يتزيد — من علم — بعد اذ حدثته نفسه أنه العالم لا يبارى ، كما لا يتزيد من عمل صالح ، بعد اذ تزيد (١) عليه عجبه أنه المتنسك لا يجارى ، ذلك الى أن يظل من أمره وأمر الناس معه فى هم ناصب وشغل شاغل قائم وقاعد ، فهو الى أن يوقروه ، حتى يلقبوه الزميت (٢) الوقور ، أحوج منهم الى أن يحفلهم أو يبالى أمرهم ، والويل له كل الويل ، لو عرض له أحـد عارفيه فأعرض ، اذ توشك روحه أن تبلغ حلقومه ، غيظا وحنقا ، أن يهون قدره على الناس هذا الهوان ، وقد يسلخ الشهور والشهور فى مثل هذا العذاب الأليم والهم الناصب المقعد المقيم ، فسبحان من محكمته العدل ، وقضاؤه الفصل ، قد عجل للمتكبرين لونا من ألوان العقوبة فى الدنيا لعلهم يتذكرون « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » .

على أن المتكبر بعـد يأيها الاخوة — ليس كفيا لسـيادة ، و لا حريا بمجادة . لأنه شيعة نفسه ، وعبد رأيه ، يصمم (٣) فيه ولو كان راكبا رأسه ، اذ يرى نفسه أمة وحده ، فهذا عبد الملك بن مروان يقول لمصعب بن الزبير ، « أتهددنى بأخيك ؟ يريد عبد الله بن الزبير ، والله ان فى أخيك لثلاث خصال لن يسود بها أبدا : اعجاب بنفسه واستقلال برأيه ، وبخل غل يده ، والله لن يسود . والله لن يسود .

علاج الكبر : وهأنذا يأيها الاخوة فى الله أسـتعين الله وأنتظم ثياب الرئيس ابن سينا ، طبيب النفس والجسم دقائق معدودات ، أحتال أن أعالج فيها وصف دواء ناجع لهذا الداء الدوى الوبيل ، وأكبر الظن ألا تظنوا بى الظنون ، فتحسبونى دجالا أو محتالا ، ولعل أدنى ما يدفع عنى هذه التهمة المريبة ، أنى لا أنتظر من حضرات المعجبين بأنفسـهم لابى ، أن يضوا (٤)

---

(١) كذب عليه .
(٢) الشديد الوقر .
(٣) يمضى فيه .
(٤) نص له أعطاه مليلا .

بشيء من الأجر ، لهذا المتطبب المدعى فى ثوبه المستعار ، فاذا كان العلم سر اعجابك وتكبرك يأيها المعجب المتكبر ! فدواؤك أن الجهل خير من علم يثمر كبرا ، وأن العلم الصحيح ما علم صاحبه أن الكبر من صـفات الله وحده ، قد اختص به ذاته ، وأنه سبحانه يقول لعبده « ان لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا ، فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى » كما أطلب اليك أن تفطن الى أن العلم وحده لا تصحبه الهداية ما لم يصحبه التوفيق ، فكأين من عالم أضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟ ! ثم اقرأ بعد هذا الحديث المؤدب « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق أقتابه (١) فيدور بها كما يدور الحمـار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشر وآتيه » اقرأ هذا الحديث واسأل الله العافية يتطامن رأسك ويتواضع كبرك .

واذا كان المال وكثرة الأتباع والأنصار سر طغيانك ، فكيف تنسى أن كل أولئك عارية مسترجعة وأن الذى وهب قادر أن يسترد ، وأنه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ، وهأنذا أخلى بينك وبين قصة واعظة زاجرة ، عالج بها كتاب الله اصلاح ذوى النفوس الطاغية اللاهية ، وأكبر الظن أنك لم تسمعها ، أو قد سمعتها ولكن تغشتك غفلة الغافلين ، وطغيان المتجبرين ، أما الآن فسمعك اليها وقلبك لديها « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر ، فقال لصـاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ، لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا . ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ، ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا ، فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ، أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ، وأحيط

(١) امعاؤه .

بثمره ، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ، ويقول : يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا » صدق الله العظيم .

واذا كان سر اعجابك ورعك وتقواك ، فحدثنى بعيشك ، أعلى ثقة أنت من حسن الخاتمة ؟ وهذا رسول الله صلى‌الله عليه وسلم يقول : « ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » وهل عرفت أنه لا يحبط شىء شيئا ، ما أحبط الاعجاب عبادة العباد ، ذلك أنه يحسل فى ثناياه معنى المن على الله ، ولله وحده المن والفضل ، فقد روى أن خليعا من بنى اسرائيل مر بعابد ، وكان على رأس العابد غمامة تظله ، فقال الخليع فى نفسه ، هذا عابد بنى اسرائيل ، فلو جلست اليه لعل الله أن يرحمنى ! فجلس اليه ، فقال عابد بنى اسرائيل ، كيف يجلس الى ؟ ! ثم تبرم به وقال : قم عنى ، فتحولت الغمامة الى رأس الخليع ، وبعد فهل طرد ابليس من حظيرة القدس والرحمة الا الاعجاب بنفسه والاستكبار على غيره .

واذا كان سر كبريائك قسامة وجهك ، وفراهة (١) جسمك ، وشدة أسرك (٢) ، فأرسلها نظرة خاطفة الى ما احتواه جوفك ، تعرف أنك تكذب الناس بجمال عنوانك ، وتخدعهم عن خبيث أو ضارك وأدرانك ، ثم خبرنى بحسنك ، هل لهذا الحسن بقاء ، وفى كل يوم تتعاور سطوره بالمحو أيدى الفناء ، وما خطب قوتك التى أتعبت بها ألسنة الفخار ، هل تعدل جهد بغل أو طاقة حمار ؟ لكأنى بك قد اتخذت على الأيام عهدا ، ألا تعاديك عواديها وعلاتها ، فتغادرك مكبودا أو مفئودا أو مسعودا — لا . لا . ان وعكة من حمى كفيلة أن تعفى على هذا السراب ، وتطوى صفحات ذلك الكتاب ، فلا قوة ولا جمال ولا شباب ، وهل أنا وأنت وهو الا حفنات تراب تمشى فوق تراب .

أما اذا كان سر اعجابك الحسب العد (٣) والفخار بالأب والجد ، فأرد

(١) الملاحه والقوة .
(٢) قوة سبك .
(٣) الكثير العديم .

نفسك على أن تعلم أن تواضعك فى حسبك ، أشرف لك من حسبك ، وأن رسول الله صلوات الله عليه كان يقول : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئا » وأن أبا ذر يقول : قاولت (١) رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت له يابن السوداء ، فقال رسول الله : « يا أبا ذر ، طف الصاع ، ليس لابن البيضاء ، على ابن السوداء فضل ، فقال أبو ذر ، فاضطجعت وقلت للرجل : قم فطأ على خدى » .

وبعد فهأنذا أختتم كلمتى أيها الاخوة برجائى اليكم أن تعملوا بهذا الحديث النبوى الحكيم ، فانه خير ما يقتل الكبر ، ويحيى التواضع : « انه يعجبنى أن يحمل الرجل الشىء فى يده : يكون مهنة (٢) لأهله ، يدفع به الكبر عن نفسه » .

وأن ينطق منكم لسان الحال دون لسان المقال بهذا الدستور الحكيم لهذا الشاعر الحكيم :

لا ذنب لى قد رمت كتم فضائلى
فكأنما برقعت وجه نهارى
وسترتها بتواضعى فتطلعت
أعناقها تعلو على الأستار

يهدينا ويهديكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(١) قاولت جادلت .
(٢) مهنة خدمة .

العفـــاف

أيها الأخوة المؤمنون :

يتقاضانا البر بمكارم الأخلاق أن نستعين معونة الله سبحانه ، فنعقده حديثا كريما قويما ، فى مآثر خلق كـريم قويم ، يكاد لجلال خطره أن يعقد له من دونها اللواء ، ويكتب له عليها الولاء . ذلكم هو خلق العفاف ، الذى ينتظم معناه عير واحدة من كرائم الخلال ، ويستطيع فى عير دعوى أن يتعاقب لفظه ولفظ الكمال على معنى الكمال ـــ ولعل من توفيـق الله أن يتيح لنا جميعـا فى حـديث العفاف ، والتحلى بحليـة العفاف ، عفافة اللسان ، وأداة البيان ، والله وحده المستعان .

ان العفاف اسم واحد تحته أسماء ، وجسم نبتت فى نواحيه أعضاء ، فالعفة فى ذات اليد نزاهة واباء ، والعفة فى ذات اللسان ، كرامة وحياء ، والعفة بظهر الغيب امانة وولاء ، والعفة عن الكذب صدق وفضل ، والعفة عن الظلم رحمة وعدل ، والعفة عن ألوان الشهوات عفاف ونبل ، ولئن صح أن لكل شىء روحا ، ان روح العفاف أن يقنى المرء حياءه ، وأن يلم عن أدران الشهوات رداءه ، فقد عرفنـا وعرف الناس قبلنا ، أن من اسـتحيا جريمة لم يقـارفها ، ومن خـزى من رذيلة لم يواقعهـا ، ولأمر ما اختص رسول الله صلى الله عليـه وسلم الحياء ، فجعله خلق الحنيفية السمحـة بقوله : ان لكل دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء » وتحدث عن منزلة الحيى من الله بقوله : ان الله يحب الحيى الحليم ، ويبغض الفاجر البذىء : وهل الدين بعد العقيـدة الراسخة ، الا أن يغالب المـرء طبـاعه المركوزة ، وشهواته المحفوزة ، متشبثا بعفته ، عائذا بحيـائه ، ما راودته شـهوة ، واستخفته نزوة .

تلك منزلة الحياء والعفاف من الدين ، وانى مســائلكم يا جماهير المؤمنين ولعـلكم مسائلى ، هل أصاب شبابنا وشوابنا حظا من هـذا الحياء

الحيى ، والعفاف العفيف الرضى ، ذلكم ما سنعرض له بعد ، غير مبالين الا الحق ، ولا قاصدين الا القصد ، ولا متوخين الا الاصلاح . لكأنى بكم تقولون ، وماذا عسى أن تفيد من حديثـك الينا ، فى أمر هو منا ملمس اليد ، ومرأى العين ، درسـناه حتى حفظنـاه ، وشـهدناه حتى مللنـاه ، وما حاجـة من خبر ، الى الخبر ، ومن رأى ، الى اطيـاف الرؤى ، نعم هو ذاك ، ولكنكم شهدتم فسكتم ، وشهدت فلم أطق سكوتا ، ولم يستطع لسانى صبرا .

كتبت يد التاريخ النزيه ، للمرأة المسلمة فى عصورها الزاهيةالخالية ، سجل نبالة ومجادة وفخار ، فاقرءوها فى توفرها على اسعاد بنيها ، وترفيه ذويها . واقرءوها فى الضافى من ثيابها ، مزهوة بركوعهـا وسجودها ، ثم اقرءوها فى ميادين جهـادها وجلادها ، وقد لبست حيـاءها ، قبل أن تلبس رداءها ، تجدوها الفضيلة يحتويها كتاب ، والشمس الخفرة الحيية ، تأبى الا أن تستر مفاتنهـا بسحاب هو النقاب وما الى النقـاب ـــ هـذا بعض ما سجله التاريخ لمفخـرة التاريخ ، فماذا عسى أن يسجل لفتيات الجيل ، وربيبات النيل ؟ لعـله أن يسجل أن الفتـاة الصبور الشكور ، قد عبثت بها يد المحـاكاة العميـاء ، فاستحالت الجاحدة المتبرمة الملول ، هاج فضولها كتاب الفضول من أرباب الأقلام المريبة (١) الظنينة الجامحة ، وأطمحـوا بصرها ـــ لا أنار الله أبصارهم ـــ نحو فتاة الغرب ، وللغرب نظمه وأساليبه، فاستشرفتها (٢) ، وأعجبت بهـا ، ومضت تتأثرها (٣) فى سـبيل الأخس الأدنى ، وتقترح على الزمان من متعها ما تهوى .

برمت (٤) بالخدر ، فأين أزمعت يا بيضة الخدر ، وهتكت الستر ، فظل يبكى عروسه الستر ، وهأنتذى قد خلعت الحياء ، قبل أن تخلعى الرداء ، وكشفت عن السـاق ، وزحمت الرجال فى الأسـواق ، ومشيت تتقتلين (٥)

---

(١) المريبه : أراب فعل ما يوجب الريبه ، الظنينه : المتهمه .
(٢) استشرفتها : تطرب اليها .
(٣) تأثرها : تسير فى أثرها .
(٤) برمت سئمت ومللت .
(٥) تمايلى .

وتتخطرين ، وترسلينها نظرات صائدات فاجرات ذات الشمال وذات اليمين ، فمن رآك رأى الفتنة رأى العين ، وأبصر الضلالة تمشى على رجلين ، وهل يأسى (١) الشيطان بعد وأنت جندية غير المجهول ، وساعده الأزل المفتول ، وأداته التى ينال بها المأمول وفوق المأمول ، أسفرت فكنت المخازى سافرة ، وتبذلت بعد صيان فأصبحت السلعة بائرة ، تزجيها الأيدى وتركلها الأرجل ، وتقتحمها لهوانها العيون .

اسمعى اسمعى ، ان كانت يد الهوى قد أخطأت فى قلبك بقية من دين ، أو أثارة من يقين ، أو صحوة من ضمير ، فها هو ذا رسول الله عليه صلوات الله يحدثك حديثا مؤدبا زاجرا ، لعله أن يصيب من هوى نفسك متتلا ، انه يتوعدك ويتهددك ، بعد أن نظر اليك بعين الغيب ، : صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم لهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت (٢) المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا : — وهل غاب عنك الحديث القائل : الحياء حسن ، ولكنه من المرأة أحسن ، ذلك أن حياء المرأة مشتق من حيائها ، أو غاب عنك قوله سبحانه : وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن : الى قوله عز من قائل : ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

وهل أتاك نبأ أختك ليلى العامرية وقد قيل لها ، هذا قيس ، مات لما به من عشقك ، قالت : ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه ، قيل : فما عندك حيلة تخفف ما به ؟ قالت : صبرى وصبره ، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

أفبعد هذا تبرزين أيتها الفتاة البرزة (٣) فى أبهى مفاتنك ، وأزهى محاسنك ، متمردة على سلطان العقل والدين والحياء ، وتغشين فى غير

---

(١) يأس الشيطان : يحزن .
(٢) البخت : نوع الابل .
(٣) البرزة : المرأة الجميلة الكثيرة البروز للرجال .

استحياء مواطن اللهو المريبة ، ثم تستجيبين فى غير روية الى اللائى يرين فى الرقص فنا بديعا رفيعا ، لا رقيعا ولا وضيعا ، ويتأبين الا أن يقسن به الحفلات ، تنفذ من أجلها رقاع الدعوات ، ثم لا يألون بدائع الفن اخراجا على أعين الناس لعلهم يشهدون ؛ هنالك يرى الرائى — لا رأت عيناه — القد المائل ، والنهد الماثل ، والتثنى الرقيق ، والخصر الدقيق ، والساق الممتلئة والساعد الريان ، والخطا المؤتلفة والبطن الضامر ، هذا الى أعين ناعسة حالمة ، وفتنة يقظى قاعدة قائمة ، والعجب العاجب أن يتفرق الجمع الجميع ، راضيا عن نفسه ، لا يهوله الدين الحنيف صريعا ، ولا الخلق الكريم وضيعا ، ولا الموت الأدبى ذريعا (١) رحمتك اللهم وغفرك ، فقد جهدنا جهد البلاء ، ورزأتنا فى أخلاقنا رزيئة يعز فى مثلها العزاء ،

يا جماهير المؤمنين ، هذا فصل الصيف يوشك أن يطرق الأبواب مؤذنا بالنفير الى المصطاف ، وليس منكم من فاته أن يسمع ان فاته أن يرى ، ما تأمى (٢) به الحرائر ، وتشق له المرائر ، هنالك فى حمام استانلى وغير استانلى ، تتجرد المرأة من ثيابها ، بين سمع الأرض وبصرها ، كما ينجرد الرجل من ثيابه ، كالسيف عرى متناه عن الخلل فيا لهما انسانين أبيا الا أن ينسلخا من انسانيتهما ، الى حيوانية صرف متكشفة هلوك وقاح ؛ والله لكأنى بحيوان البر والبحر يستغرقه العجب من شأن هذا الحيوان الآدمى ، يكرمه الله بستر سوءته ، فيأبى لنفسه الا أن يقسرها على الفضيحة الفاضحة ، والهوان المهين « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » . صفحك اللهم وغفرك ، فقد أمرت فما ائتمرنا ، وذكرت فما اذكرنا ، وانعمت فما شكرنا .

ولست فى الحق يا جماهير المؤمنين بالمتجنى فى حكومته ، فاعير الفتاة تبرجها وتبذلها ، ولا أعير الفتى افتتانه فى ألوان اطرائها واغرائها ، فكأين من شابة رماها الطريق ببعض سقاط الشباب ، فما جهد أن ابتاع منها أغلى ما يجب أن

---

(١) ذريعا : فاشيا منتشرا .

(٢) تامى : تصير اماء وجوارى .

تغالى به ، بثمن لا يعدو الوعد الكذاب ، والأمانى العذاب ، من أجل هذه الفوضى الخلقية ، عانينا ونعانى فى الزواج أزمة آزمة ، بعد اذ استشرى فى مصر المؤمنة المسلمة ، داء المخادنة (١) الداعرة الفاجرة ، ولو قد ظللنا بهوى هوينا فى هذا المنحدر المبير (٢) لذهبت ريحنا ؛ بل لزهقت روحنا ، بعد اذ ظلمنا أنفسنا ، وما ربك بظلام للعبيد .

يرحم الرحمن جميل بن معمر ، فقد سأل العباس بن سهل ، وهو يجود بنفسه ، ما تقول فى رجل لم يقتل نفسا ولم يزن قط ، ولم يسرق ، ولم يشرب خمرا قط ؟ أترجو له الخير ؟ قال العباس أى والله ، فقال جميل ، انى لأرجو أن أكون ذلك الرجل ، قال العباس : سبحان الله ، وأنت تتبع بثينة منذ ثلاثين سنة ، قال جميل : انى لفى آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة لا نالتنى شفاعة محمد ، اذ وضعت يدى عليها لريبة قط ، — وكذلك يكون الحب العفيف ، والهوى العذرى الشريف ، هذا ولن أعفى يا جماهير المؤمنين أولياء أمور الفتيات ، من آباء واخوة وأزواج لان عليهم فى ذلك تبعة أى تبعة ، فما هان شرفهم الا بتهاونهم ، ولا أذيلت (٣) أعراضهم الا باعراضهم واغماضهم ، فهلا أشعروا الفتاة أنها معقد عزهم ومناط شرفهم ، وأنها حارسة لجمال أنوثتها لا مالكة ، وليس من حق الحارس أن يخرج عن شىء مما يحرس الا بأمر المالكين ، وهلا قرعوا سمعها وأسماعهم بحديث سعد بن عبادة اذ يقول : لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربت رأسه بالسيف : فبلغ ذلك رسول الله عليه صلوات الله فقال : لا تعجبوا من غيرة سعد ، فوالله انى لأغير منه ، والله أغير منى ، من أجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن ، اذ لا أحد أغير من الله ، ولذا الله ليغار للمسلم فليغر .

بم يكون العفاف ؟ : أمر يجب أن نعمل له الحيلة ، ونبتغى اليه الوسيلة . حتى نخلص من شر هذه الفتنة المشئومة ، ونتقى خطر هذه الغلمة

---

(١) المخادنه : المصاحبة غير البريئة .
(٢) المبير : المهلك .
(٣) أذيلت : امتهنت واحتقرت .

المنهومة ، وهأنذا جاهد أن أعرض لهذه الناحية في كلمات موجزات قصار ، ما واتتني الفرصة ، ووسعني المقام .

يجب أول ما يجب ، أن نأخذ نابتة البلاد بالتربية الدينية الصادقة الصالحة ، ان في المنزل وان في المدرسة ، فان يدها الصناع كفيلة أن تغرس في نفوسهم حب الله ، وخوف الله ، وطاعة الله ، ولكننا نجهر بها كلمة تقرع أسماع المسيطرين على سياسة التعليم في هذا البلد الغبين ، لقد ظلت مناهج التعليم قبل قيام هذه الثورة المباركة خلوا من روح العناية بأمر الدين ، الا من كلمات مزورة جوفاء ، كخادع الطلاء وثوب الرياء ، ولكن روح الثورة المباركة العارمة نفخ في مناهج الدين روحا وثابة عالية ، كان لها أثرها البعيد في نشر الوعي الديني الذي أخذ جماهير الناشئين بتنوير القلوب وتطهير النفوس والاستمساك بمبادىء الخلق الكريم ، فجزى الله أولياء الأمر فينا من قادة الثورة الأحرار خير ما يجزى به عبد أسلم لله وجهه وأخلص له قلبه ، ومكن لمبادىء دينه القويم من قلوب جماهير الناشئين .

ان الفتاة دقيقة الحس ، شاعرة النفس ، فلو قد باكرناها وهي اللدنة العود . الناعمة الأملود (١) بهدى دينها القويم ، اذن لصلب عودها على الغامزين ، ولعزت قناتها على اللامسين .

تحدث رجل فقال : خرجت في ليلة مظلمة ، فاذا أنا بجارية كأنها الشمس مشبوبة من سحابة كانت تواريها ، فتعرضت لها ، فقالت : أما لك يا هذا زاجر من عقل ، اذا لم يكن لك ناه من دين ؟ فقلت يا هذه انه والله لا يرانا الا الكواكب ، فقالت : يأيهذا الجاهل وأين مكوكبها ؟ — تعني خالقها ومسيرها — ثم ذهبت عني .

وكذلك الفتى ، لا يزال معنيا بمراقبة الله في كبره ، اذا اصطنع العناية بأمور دينه وأحسها من لدن منشئه في صغره .

أغريت غانية من غواني الكوفة بالربيع بن خيثم العابد ، فتعرضت له وهي في أكمل زينتها ، عند منصرفه من المسجد ، فراعه أمرها أول أمره ،

(١) الاملود : الناعم اللين منا ومن الغصون .

مقبلة عليه ، سافرة عن وجه كأن للبدر بعض سناه ، ولكنه ما لبث أن قال لها : كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك ، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف لو قد نزل بك ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين ؟ أم كيف بك لو قد سألك منكر ونكير ؟ فصرخت صرخة سقطت بعدها مغشيا عليها ، فوالله لقد أفاقت من غشيتها ، وتحاملت على جسمها بألوان مضنية من العبادة ، حتى لقد وافاها أجلها وكأنها عود محترق .

هذا وللقدوة الصالحة خطرها فى أخلاق الناشئين ، فانهم لا يتسالكون أن يتأثروا قدوتهم ويحتذوها ، فما أحرانا أن يجدوا لهم فينا خير قدوة ؛ كما كان لنا فى رسول الله أحسن أسوة — وللقصص كذلك مثلا ومدونا أبعد الأثر فى نفوس المشاهدين والقارئين فما أهون على الرذيلة أو الفضيلة أن تتسلل الى النفس متسربة من خشبة مسرح ، أو سبيبة خيالة (١) أو صفحة كتاب ؛ فهل آن لأولياء الأمر فينا أن يضربوا بيد الرقابة الحازمة النزيهة على أيدى العارضين والممثلين والمؤلفين ؟

أما منع اختلاط الرجال بالنساء ، فانه الدواء كل الدواء لهذ االوباء ؛ فهذه فاطمة البتول بنت رسول الله وقد سئلت ، ماخير شيء للمرأة ؟ فقالت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل :

صدقت والله فاطمة ، وصدقها الواقع الملموس ، فان الغرائز فى الجنسين كامنة ، والفتنة بينهما نائمة ، ولا يشب الغريزة الا امتزاج واتصال ، ولا يوقظ الفتنة الا حوار وجدال .

وهذه أم سلمة تقول : كنت عند رسول الله عليه صلوات الله وعنده ميمونة بنت الحارث ، اذ أقبل ابن أم مكتوم ، فدخل عليه بعد ما أمرنا بالحجاب ، اذ قال رسول الله عليه الصلوات : احتجبا عنه : فقلنا يا رسول الله ، أليس أعمى لا يبصرنا ؟— فقال : أفعميا وان أنتما ؟ — ألستما تبصرانه ؟ : — وهكذا شاء حزم النبوة الحكيمة أن يجتث أصول الفتنة حتى فى غير مظان الفتنة ، وأن يأخذ على الشر سبيله ، وان بدا بادى الرأى أن ليس له سبيل .

(١) سبيبة خياله : ستار السيما

اعلم يا صـــديقى ان لم تكن تعلم أن الله سبحانه قد حذرنا نفســه وحسابه ، وأنذرنا بطشه وعقابه ، ان نحن استطبنا المعصية ولم نستوخمها ؛ وارتضينا المنكر ولم نتناه عنه ، فاستمع لما أوحى الى عبده محمد عليــه الصلوات ، وليكن اصغاؤك بأذن نهاك ، لا بأذن هواك « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعــلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون : فقال الصديق الغوى المكابر ، وارحمتاه لك ، لقد حرمتك هذه النعــرة الدينية متع الحياة ومناعمها .

فقلت : فمتى كان حبس النفس عن شهواتها بلادة ، واخــلادها الى حمأة هواها كــرامة ، وتدليها الى حيــوانيتها رفعة وسيادة، وهل برزت كواكب الســماء ؛ الا متلفعــة بأردية الظلمــاء ؛ ان أمكنت عين الرائى من وجوهها ، فهيهات أن تسكنها مما وراء هذه الوجوه .

قال صــديقى : هذه أمم الغــرب قد تعــرت نســاؤها للاســتحمام والاستجمام ؛ ولم يعيرها أحد اجتماع رجــالها بنسائها فى حمام ، فهل سبقنا هذه الأمم مدنية وشأوناها حضارة ؟ حتى نرى عــارا علينا أن نبلغ مداها ؛ أو نتــأثر خطاها ، أو نتشبــه بها فى بعض عادها وأســاليبها ؟ فقلت

أعيذها نظرات منك صــادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

لا تخدعنك نفسك ، ولا يكذبنك حسك ، فليس ما يأخذ عينيك من هذه المفاتن الخادعة ، الا كفارغ الطبل ، له دوى وله رنين ، وما هــو بالمكتنز (١) ولا هو بالسمين ؛ وهل كان من وراء ما كان ؛ الا تداعى بناء الأسرة ، وسوء نظام العشرة .

ان فى انسلاخ المرأة والرجل من ثيابهما ، على هذه الصورة الفاضحة الشوهاء ، انسلاخا لهما من انسانيتهما الى أدنى صور الحيوانية المتكشفة الوقاح ، بل لا أظلم الحيوان ، فللحيوان جلده الذى يغطيه ، أو صوفه أو وبره الذى يزينه ويقيه ، أو ريشــه الذى يحليه ويقــويه ، فاذا ارتضى

(١) المكتنز الممتلىء .

الانسان لنفسه هذا الهوان ، كان أدنى حيوان أدنى الى شرف من الانسان — وهذه المرأة البائع (١) التى يكثر طلابها لجمالها ، اذا انجردت من ثيـابها أمام الرجل ، كانت كالمسـلوخ (٢) تقـول للذئب : كلنى : دون أن ترهق نفسك باقتناص ، أو تظفر (٣) جسـمى بافتراس — ولا على الذئب بعد أن أن ينهشها لحما ، ويعرقها عظما ، ويمتصها دما ، فهى التى ذبحت وسلخت ، بل هى التى مضغت وابتلعت —

آه يا صديقى ، لو فطنت الفتاة الغر الى حكمة الشارع فى احتجابها واحتجازها ، اذن والله لضربت (٤) بينها وبين الرجل سـورا ليس له باب ، فان فى هـذا الى احتفاظها بعفتهـا وقداسـتها ، وزهوها بغضـارتها (٥) ونضارتها ، حافزا ملحا يحفز همة الرجل أن يتخذها لنفسه حليلة لا خليلة ، وأن يعقد معها شركة مباركة عمرها الحياة ، فاحتجـابها عنه جعلها أشهى غذاء لخياله الخصيب ، وأمله البعيـد — هكذا يريد الشارع الحكيم أن تكونى أيها الفتـاة الغريرة مطلوبة لا طالبـة ، مرغوبة لا راغبـة ، فهـل تقطنين ؟ وهل تفعلين ما تؤمرين؟ ويا ليتك تكتنهين (٦) معى سر وصف الله سبحانه للحـور العين (٧) اللاتى أعدهن جزاء للمتقين ، اذ يقول « حـور مقصورات فى الخيام » ، « وعندهم قاصرات الطـرف عين كأنهن بيض مكنون » لتستيقنى أن جمال المرأة فى احتجازها واستتارها ، لا فى بروزها واستهتارها — فقال الصديق :

ان لكلامك لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، فما أشبهه بالحق ، وما أدناه من الصديق ، فايه (٨) يا صـديقى ثم ايه — فقلت له : اذا كنت يأيهـذا الصديق صادق الرغبة فى مزيد ، فاذنك الى ، وقلبك لدى ، فقال هات ،

---

(١) البائع : النافقة لجمالها .
(٢) المسلوخ : الشاة سلخ عنها جلدها .
(٣) ظفرة : غرز ظفره فى جسمه .
(٤) ضربت الخيمة : نصبتها .
(٥) الغضارة : النعمة والخصب .
(٦) تكتنهين : تدركين كنهه .
(٧) الحور : جمع حوراء لمن بعينها حـور ، وهو شدة سـواد العين فى شـدة بياضها .
(٨) ايه : زدنى .

فقد استحالت لحديثك كل جوارحى قلوبا وآذانا ، فاستأنفت الحديث وآنا ثمل بنشوة النصر .

شكا بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اغتمامه به ، فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ فقال : لا ، فقال ، أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟ فقال : لا ، فقال : أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ فقال : لا ، فقال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم ؟ فقال : لا ، فقال : أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض (١) بخمسين ألفا — فكيف يا صديقى بمن رزقوا فوقها المال الوفير ، والجاه العريض ، والصيت البعيد ، لقد والله قعدت بهم غفلتهم عن شكر الله ، فانهم لم يصرفوا نعم الله فيما يحب الله . بل اتخذوا الصحة والشباب ، والمال والجاه ، أدوات عصيان وطغيان ، وكفروا بأنعم الله ، وليذيقنهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه ، وأمرهم الله أن يطيعوا رسوله فما أطاعوه ، وهو الذى يقول عليه الصلوات : انما انا لكم مثل الوالد لولده ، انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش ، وأنا آخذ بحجزكم (٢) عن الوقوع فيها : ويخاطب جماهير المخدوعين عن انفسهم ، المكتفين من غير عمل بظواهر الايمان ، الطامعين مع تقصيرهم فى أساليب الغفران : ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل : ويقول عليه الصلوات : ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء : كما يقول : النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها خوفا من الله تعالى ، أعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته فى قلبه . — هكذا يقول الرسول الكريم ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ، كأن لم يكفهم أن يقارفوا الخطيئة من وراء جدار ، ولم يشف ما فى نفوسهم الا أن يحتضنوا الجريمة على أعين النهار ، فى ثبج (٣) البحار أو على شواطىء

---

(١) العروض للأمتعة لا تكون حيوانا ولا عقارا .
(٢) آخذ بحجزكم أمسكم .
(٣) ثبج : وسط .

البحار ، لقد والله باعوا جواهر الدين بسفاتن الدنيا فما أصبرهم على النار
— أما الآن فاسمع أيها الصديق ، كيف يكون خوف الله ومراقبة الله .

خرج سليمان بن يسار من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء (١) فأخذ رفيقه السفرة (٢) وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا ؛ وجلس سيلمان فى الخيمة ؛ وكان من أنضر الناس وجها ، فبصرت به اعرابية من قلة الجبل ، وانحدرت اليه ، حتى وقفت بين يديه ؛ فأسفرت عن وجه كأنه فلقة قمر ، وقالت أهنئنى : فظنها تريد طعاما ، فقام الى فضلة السفرة ليعطيها فقالت : ما الى هذا قصدت ، وانما أردت ما يكون من الرجل الى أهله : فقال سليمان : لقد جهزك الى الشيطان : ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ ينتحب ؛ فلما يئست رجعت من حيث أتت ، وعاد رفيق سليمان فرآه وقد انتفخت عيناه وانقطع حلقه من كثرة البكاء . فقال ما يبكيك ؟ فكتمه أمره أول الأمر ، ثم لم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابيه ، فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى أحر بكاء ، فقال له سليمان وأنت ما يبكيك ؟ فقال أنا والله أحق بالبكاء منك ، لأنى أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها ، فلما انتهى سليمان الى مكة ، سعى وطاف ، ثم أتى الحجر (٣) فاحتبى بثوبه ، فأخذته عينه فنام ، واذا رجل وسيم الطلعة ، طوال القامة ، له شارة (٤) حسنة ، ورائحة عبقة ، فقال له سليمان : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا يوسف ، قال : يوسف الصديق ؟ قال نعم ؛ قال : ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز نعجبا ، فقال له يوسف : شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب .

فما راعنى يا جماهير المؤمنين والمؤمنات ، وقد جريت مع صديقى فى الحديث الى هذا المدى ، الا أن أرى هذا الصديق الذى أحاوره وأقاوله ، قد جهش وانتحب ثم قال : لقد والله عرفت فيك الصديق الذى وفى ، وعرفت أنى اقترفته ذنبا كبيرا ، أتبع ذنبا كبيرا ، وهأنذا أعتزمها على يديك توبة نصوحا .

---

(١) الابواء : منزل بين مكه والمدينه .
(٢) السفرة : أصلها طعام يتخذ للمسافر وقد تطلق على ما يؤكل عليه .
(٣) حجر الكعبه ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال .
(٤) الشارة : اللباس والهيئه .

الأمانة

أيها الأخ المؤمن : دعني قبل أن اتحدث اليك في موضوع الأمانة ، أقدم بين يديك قصة عجبا ، يتجلى أمام عينيك في مرآتها لون من ألوان الناس ، يدعون أنهم مسلمون ، وما هم من الاسلام في قليل ولا كثير . فقد انسلخت عنهم أبرز صفات الاسلام ، وأحلى ثمرات الايمان ، وهي الأمانة .

ها هو ذا صديقي الذي عرفت فيه،نفسا مستشرقة للهداية.متنسمرةللعبادة، متوفرة على الصلاح ، يصافحني وقد تجهم وجهه ، وزوى ما بين عينيه . فقلت : أخبرني يا صاحبي ما وراءك . قال لقد والله تكنفني العجب ، حتى لم يدع لي وراء ولا أماما ، وما حاجتك يأيها الصديق ، أن أقتص عليك القصة ، بعد اذ طارت الفرصة ! وبقيت الغصة ، فقلت نشدتك الله ، وبما بيننا من آصرة (١) ود ، ووشيجة حب ، أن تجلو على عيني وجه قصتك ولو دميما ، فلقد نطالع جميعا في أفق هذه الدمامة ، اشراقة العظة وجمال الذكرى ، وحسن الاعتبار ، فقال : أما اذ لا بد من ذلك ؛ فاستمع أحدثك :

عرفته حسن السمت (٢) ، طويل الصمت ، يتحدث ظاهره بأن أباه قد نشأه على التقوى ، ورشحه (٣) بالصلاح ، واذا تحدث في الفينة بعد الفينة ، فعن الوفاء والأوفياء ، والأمانة والأمناء ، واذا قاول (٤) في ذلك ، كان عن قصده أبين ، وبحجته ألحن ، وما زال ذلك شأنه حتى استطار خبره ، ونبه ذكره ، وعبق بين الناس عطره ، فكان الأسوة بها يؤتسى ، والمنارة بنورها يهتدى ، والمثل الأمثل ، يضرب للناس فيسير ، ولا أكتمك يا صاحبي . أني لم أختدع بهذا العنوان المزور طويلا ، فاني بحمد الله لا أزدهي (٥) بخديعة ،

---

(١) رابطه وصله .
(٢) الهيئه .
(٣) رباه .
(٤) جادل .
(٥) استخف واخدع .

وان ظل بأسلوبه الماكر الساحر يلبس على السواد ، وبدره الزائف البائر ، يشترى عقول العباد ، فلقد يروعك منه بادى الرأى استحياؤه المصنوع ، وتواضعه الموضوع ، ولو تكشفت لعينك الرغوة عن الصريح ، لعرفت أنه عن مدح نفسه يتحدث ، وسمعت بين جوانحه قلبا يهتف باسم صاحبه ويصفق ، ولو لمحت معى خلجة عينيه ، وقلصة شفتيه ، لاستيقنت أن ذلك الظاهر المتبلج المتبسم ، غطاء لباطن كالح متجهم ، وأن خلف هذه الجنة الخضراء المزدهرة نارا حمراء مستعرة ، ولا الله ما جهلت مذ كشف الله عنى الغطاء ، أن هذا الدعى المهرج ، سقيم دواعى الصدر ، لئيم بنات الفكر ، وأنه تخذ من مظاهر هذا الصلاح الفاسد ، والتقوى الفاجرة ، دريئة (١) يستتر بها .

قال صاحبى : ثم ضرب الدهر بيننا بيد الفرقة فأمسينا متفرقين ، ولبثت من عمرى عدد سنين لا أسمع عنه خبرا ، ولا أتقفى له أثرا ، حتى اذا كانت أمسية أمس ، قال لى الصادق الأمين ، فيم أنت ؟ والناس يتساءلون عن النبأ العظيم ، ويتواصفون الحدث الجسيم ، قلت يا رعاك الله أى خطب نزل ، وأى حادث جلل ، قال أفرأيت اذا كبكب على الآملين صرح الأمل ، ودكت بالسائرين قنة الجبل ، وهوى النجم الثاقب من عل ، اذن فقد رأيت صورة الخطب الجسيم — ولتعلمن نبأه بعد حين — .

ثم قال أو تعرف فلانا الورع الأروع (٢) ، قلت ومن يجهله ! قال : اختص أحد الماجدين به نفسه ، حتى كان سمعه الذى به يسمع ، وبصره الذى به يبصر ، ويده التى بها يبطش ، وقد نسل هذا الماجد فتى وفتاة ، كانا حياته فى هذه الحياة ؛ نشئا فى الحلية ؛ وغذيا بالنعمة ، وصنعا فى طفولتهما على عين الله ، حتى فرعت منهما القامة ، وكست الجسمين الجسامة ، وتألقت على الوجهين الوسامة والقسامة .

وشاءت الجدود العواثر ، أن يكلف النبيل فلانا هذا تثقيف ولديه الحبيبين ، وأن يكتب له الولاية عليهما بعد اذ يحين الحين ، ومن استرعى

---

(١) مايستتر به الصائد ليحمل الصيد .
(٢) من يعجبك منظره .

الذئب فقد ظلم ، ولعله أن يكــون مفتونا بهذا الــولى المتذئب كما فتن السواد ، (١) بعــد اذ أحكم اخفــاء أظافيره الداميــة ، تحت أردانه (٢) الضافية ، وتكلف الزماتة (٣) واصطنع الوقار ، وقال للأمانة الخائنة المائنة ، كونى الشعار وكونى الدثار ، ثم خرج على أعين الناس فى ثوبه المستعار ، فخاله الأغرار أنصحهم (٤) جيبــا ، وأمثلهم (٥) طريقة ، قلت يا صــديقى عجبا لهذا الاطناب الممض الأليم ، أولا توجز ، حتى لا تدع صديقك يتحرق شوقا أن يقف على مدى هذه المأساة ، فسكتها هنيهة ، كأنما كان يستجمع فيها جهــده الشتيت ، ويشحذ عزمه المضــعوف الــكليل ، ثم قال فى نبــر حزين ، ما عدوت الصدق يا صديقى ، فانها فى الحق مأساة أى مأساة .

قضى النبيل نحبه ، وورث ولديه الى طارف المال والتليد ، أحر النشيج والنحيب ، وذلك الولى الدعى الجديد ، وهل بعد اجتماع الذئب والحمل الا افتراس ، وبعد فقــد الحبيبين؛ا لأب والأم الا انتكاس وارتكاس (٦) وتلك الأيام نداولها بين الناس .

حدثنى بعيشك ، أو تبقى لشيخ الدجاجلة أمانة ، وهذا المال جميعا قبضته ، وهذه الضياع المغلة نعيمه وجنته ، اجتمع له فيها من فتاته وفتاه ، سيدة الحور وسيد الولدان ، لكنهما ويا لهف نفسى عليهما ، لم يجدا منه فى هذه الجنة رضوان ، بل روعهما فيه مالك يوقــد النيــران ، ويغريها بتعــذيب الأرواح وتلويح (٧) الأبدان ، أباح نفســه كل هذه المناعم وحرم صاحبيها ، وأشبع نهمته (٨) من هــذه المغــانم وأجاع مالــكيها ، فيــا عجبا دونه كل عجب ، كيف يكون من رحمة الآباء ، بالبنات والأبناء ، أن يقدموهم طعاما مريئا لعصــبة الشطار (٩) من الأولياء والأوصــياء . سلخ الفتى والفتــاة شهورا وشهورا ، يتقلبان فى حرور هذا العيش المتكلح البغيض ،لا يطعمان

---

(١) عامه الناس .
(٢) جمع ردن وهو طرف الكم .
(٣) الوقار .
(٤) اخلصهم قلبا .
(٥) أعدلهم رأيا .
(٦) انقلاب .
(٧) يصير لونها الى السواد .
(٨) شهوته وحاجته .
(٩) جمع شاطر وهو من أعيا اهله خبثا .

القديد (١) ؛ ولا يلبسان الا القـديد (٢) ، ولا من يبدىء و لامن يعيـد ، فالجوع يرضى الأسود بالجيف .

ثم ارتأى ذلك الدجال المحتال ، أن يخطب الفتى يزوجه ابنته ، حتى يرفع بهذا الزواج خسيسته ، فعرض الأمر على الفتى فزوى عنه وجهه ، ثم ألح وألحف ، لكن الفتى فطن للشرك فتحاماه ، وفوت على الظالم متمناه ، ولكأنى بالرجل وقد أقسم فى نفسه ليبيتنها خطة حازمة ينتصف بها لعزته الجريح ، وطلبه المرفوض ، كما يشبع بها رغبته المنهومة ، ويترضى نفسه المهزومة، وهل توصد أبواب الحياة دونه ، وهو الذى مرد على النفاق وتخرج فى فنون الخداع والرياء ، وسرعان ما استعان أساليب أخيه الشيطان حتى اختدع الفتاة الغر عن نفسها ، وكان ما كان مما لست أذكره ، فقد كفتنى مؤونة ذكره صحيفة عار ، وحادث انتحار ، هنالك ثار ثائر الفتى وجن جنونه ، فلئن صابر الصبر طويلا على انتهاب الضياع واستراق الأموال ، انه لن يطيقه لحظة على امتهان الشرف العال ، واســتراق العرض المذال (٣) ، عدا كالنمر الهائج اذا هيج واستغضب ، وطفق يصيح فى جنون الثائر ، وثورة المجنون ، ابغونى أيها المنصفون قاتل نفسى ، وناهش عرضى ، فانه نكل بشرفى ، ومثلى لا ينام عن الثأر المنيم (٤) فما بصر به الوصى الجائر ، حتى فر يطلب النجاة بخيط (٥) رقبته ، ولكن الفتى لمحه فتأثره حتى أدركه ، وراح يروى خنجره الظمآن من دمه ، ولم يدعه حتى أجهز عليه ، ثم أسلم نفسه الى الشرط وهو يهتف بهم ، هأنذا فشدوا الوثاق ، وأحكموا الأغلال والأصفاد ، بل ادفعوا بى دون محاكمة الى الجلاد ، فلست بالهيابة للموت ولا بالحريص على الحياة بعد اذ (٦) أدلت لحياة الشرف قبل أن أزايل الحياة .

هذه هى جملة القصة يا صاحبى ، نفضتها بين يديك ، فما قضاء دين الله فى أمثال هؤلاء الأوصـياء الذين خانوا الأمانة وخاسوا (٧) بالعهـود ؟

---

(١) اللحم .
(٢) السوب الحلق .
(٣) الممهن .
(٤) الذى اذا أصابه الطالب رضى به فنام نعمه .
(٥) نحاعها .
(٦) انصف .
(٧) عدروا وخانوا .

قلت استمع يا صاحبى لكتاب الله ، تجد فيه الحكـومة العادلة والقضـاء النزيه : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » — « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ــ أى عن مال اليتيم وليأكل من حر ماله ــ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » . « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضـعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » فيتعهدوا اليتامى بالتأديب الرفيق ، ويتخونونهم (١) بالنصح الشفيق ، شـأنهم مع أبنـائهم الذين من أصلابهم ، نقية أن يرزءوا بعد وفاتهم بمن يسىء الى أبنائهم ، اساءتهم الى أبناء غيرهم ، ثم قال عز من قائل : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصـلون سعيرا » ــ « ان الله يأمركـم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » —« فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه » . وهذا رسول الله عليه صلوات الله يقول : ــ

« المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم » ويقول « لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ولقد يزدهيك ويزدهى كل مسلم أن يعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقب فى حداثته بالأمين ، ذلك أن الأمانة اذا كانت لازمة للناس أجمعين ، فهى ألزم للأنبياء والمرسلين ، وهل تخضر جوانب العيش على هذه البسيطة ، الا اذا أشرب الناس فى قلوبهم الأمانة ، فأمنوا وأتمنـوا وراحـوا يمرحـون فى رفرفهـا (٢) الخضر ، ويسـتذرون (٣) بظلهـا الوارف (٤) المـديد — وهل الأمانة فى أضـيق حدودها ، الا أن يسيطر سلطان العقل القاهر ، والضـمير الطاهر ، على شيطان الهوى الغوى الفاجر — وليست الأمانة يا صاحبى مقصورة على صيان الأموال ، لكنها تنتظم ألوانا شتى من الأقوال والأعمال والاحوال ، فأداؤك الخبر على وجهـه أمانة ، وصيانك سرا اسـتودعكه انسـان أمانة ، وبذلك

---

(١) يتعهدوهم .
(٢) رياضها .
(٣) يستترون .
(٤) ورف الظل اتسع وطال وامتد .

قصاراك (١) فى اتقان عملك أمانة ، وعدلك بين مرءوسيك أمانة ، وحرصك على قضاء دينك أمانة ، ونصحك حرفاءك (٢) ان كنت تاجرا أمانة ، ورعيك الحفاظ وتحاميك غيـــر أهلك أمانة ، فمن سنى (٣) له الله أن يؤدى الأمانة : فقد تأدى الى أكرم الخلال وأنبل الخصال .

قال صديقى : ما أشوق آذان الخلف ، أن تسمع صوت التاريخ يحدثها عن بعض مآثر السلف فى هذا الخلق الكريم فهل لك أن تعير التاريخ لسانك ، فتفضل علينا ببعض اتحافك والطافك ، قلت لك ذاك يا صاحبى فاستمع الى :

لما اعتل رسول الله صلوات الله عليه علته التى مات فيها ، كان فى بيته دراهم معدودة فقال لعائشة عليها الرضوان ، رديها الى بيت المال ، فشغلها تمريضه والسهر عليه والحزن له عن انفاذ ما أمر ، فلما كان الغد ســألها ، ثم كرر سؤالها فى غد ذلك الغد ، فلما علم أنها لم تردها قال هاتيها ، فوضعها فى يده غضبان وقال « كيف أعرض على ربى وهذه فى بيتى » !

وكان عمر عليه الرضوان بعد اذ ولى الخلافة ، قد وظف لنفسه درهما وربع درهم فى كل يوم ، الى أن جاءته زوجه يوما بقميص جديد ، فسألها : أنى لك هذا ، قالت كنت أجنب من وظيفتنـــا ربع درهم فى كل يوم ، حتى اذا توافى لى ثمنه ، شريته لأكفيك عناء الاختباء ، كلما نضوت عنك قميصك ريثما يغسل ويجف ، فقال : هلك عمر ، فبحسبه من بيت المال درهم واحد ثم أمر بالقميـــص فبيع ، ورد ثمنه على بيت المال ، وقطع ربع الدرهـــم من وظيفتـــه .

وان تعجب فعجب أن تشكى يوما داء ، فوصف له العسل ، وفى بيت المال شىء منه ، فأتى المنبر وقال : أيها الناس : ان أنتم أذنتم لى فيه أخذته ، والا فهو على حرام ــ وســأله رجل له به قرابة قريبه ، فزجره وأخرجه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : انه سألنى من مال الله فما معذرتى ان لقيته ملكا خائنا ــ هذا ولعلك يا صديقى لا يفارقك الدهش والعجب اذا عرفت أن الصديق أبا بكر عليه الرضوان ، شرب يوما لبنا من كسب عبده ، ثم ارتأى

(١) جهدك .
(٢) زبائنك .
(٣) سهل .

أن يستفهمه مصدره فقال : تكهنت لقوم فأعطوني ، فأدخل الصديق أصابعه في فيه وجعل يقيء حتى كادت تخرج نفسه ، وقال : اللهم اني أعتذر اليك عما حملت العروق وخالط الأمعاء ، فلما بلغ الرسول عليه الصلوات ذلك قال : أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل في جوفه الا طيبا.

ثم اعجب معي أيها الأخ المؤمن حتى ما يبقى في قوس العجب منزع ، لموقف عمر من زوجه هذا الموقف الذى هز جوانب الأرض بعد اذ اشترك سمع الأرض وبصرها في شهوده مع من شهدوه .

يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها	من أين لي ثمن الحلوى فأشريها
لا تركبي شهوات النفس جامحة	فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
وهل يفي بيت مال المسلمين بما	توحي اليك اذا طاوعت موحيها
فاعصي هوى النفس كي ترتد قانعة	ان القناعة تغنى نفس كاسيها

• • •

قالت لك الله اني لست أرزؤه	ما لا لحاجة نفس كنت أخفيها
لكن أجنب شيئا من وظيفتنا	في كل يوم على حال أسويها
حتى اذا ما ملكنا ما يكافئها	شريتها ثم اني لا أثنيها

• • •

وأقبلت بعد خمس وهي حاملة	دريهمات لتقضى من تشهيها
فصاح في وجهها من فوره عمر	بما ترى فيه تأنيبا وتوجيها
ويلي على عمر يرضى بموفية	على الكفاف وينهى مستزيديها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به	أولى فقومي لبيت المال رديها
كذاك أخلاقه كانت وما عهدت	بعد النبوة أخلاق تحاكيها

• • •

هذا ولقد يشوقك أيها الأخ المؤمن بعد اذ تجلت أمام ناظريك صور رائعة من أمانة عمر بن الخطاب ، أن تظفر بمثلها في حفيده عمر بن عبد العزيز ، كما يشوقك أن تلم بطرف من مولد هذا الحفيد ونشأته ، لتعرف أن الله جلت قدرته بعث ابن الخطاب بعد وفاته ، في شخص حفيده ابن عبد العزيز ، حتى لكأنه في اهابه وتحت ثيابه .

مولد عمر بن عبد العزيز ٠

كان الفاروق عمر بن الخطاب ، يجوب شوارع المدينة ليلا ، على عادته فى عسسه ، ينفض الليل عن أهل الريبة ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، فاذا صوت نسوى يخترق حجب الليل فيرعيه ابن الخطاب سمعه ، ليتبين هذا الحوار العجب •

دونك يا بنتى هذا اللبن فامذقيه بالماء (أى امزجيه) — فتجيب الفتاة أمها ، أو ما علمت يا أمى بما كان اليوم من عزمة أمير المؤمنين ؟ — فتقول الأم ، وما كان من عزمته يابنية ؟ فتجيبها — انه أمر مناديه فنادى ألا يشاب اللبن بالماء ، فقالت الأم — امذقى يا بنتى اللبن بالماء ، فانك بموضع لا يراك فيه عمر ، ولا منادى عمر ، — فقالت البنت : والله يا أمى ، ما كنت لأطيعه فى الملا ، وأعصيه فى الخلا ، وان استطعت أن أستخفى من عمر ، فكيف أستخفى من اله عمـــر ؟ سمع عمر ذلك كله ، وكان معه رجل يدعى أسلم ، فقال يا أسلم ، علم المكان واعرف الموضع .

وما تنفس الصبح ، حتى ذهب أسلم فى الوجه الذى ابتعثه اليه عمر ، باحثا متقصـــيا ، ثم عاد فأخبره أنها فتاة تعيش مع أمها ، وكلتاهما أيم لا بعل لها ، فما تردد عمر أن اختار هذه الفتاة التى أعجب بصوتها وأمانتها وخلقها ، لابنه عاصـــم ، فولدت لعاصم بنتا ، وولدت هذه البنت عمر بن عبد العزيز •

فلا عجب :، أيها الأخ المؤمن : بعد اذ اختار الله لابن عبد العزيز هذه الأصول الطاهرة ، أن ينزع الى جده ابن الخطاب ، حزما وعزما . وعدالة وورعا ، ووداعة وتواضعا ، وعزوفا عن الدنيا ، وما فيهـــا من مفاتن ومتاع ، ولقد كان اتفاق اسميهما فوق ذلك من أعاجيب القدر ، فقد شاءت مشيئة الله أن يسمى كلاهما عمـــر •

بعث عبد العزيز بن مروان ولده عمر الى المدينة موطن أكابر الفقهاء والعلماء ، وكتب الى صالح بن كيسان ليقوم على تثقيفـــه وتأديبه ، فكان صالح يلزمه الصلاة معه ، وحدث أن أبطأ عمر يوما عنها ، فقال له صالح ؟ ما حبسك ياعمـــر ؟ فقال — كانت مرجلتى تسكن شعرى ، فلامه صالح بن كيسان قائلا .

أبلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟ — وكتب الى أبيه عبد العزيز بذلك ، فبعث اليه عبد العزيز مؤنبا ناهرا ، وكان لهذه النشأة الصالحة والتربية العالية أثرهما فى تكوين عمر وتوجيهه ، فملك عليه حب الحق نواحى نفسه ، وراح مشغوفا بالصراحة فى الرأى ، يجهر به حتى فى وجه الملك الجبار عبد الملك بن مروان ، الذى أعجب بصراحته وجرأته فزوجه من ابنته فاطمة — وشاءت مشيئة الله سبحانه أن تسعى الخلافة الى عمر منقادة طيعة صاغرة ، وهو عنها الراغب وفيها الزاهد ، فلما توجه بعد دفن الخليفة السابق نحو المسجد جاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه ، وهو يحمل حربته ، فقال له عمر — تنح عنى ، مالى ومالك ؟ انما أنا رجل من المسلمين ، وسار فى زحمة الناس حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر وقال بعد اذ اعتذر للناس عن قبول الخلافة فأصروا على مبايعته :

أوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فانه من عمل لآخرته ، كفاه الله أمر دنياه ، وان هذه الأمة ، لم تختلف فى ربها ولا فى نبيها ، ولا فى كتابها ، وانما اختلفوا فى الدينار والدرهم ، وانى والله لا أعطى أحدا باطلا ، ولا أمنع أحدا حقا — ثم رفع صوته حتى أسمع الناس جميعا وقال —

أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم :

بهذه الكلمة الحكيمة الجامعة ، وضع عمر العادل الفاضل دستور حكومته العادلة الفاضلة ، فكانت كحكومة جده ابن الخطاب المثل الأعلى فى حماية حقوق الناس من ظلم الحاكمين ، قبل حمايتها من ظلم المحكومين ، كما كان شعارها : الملك من يملك نفسه قبل أن يملك شعبه قسرا .

عمد عمر فى اليوم الأول من خلافته الى كل مظاهر الملك ، من مراكب مطهمه ، وسرادقات ضخمة ، وفرش فخمة فقال لمولاه مزاحم — يا مزاحم — ضم هذه الى بيت مال المسلمين ، — ودخل على زوجته فاطمة بنت عبد الملك فقال — ان أردت صحبتى فردى ما معك من مال وحلى وجواهر الى بيت

مال المسلمين ، فانه لهم ، فردته جميعه — وكأنما كان عمر يريد زوجته على أن تتمثل معه بقول المتصوفة وتستمسك معه بدستورهم الذى يحدد موقفهم من الأغنياء بقوله : يأكلون ونأكل ، ويلبسون ونلبس ، وعندهم فضل مال ينظرون اليه وننظر اليه ، وهم فى القيامة محاسبون عليه ونحن منه براء :

وهكذا شرع عمر فى غير هوادة ولا ابطاء ، ولا مجاملة على حساب الحق ، يضع الأمور فى نصابها ، ويرد الحقوق الى أربابها ، بادئا بنفسه وبأهله ، ليضرب المثل الأعلى للناس . فقد خرج عما كان تحت يده من قطائع وضياع ، فحرق سجلاتها وردها الى المسلمين •

حدث بعد دفن الخليفة أن تدافع الناس يبايعون عمر بن العزيز ، وفى زحمة الناس تمزق جيب قميص أحد أبنائه ، فقاله عمر — يابنى ، أصلح جيب قميصك ، فانك لم تكن أحوج الى ذلك منك اليوم ، — وليكن دستورك الحكمة القائلة : استغناؤك عن الشىء خير من استغنائك به :

ولما أفزعت هذه السياسة وجوه بنى أمية ، سألوا عتبة أن يسفر بينهم وبين عمر ، ليزيد فى الدنانير القليلة التى رتبها لهم ، فما نجحت سفارته ، ولا ظفر من عمر بطائل ، فخرج عتبة وقال لهم ، : أنتم فعلتم بأنفسكم ، عمدتم الى صاحبكم : يعنى عبد العزيز بن مروان : فزوجتموه بنت ابن عمر ابن الخطاب ، فجاءتكم بعمر ملفوفا فى ثيابه ، فلا تلوموا الا أنفسكم ، — وليس يعنى عمر يأيها الأخ المؤمن بعد اذ أرضى الله وضميره ، أن يتسخط عطاءه الطامعون ، وهو الذى كان شعاره • خبز لكل جائع ، وعدل لكل مظلوم :

ولما جهد الشعراء جهد البلاء ، بعد اذ كسدت بضاعة الشعر عند عمر ، قصدت جمهرتهم الى بابه ، ولبثوا أياما لا يؤذن لهم بالدخول ، وبعد لأى أذن لجرير وحده أن يدخل ، فلما مثل بين يدى عمر قال له : اتق الله يا جرير ولا تقل الا حقا ، فأنشده أبياتا آخرها .

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا   بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال عمر : يا جرير ، ما أرى لك فيما هاهنا حـقا ، قال بلى يا أمير المؤمنين ، انما أنا ابن سبيل ومنقطع بى — ولم يكن مع عمر غير مائة درهم ، فأعطاه اياها ، فأخذها جرير وقال ، والله لهى أحب ما اكتسبته من مال — ثم خرج — فقال له الشعراء — ما وراءك ؟ قال ، ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين ، وهو يعطى الفقراء ، ويمنع الشـعراء ، وانى عنـه لراض وأنشـد .

رأيت رقى الشـعر لا يسـتفزه وقد كان شيطانى من الجـن راقيا

وكان لعمر بن عبد العزيز غلام اسمه درهم ، يحتطب له ، فسأله عمـر يوما عما يقوله الناس فقال درهم — وماذا عسى أن يقولوا . ؟ الناس كلهم بخير ، وأنا وأنت بشر ، فقال له عمر وكيف ذلك ؟ — قال : انى عهدتك قبل الخلافة عطرا لباسا فاره المركب طيب الطعام ، فلما وليت رجوت أن أستريح وأتخلص ، فزاد عملى شدة ، وصرت أنت فى بلاء ، قال عمر : فأنت حر ، اذهب عنى ودعنى وما أنا فيه .

قال صديقى ، قل معى أيها الصديق : يرحم الرحمن هذه الأبوة الأبية العيوف ، فأين منها هذه البطون التى تأكل أكلا لما ، وتلك النفوس التى تحب المـال حبا جما ، ولعلهـا أن تتشبث فى سبيل غاياتها ببارد العـذر ، وتستعين من أساليبها ما ينكره العرف ويعرفه النكر .

أما بعد يا جماهير المؤمنين — فلعلنا أن نكون قد أدينا بعض الأمانة لخلق الأمانة ، فبحسبنا وبحسبكم الآن ، ولنستودع الله دينكـم وأماناتكم وخواتيم عملكم ، ولتبقوا محوطين بحياطة الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

عزة المسلم

يحكى كتاب الله على لسان المنافقين ابان ظهـور الدعوة المحمدية ، والاسلام وليد ، يستقبله فجر باسم سعيد : يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل : فيرد كتاب الله عليهم ردا رادعا زاجرا : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون :

اى والله يا جماهير المسلمين ، فما أطلعت يد الجواد الكريم سـبحانه ، شمس ملة الاسلام فى سماء هذا الوجود ، الا بعد أن أودعتها فوق عنصر الضياء ، عناصر الهداية والعزة والرحمة من السماء ، فيالها من عناصر سماوية عجب ، تدفع المسلم أن يطلب لنفسه ولقومه الحرية فى استقامة ، والعزة فى كرامة ، وتعلمه أن يحيا الحيـاة كلها ليس سـيدا لغير نفسه ، ولا عبدا لغير ربه .

حدثنا يالسان التاريخ الصادق حديثك العجب ، عمن تخرجوا على يد الرحمن ، فى مدرسة القرآن ، وعلى رأسهم معلمها الأول محمد بن عبد الله ، عليه صلوات الله ، وزدنا يا لسان التاريخ ثم زدنا ، فانا للحديث عن الأبوة الكريمة لشيقون ، وبمآثرها ومفاخرها لمعجبون .

بارك يد الله هؤلاء النفـر القليل من المهـاجرين والأنصار ، وأشعت شمس الدين الجديد فى نفوسـهم وبين أيديهم ، فأضـاءت منهم البصائر والأبصار ، واشتدت سواعدهم بالتآخى والتناصر ، فما خرجوا من انتصار الا الى انتصار ، وما هو الا كلا ولا حتى استطال بنيانهم ، وامتد سلطانهم ، واستبحر عمرانهم ، ومشت مبادىء دينهم العادلة الفاضـلة ، تهون أمامهم الخطب ، وتذلل الصعب ، فلبسوا بيد هذا الدين المبارك الجديد العزة بعد الذل ، والقوة بعد الضعف ، والأمن بعد الخوف ، ولا عجب فالاسلام وهو دين العزة والقوة والكرامة ، ينبذ الأذلة الضعفاء ، ولا ينتظم فى سلكه الا الأعزة الأقوياء .

ألا فاشهدى يا شعوب الأرض ، ممن شهدت عيونهم هؤلاء الغر الميامين من الغزاة المسلمين الفاتحين ، أنهم كانوا الساسة القادرين ، والحكام العادلين ، بل كانوا للانسانية جمعاء من أهل دينهم ومن غير دينهم على السواء ، الآباء الرحماء الصادقين ، واذا تلاقت عزة المؤمن فى نفسه بعطفه على غيره ، فقد توافرت للانسانية أسباب السعادة جمعاء ، فلا جور ولا ظلم ولا شقاء .

ثم اشهدى يا شعوب الأرض اليوم ، ما تعانى الشعوب المستضعفة من أساليب القهر والقسر ، والتقتيل والتنكيل ، على أيدى عصابات المردة الظلمة من المستعمرين المستبدين ، لتقولى معى أنى للانسانية عصر ذهبى من عصور هؤلاء المسلمين الأولين .

من أجل هذه العزة التى أعز الله بها المسلم ، وهذه الكرامة التى خلق من عنصرها نفس المؤمن ، دوت فى مصر صيحة الحق ، وانتظمت البلاد كواكب العزة والنصر ، هاتفة بحياة الحرية وحياة الكرامة وحياة مصر ، محيية فى هتافها الخالد ، يوم ذكرى نصرها المبين ، على رأس الظلم والظالمين ، وتطهيرها أداة الحكم فى البلاد ، من عناصر الشر والبغى والفساد .

ان صيحة هذا البطل التقى القوى المؤمن ، التى تتخافت دونها زأرات الأسود ، والتى تتجاوب بأصدائها جنبات الوادى من كردفان الى اسوان الى رشيد ، لحرية أن تقذف الرعب فى قلوب هذه الثعالب الحمر الماكرة الغادرة الفاجرة ، الجاثمة على شاطىء القناة المقدسة ، فتنتهزها فرصة طائرة نادرة ، لتنجو بجلدها ، فتنجو مياه القناة من أكدارها وأوزارها ، كما تنجو أرض الوطن الحبيب ، من دمها الثقيل ودائها الوبيل .

ان من الخير لعصبة السر هذه ، بعد اذ سمعت من فم الأسد زئير الانذار يتلوه الانذار ، ألا تنتظر حتى يهب عليها الاعصار ، وحتى تأكلها من جميع جوانبها النار ، بل الحزم ان بقى لكم شيء من الحزم يا جنود ابليس الاشرار ، أن تسلموا سيقانكم الى الفرار ، قبل أن تسد فى وجوهكم أبواب الفرار .

لقد حطم البطل ومن ورائه الجيش الأبى ، والشعب الوفى ، هذه القصبات المرضوضة ، التى كنتم تعتمدون فى اغتصابكم عليها ، وتستندون فى معاذيركم اليها ، وأصبحتم تلاقون منا بقدرة الله القادرة ، ومعجزاته القاهرة الباهرة ، أمة فى رجل ، وشعبا فى بطل ، فكونوا ما شئتم دهاقين كياسة ، وأبالسة سياسة ، فان شيئا من دجلكم ومكركم وزيف سياستكم لن يجديكم بعد اليوم ، بعد اذ أبطل البطل سحركم ، وفوت عليكم أساليب هذا الخداع .

اذا جاء موسى وألقى العصا

فقد بطل السحر والساحر

أما أنت يا مصر ، فهنيئا لك طلائع النصر ، تتلوها كواكب النصر ، وتباركها خواتيم سورة العصر : الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

حررى مصر من قيود الأسير وانصريها كتائب التحرير
طهريها من غاصب عكر النيل أذاه بالصفو والتطهير
وأشيعى فيها المكارم والدين تعش فيهما بوحى الضمير
واسألى الله للكنانة فتحا يتوالى على توالى الدهور
واستعينيه كل آن فنعم العون يأتيك من على قدير
وتغنى بشكره تسمع الدنيا صداه على جناح الأثير
فجزاء الشكران نعمى ونعمى فى الحياتين من عفو شكور

وهكذا يتجلى لك أيها القارىء الكريم ، أن الاسلام يوجب على المسلم أن يكون سيدا فى نفسه ، سيادة عادلة فاضلة لا يعدو فيها على سيادة غيره ، ولعلك تذكر معى قولة ابن الخطاب لابن العاص عليهما الرضوان : يا بن العاص ، متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا : ليعلم من لم يكن يعلم ، أن مبادىء هذا الدين الكريم ، لا ترضى العبودية حتى لغير المسلمين ، وتقرر أن حرية المسلم شطر دينه وهبة مولاه ، فافتدوها يا جماهير المسلمين الأحرار بالأرواح ، ينصركم الله ، ويباركم رسول الله .

التراحم بين المسلمين

يقول المولى سبحانه فى نعت المؤمنين : محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم :

ويقول سبحانه فى شأن الأنصار : والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون : ـ يؤثرون = يفضلون ويقدمون ـ خصاصة = فقر وحاجة ـ

اى والله يأيها القارىء الكريم ، فما عبدالله بشىء أفضل من حب خالص لله ، وحب ينتظم قلوب المؤمنين من عباد الله ، وهل الدين فى أسمى معانيه . وأبهى مجاليه ، الا محبة وتراحم ، وايثار وتعاون .

فدين الله يهدف فى رسالته السماوية الى أن يطبع نفوس المؤمنين بطابع واحد ، ليكونوا جميعهم على قلب رجل واحد ، يأخذ قويهم بيد ضعيفهم ، ويعنى غنيهم باصلاح أمر فقيرهم ، والى هذا المبدأ النبيل تهدف السنة الحكيمة الرحيمة فى قول الرسول الحكيم الرحيم : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا شكا منه عضوا تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وما استفتح كتاب الله صدور المؤمنين من أهل الصدر الأول ، حتى شاعت الرحمة فى قلوبهم ، وملكت عليهم فضيلة الايثار نواحى نفوسهم ، فكانوا الرحماء الكرماء ، تتحدث عنهم ألسنة الأجيال ، وتضرب فى ايثارهم وتراحمهم أصدق الأمثال .

فاستمع أيها القارىء الكريم ، الى ابن عمر عليهما الرضوان يقول : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله رأس شاة فقال ، ان أخى فلانا وعياله أحوج الى هذا منا ، فبعث به اليه ، فلم يزل يبعث به واحد الى آخر ، حتى

تداوله أهل سبعة أبيات ، حتى رجع الى الأول ، فنزل قوله عز من قائل : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة :

ثم استمع الى حذيفة العدوى يتحدث هذا الحديث العجب : انطلقت يوم اليرموك ، أطلب ابن عم لى ، ومعى شيء من ماء ، وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه ، فاذا أنا به ، فقلت أسقيك ؟ فأشار الى أن نعم ، فاذا رجل يقول آه ، فأشار ابن عمى الى أن انطلق به اليه ؛ قال — فجئته فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام أن انطلق اليه ، فجئته فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات ، رحمة الله عليهم أجمعين ؛ فما أجدر المؤمنين اليوم ، بل ما أجدرهم فى كل زمان ومكان ، أن يبلغوا فى ميدان التضحية والايثار ، ما بلغ هؤلاء الأبرار الأحرار .

وهأنذا أقولها بدورى ، آه لو فطن المسلمون لما شرع دين الله من مبدأ البذل والعطاء ، اذن لعز الأصدقاء ، وماتت مكبوتة بذلها الأعداء .

رأى الأحنف بن قيس رجلا فى يده درهم ، فقال له لمن هذا الدرهم ؟ فقال لى — فقال الأحنف أما انه ليس لك حتى يخرج من يدك .

أنت للمـــــــال اذا أمســـــكته
فاذا أنفقتـــه فالمـــــــال لك

ولعلك أيها الأخ المؤمن لا تبخل على نفسك بجميع حياتك ، تنفقها فى قضاء حاجات الناس ابتغاء مرضاة الله ، بعد اذ تســمع لرسول الله حديثا معناه : ان لله عبادا اختصهم بنفسه لقضـــاء حاجات النـــاس ، فاذا كان يوم القيامة جلسوا على منابر من نور ، يحادثون الله والناس فى الحساب .

رسالة الخلق عبادة
الحق

يتحدث الينا الحديث القدسي فيما روى عن رب العزة : كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق فبي عرفوني : اذن والله لولا الله ، ما عرفنا الله . ولا عبدنا الله ، ولا فطنا لحقيقة رسالتنا في هذه الحياة .

ألا وان رسالتنا الأولى والأخيرة في هذه الحياة ، عبادة الله كما علمنا الله : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين :

والعبادة المثالية هي التي علمنا اياها رسول الله عليه صلوات الله بقوله : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك : فياله من درس سماوي عجب ، يلقيه علينا الرحمن في مدرسة القرآن ، فبدون العبادة لا يقوم للايمان بنيان ، وبالعبادة الناقصة يظل بنيان الايمان مزعزع الأركان ، والمؤمن الكيس من لم يقصر عبادته على الصوم والصلاة . والحج والزكاة : بل ينتظم بعبادته كل أعمال الخير في هذه الحياة ، فانه اذ يراقب الله في كل هذه الأعمال . يظل عابدا لله في متجره ومصنعه ، بل في أثناء فراغه ونزهته ، وطعامه وشرابه ، كما يعبده سبحانه في مسجده ومحرابه ، أما أولئكم الذين يظنون أن عبادة الله ومراقبة الله ، مقصورة على أوقات يؤدون فيها شعائر الله ، ثم يباح بعدها لهم أن يعيشوا بالفكر الساهي ، والقلب اللاهي ، فقد عجزت عبادتهم الكسيحة العرجاء ، أن تطير بأجنحة الضياء الى أبواب السماء .

اذن فما أجدر العبد المؤمن الكيس أن يأخذ نفسه فوق عبادة مولاه بالصوم والصلاة ، والحج والزكاة ، بعبادة أخرى موصولة الحلقات ، من

الفكر الدارس ، والذكر الواعي ، والمراقبة والمحاسبة ، ليظل بها عابدا لله سبحانه فى كل لحظة ، فى الخلوة والجلوة ، والفراغ والعمل ، بل فى النوم واليقظة ، ولا عجب ، فقد يعبد الصدر عند النوم صانعه ، باطراد أنفاسه ، كما يعبد القلب مبدعه بانتظام دقاته .

أيها القارىء الكريم — اقرأ معى فى رنة المستغفرين ، وترنيمة الأوابين: أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك : جلت حكمة الله عن البطول والعبث ، واللهو والغفلة ، فما دفعت بنا يد هذه الحكمة الالهية الى ساحات هذه الدار الفانية ، الا لنعبرها مجازا الى الدار الباقية ، دار السلامة والعافية .

هبطت أرواحنا من محلها الأرفع ، لتتخذ من هذه الهياكل الآدمية لباسا يبلى بعد مدة ، لأنه العارية المستردة ، ولتعلنها حربا شعواء ، لا هوادة فيها ولا مهادنة ، على جيوش متمردة من الغرائز الجامحة ، والشهوات المنهومة الفاضحة ، يقودها الهوى والنفس والشيطان ، حتى اذا كتب الله لها النصر فى هذا الميدان ، انتقلت بعد صفاء جوهرها من دار الامتحان ، فى زى الانسان المثالى الملائكى ، الى دار أخرى هى لها أمثل ، وبها أشكل ، دار هى السعادة لمن رزق السعادة ، والشقاء لمن كتبت عليه الشقاوة : ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون : وأصحاب النار فى ألوان شتى من العذاب خالدون ؛ ولا عجب فقد حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ، فمن سره أن تنتظمه الجنة فى نعيمها المقيم ، فليشتر نعيم الخلد بماله ونفسه ، وقل هذان له ثمنا ، يشترى بانفاق ماله فى طاعة الله حب الله ، ويشترى باغضاب نفسه وكفها عن هواها رضا الله .

والعبادة الحق لا يقوم ركناها الا على أساس من الشكر الشاكر على النعمة ، والصبر الصابر على المحنة ، فان كل ألوان العبادات التى افترضها رب العباد ، تهدف غايتها الكريمة الى هاتين الغايتين الكريمتين ، الشكر والصبر ، ولن يتحقق للعبد الشاكر شكره بكلمات يلوكها اللسان ، دون أن يفطن لها الجنان ، وتؤيدها بدورها الجوارح ، فرسالة اللسان فى هذا الميدان اظهار الشكر لله سبحانه بالتحميدات الدالة عليه ، ورسالة القلب قصد الخير

واضماره لكافة الخلق ، ورسالة الجوارح استعمال نعم الله تعالى في طاعته ، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، فشكر العين ستر كل عيب تراه فى مسلم ، وشكر الأذن ، ستر كل عيب تسمعه عن مسلم .

قال عطاء — دخلت على عائشة عليها الرضــوان ، فقلت لها ، أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله عليه صلوات الله ، فبكت وقالت ، وأى شأنه لم يكن عجبا ؟ أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى حتى مس جلدى جلده ، ثم قال : يابنة أبى بكر ، ذرينى أتعبد لربى ، فقلت ، انى أحب قربك لكنى أوثر هواك ، فأذنت له ، فقام الى قربة ماء فتوضأ ، فلم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يــزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك ؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على : ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار : على أن أى انسان ، كائنا من كان ، يخرج عن طوقه القيــام بواجب الشكر ، لمن وفقــه الى أداء هذا الشكر ، فان كل توفيق من المولى للشكر ، نعمة منه جديدة تستوجب له شكرا جديدا ، وهكذا دواليك ، لا ينفك العبد مدينا بالشكر لله ، ولو ظل شاكرا لمولاه ، ما امتد به حبل الحياة .

وكيف أشــــكر ربى وفق أنعمــــه
وشــكرى الله نعمى توجب الشــكرا

قال موسى عليه السلام ، يا رب كيف أشــكرك ؟ وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك ، فأوحى الله تعالى اليه ، اذا عرفت هذا فقد شكرتنى .

وأما الصبر على المحنة ، فبه يقوم الركن الثانى من ركنى الايمان ، وهل يظن ظان ، أن نجاحا يعقد فى دار البــلاء والامتحان ، لغير صابر فى هذا الامتحان ؟ فالصابر أخو الشاكر ، كلاهما مكافح مشــابر ، مجاهد مصابر

يتحامى غضب الله ، وينشد بالصبر والشكر رضاه ، وهذا بلال بن رباح يتحصن بصبره المتالى وايمانه القوى من نار الحجارة المحماة ، يعذبونه بهـا ليفتنوه عن دينه ، فتنسيه لذته بتكرار اسم الله ، أحد ، أحد : نيران هذه الحجارة المحماة .

وعن الصـابرين حى بـلالا فلدى صـبره يحار البـلاء
« أحد » وهى شـغله شـغلته فـاذا النـار جنة خضـراء
جسم عبد قد زانـه نفس حـر يتمنى أمثالهـا العظـاء

ولا يفوتنك أيها الأخ المسلم المؤمن أن تفطن الى أن الصلاة اذا كانت أجلى مظاهر الشكر ، فهى أقوى أدوات الصبر ، ومن أجـل اتحاد الصلاة والصبر فى الهدف جمع كتاب الله بينهما ، فاقرأ ان شئت قول المولى سبحانه يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين ؛ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ، ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون .

وآذن الى أيها الأخ الكريم بعد هذه الاشارة العابرة الى الصلة الوثيقة بين الصبر والصلاة أن أعرض لهذه الصلة فى شىء من التفصيل ؛ وأن آكـرم غلسى بكشف بعض ما تحتـويه الآيات الكريمة من ذكر حـكيم وتوجيه سليم .

الدنيا دار جهاد وجلاد ، جهاد للانسان مع نفسه ، وجهاد آخر له مع غيره ، وعلى قدر هذين الجهادين الخطيرين تقدر له درجات النجاح فى هذه الحياة ، عند خالق الموت والحياة .

وما كان المولى وهو الرحمن الرحيم ، ليلقى بالناس فى أتون هذا الامتحان دون أن يهيىء لهم أسباب الفوز ويضع فى متناول أيديهم كل أدوات النجاح والفلاح ، ولعل فى عدتى الصبر والصلاة اذا أحسن الانسان استخدامهما خير ما يدنى اليه أسباب النصر ، ويعينه على النهوض بتكاليف هذه الحياة .

كان المؤمنون فجر الدعوة المحمدية فى قلة من العدد والعدد ، وكان كثير من الناس حربا عليهم ، فالمشركون أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وما فتئوا يغيرون عليهم ، ويصدون الناس عنهم ، كما كان المؤمنون فى هذه الفترة من تاريخهم المجيد ، يلاقون فى مهاجرهم ما يلاقون ، من عداوة أهل الكتاب ومكرهم ومن مراوغة المنافقين وأساليب كيدهم ، فوجهتهم السماء فى هذه الفترة العصيبة من تاريخهم ، أن يستعينوا فى مقاومة ذلك كله ، وفى كل ما يعرض لهم من أحداث هذه الحياة : بالصبر والصلاة فأما الصبر فقد تناوله كتاب الله فى نيف وسبعين موضعا ، ولم تلق فضيلة أخرى من ذكر كتاب الله اياها ما لقيت فضيلة الصبر ، ذلكم بان الصبر نصف الايمان ؛ بل ان رسول الله عليه صلوات الله سئل مرة عن الايمان فقال : هو الصبر . لأنه الأساس الذى تقوم عليه الناحية العملية من الدين ، بالصبر يؤدى ما فرض الله من طاعة ، وتتحقق البطولة والشجاعة . والعفة والقناعة ، ولما كان لخلق الصبر ما له من هذا الأثر الجليل ، والخطر العظيم . فقد جعل كتاب الله التواصى بالحق فى سورة العصر ، مقرونا بالتواصى بالصبر ، فان كل داع الى الحق لا يلازمه التوفيق فى دعوته ولا تستجيب له طلائع النصر فى معركته . الا اذا خاضها متسلحا بسلاح : الصبر : والعصر ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

ان الصبر أيها القارىء الكريم ، هو فضيلة الثبات والاحتمال . التى تهون على صاحبها كل ما يلاقيه فى سبيل تأييد الحق وتحقيق المثل العليا . فما أجدر فضيلة الصبر أن تكون أم الفضائل لأنها تربى ملكات الخير كلها فى نفوس الناس .

هذا وان واجبك أيها الأخ المؤمن أن تأخذ نفسك بأسباب الصبر ، واحتمال المكروه فى سبيل احقاق الحق ونصر الفضيلة ، حتى تصبح فضيلة الصبر جزءا من نفسك ، لا يزايلها حتى تزول ، ومن لم يستعن الصبر لا يتم له أمر ، ولا يكاد يثبت على انجاز عمل ، أو يقوى على تحقيق أمل ، واذا كان الصبر لازما لسواد الناس ، فهو لمربى الأمم وقادة الشعوب ، ولزعماء الثورات الوطنية ، وموقظى النهضات القومية ، ألصق وألزم ، فبالصبر

وبالصبر وحده يستطيع هؤلاء الأبطال ، أن يظفروا بأممهم من حال الى حال ، وأن يعوضوها على عين الدهر فى بضع سنين مافاتها من أجيال ، ولا عجب ، فعزيمة الأبطال لا تعترف بالمحال ، بعد اذ ردت على البلاد فى لمحة خاطفة نعمة الحرية والكرامة والاستقلال .

أما الصلاة يأيها الأخ المؤمن ، فانها ملاك الدين ، كما أن القلب ملاك الجسد ، افترضها على الناس ، من خلق هذا الناس ، وركز فيهم هذه الطباع الجامحة ، والغرائز المتوثبة ، حتى تكون لجماحها عقلا وعقالا : ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

والصلاة حق الصلاة ما دعمت أركانها ، ولازمها الخشوع من التكبير الى التسليم ، حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها التى شرعت من أجلها : ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر : وانها لكبيرة الا على الخاشعين .

حدثونى بعيشكم أيها الأخــوة المؤمنون ، أى خطــر لتلك الحركات الخفيفة فى نفسها من قيام وقعود ، وركوع وسجود ، حتى يصفها رب العزة بأنها كبيرة الا على الخاشعين ، انما جعلت تلك الحركات والأقوال صورة للصلاة ، لتكون وسيلة لتذكير الغافلين ، وتنبيه الذاهلين ، ودافعا يدفع المصلى الى التوجه لربه بجميع قلبــه ، توجها يملأ القلب بعظمة الله القادرة ، وعزته القاهرة ، حتى يستسهل فى سبيل رضاه كل صعب ، ويستخف بكل كرب ، ويسهل عليه عند ذلكم مقاومة كل شدة ، واحتمال كل بلاء ، فانه لا يرى شيئا يعترض سبيله ، الا رأى سيده ومولاه أكبر منه ، فهو لا يزال يقول : الله أكبر : حتى لا يبقى فى نفسه شىء كبير ، الا ما كان مرضيا لله العلى الكبير ، الذى هو معاذ المؤمن وملاذه فى الشدائد والملمات ، من أجل ذلك قرن كتاب الله طلب الاستعانة بالصبر بالاستعانة بالصلاة : واستعينوا بالصبر والصلاة .

قصر الجاهلــون فهى صــلاة ... وارتقى العــارفون فهى لقاء
همزة الوصل بين عبد ورب ... سرها لو علمت حاء وباء

أفبعد هذا يشك مؤمن صدق الله ايمانه ، فاستعان الصبر والصلاة ، أن الله ناصره ولن يتخلى عنه : ان الله مع الصابرين .

وهذا كتاب الله بعد اذ لقن عباد الله المؤمنين دروسا سماوية فى الصبر والصلاة ، يعلمهم أن الموت فى سبيل الحق ، ونصرة الدين ، وحماية الوطن ، حياة ليس مثلها حياة : ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون : بحياتهم ، اذ ليست فى عالم الحس الذى يدرك بالمشاعر ، ولكنها حياة غيبية تمتاز بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس ، فيها يرزقون وينعمون رزقا ونعيما نؤمن بواقعيتـه ، ونفوض فى حقيقته الأمر لصاحب الأمر وعلام الغيوب .

من أجل هذه الحياة الغالية الممتازة ، كان المسلمون الأولون يتسابقون على شرائها بأرواحهم فى ميادين جهادهم ، فرحين هاتفين : الله أكبر ، الله أكبر — الى الجنة — الى الجنة .

وها هى ذى مدرسة القرآن يا جماهير المؤمنين ، تعلم طلابها أن المؤمن بعد اذ من عليه المنـان بنعمة الايمـان ، ممتحن بألوان شتى من أسـاليب الامتحان ، لا يهزمها الا بسلاحى الصـبر والصلاة : ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصـابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة : اطمأنوا ولم يفزعوا بل : قالوا انا لله وانا اليه راجعون : فلا سلطان لهلع ولا جزع على نفوسـنا بعد اذ آمنا بأننا ملك لله . وعبيد لله ، ومصابرنا جميعا الى الله ، أولئك عليهم صلوات : ألوان عجب من التكريم عند الله : ورحمة وأولئك هم المهتدون .

نسأل الله الهداية لنا ولاخواننا فى الله ، ولجماهير المؤمنين من عباد الله ، حتى نبلغ بمقبول الطاعات رضاه .

الرجاء فى الله
والخوف من الله

ان شجرة الايمان لا تثمر ثمراتها الحلوة المرجوة الا فى ظل من الرجاء فى الله . والخوف من الله . فالرجاء فى الله والخوف من الله سبحانه . جناحان أثيريان عجيبان . يطير بهما المقربون الى ما يشتهون من مقام محمود . حتى يبلغوا بهما فى حظيرة القدس الأقدس لدى العلى الكبير . لذة الوصول ونعمة الشهود ، وليس بالمؤمن الصادق الايمان ، من حرم لذة الرجاء فى الله وسبب نعمة الخوف من الله . نسألك اللهم أن ترزقنا وجماهير المؤمنين الخوف حق الخوف منك ، والرجاء كل الرجاء فيك .

فالعبد المؤمن يأيها الأخ المؤمن اذا بذر بذور الايمان ، وسقاها بماء الطاعات . وطهر القلب من مرذول الصفات . وانتظر من فيض كرم الله تثبيته على حسن هذه الحال ، حتى تحسن له الخاتمة . وتتم عليه نعمة المغفرة ، كان انتظاره رجاء حقا ، محمودا فى نفسه ، حافزا له على دوام الأخذ بأسباب الطاعة ، والتمسك بمبادىء أبى القوانين ، كتاب الله الكريم ، دستور المؤمنين ومنار المهتدين . أما أسلوب جماعات المسرفين على أنفسهم ، الغارقين فى بحار شهواتهم . الراجين مع كبائرهم عفو ربهم فأسلوب من التاثت عقولهم ، وامتد ضلالهم . كأن لم تقرع آذانهم هذه الآية الكريمة من كتاب الله : ان رحمة الله قريب من المحسنين : لا من المسيئين : ولم تبلغهم قولة رسول الله عليه صلوات الله : ليس الايمان بالتمنى . ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل . ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة ، وقالوا نحسن الظن بالله . وكذبوا . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

فأين هؤلاء ومن لف لفهم من حديث زيد الخيل — قال لرسول الله عليه صلوات الله : جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد ، وعلامته فيمن

لايريد — قال له رسول الله . فكيف أصبحت ؟ قال ؛ أصبحت أحب الخير وأهله ، واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه ، وأيقنت بثوابه ، واذا فاتني منه شيء حزنت عليه ، وحننت اليه ، فقال له رسول الله : هذه علامة الله فيمن يريد ؛ ولو أرادك للأخرى هيأك لها . ثم لايبالي في أي أوديتها هلكت ، فمن رزق رجاحة عقل ونهارة قلب ؛ رجا رحمة الله بقبول طاعاته ؛ ولم يرجها وهو المصر على ذنوبه . الغارق في بحار شهواته . وبحسب المؤمن أن يمتحن في ميدان الطاعات وحدها . ولا يفتح على جهوده المحدودة المكدودة ميدانا آخر للامتحان ، هو ميدان الشهوات الذي يصرع فيه الشجاع بله الجبان ؛ فكائن من عبادة يظن صاحبها أن قد أداها على أتم وجه ثم تلف كما يلف الثوب الخلق ويحذف بها وجه صاحبها ؛ لأنها لم تسلم من عجب أو شبه عجب . ولم تخل من شائبة رياء أو شبه رياء .

سئل حاتم الأصم عن صلاته وقد كان يؤديها على خير وجه فقال — بعد ذ ثم صلاتي بين الخوف والرجاء . في أتم خشوع . وأذل خضوع ؛ لاأدرى والله . أمقبولة مني أم مردودة على ؟ — وكأننا هذا الموقف الخائف الوجل من حاتم ، ينظر الى الحديث النبوى القائل : العالمون هلكى الا العاملين . والعاملون هلكى الا المتقين ، والمتقون هلكى الا المخلصين ، والمخلصون على خطر عظيم : فالناجي بمشيئة الله من اختار لجهاده ميدان الطاعات تحت راية القرآن . ولم يمتحن جهوده المكدودة . وقواه الخائرة المحدودة . في ميدان الشهوات والعصيان .

وأما الخوف من الله . فهو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ، ويقيدها بالطاعات . ومالم يؤثر في الجوارح فهو حدث نفس وحركة خاطر :لايستحق أن يسمى خوفا ، وما أبدع ما قال الفضيل بن عياض : اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت ؛ فانك ان قلت لا ؛ كفرت . والا قلت نعم ، كذبت . لأن انسانا ما ان سلم من جرم كبير ، لا يسلم من ذنب صغير .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وأقصى درجات الخوف وأشهاها ثمرة . اذ يثمر درجات الصديقين . وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى ، حتى لا يبقى لغير الله

تعالى فيه متسع ، فالخوف من المعصية خوف الصالحين ، والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين ، فكيف لانخاف المولى سبحانه بعد اذ أرصد لمن خاف مقام ربه جنتين ، ووعده الحسنيين ، وبعــد اذ يقول عز من قائل فى حديثه القدسى : وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيــامة ، واذا خافنى فى الدنيــا أمنته يوم القيامة ، وبعد اذ يسمع صاحب الرسالة الكبرى يقول : من خاف الله تعالى خافه كل شيء ، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء : والشــاعر التقى الورع يقول :

أين المفــر ولا مفــر لهــارب ... وله البسيطان الثرى والماء

فالحزم ياجماهير المؤمنين ، أن يجمع المؤمن بين طرفى الخوف والرجاء، ليؤدى كل منهما رسالة الايمان كاملة ، وفى مثل هذا المعنى يقول عمر عليه الرضوان : فى مقام الرجاء :

والله لو نادى مناد يوم القيامة كل الناس فى النار الا واحدا لرجوت أن أكون ذلك الرجل : وفى مقام الخوف : ولو نادى مناد يوم القيامة كل الناس فى الجنة الا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل :

وهل بعد عمر عليه الرضوان ، وهو وزير رسول الله عليه صلوات الله ، من نلتمس فيه خيرا يرتجى ، أو مثلا يحتذى .

ففى مقام الخوف يقول حكيم العرب : كفى بالسلامة داء : ويقــول الشاعر الحكيم : كفى بك داء أن تصح وتسلما .

ويقول مهيار :

أسر بأن أبقى وهلــكى من البقــا ... وأكره أن أودى ومن صحتى سقمى
ولم أر كالدنيــا بغيضــا محببــا ... ولا عدل مثل الموت أشــبه بالظلم

ويقول :

خلقنــا لأمر أرهقتنا صــدوره ... فياليت شــعرى ما تجر عواقبه
ومن أخرته شمس يوم فلم يمت ... يمت حــوله أحبــابه وحبــائبه

وفى مقام الرجاء يقول اسماعيل صبرى :

يارب أين ترى تقام جهنم ... للظالمين غدا وللأشرار
لم يبق عفوك فى السموات العلا ... والأرض شبرا خاليا للنار
يارب جنبنى العثار ووقنى ... شطط العقول وفتنة الأفكار
ومر الوجود يشف عنك لكى أرى ... غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الأسرار حسبى محنة ... علمى بأنك عالم الأسرار
أخلق برحمتك التى تسع الورى ... ألا تضيق بأعظم الأوزار

ولعله أن يكون قد وضح لذى عينين بعض ما أرادته حكمة الشارع الحكيم ، من أخذ العبد المؤمن بالرجاء المشجع لكيلا ييأس ، وبالخوف الموجه لكيلا يطغى ، وما أوسع رحمة الله بالناس : ان الله بالناس لرءوف رحيم :

بنعمة الخوف والرجاء ... فى الله نسعى الى النجاء
فالخوف اما استبد أودى ... وأسلم العبد للفناء
وفى الرجا وحده اجتراء ... وهل ذنوب بلا اجتراء
فاسلك طريقى رجا وخوف ... فالفوز فى الخوف والرجاء

أما بعد ياجماهير المؤمنين ، فما أحرانا ونحن ركاب سفن تمخر عباب هذه الحياة ، أن تتخذ من معنى الرجاء ربابنة يحدوننا ، ومن معنى الخوف ملاحين يحموننا ، حتى نصل بمشيئة الله وتحت عين الله سالمين الى شاطىء النجاة .

الإسلام يهدف الى تطهير السرائر وإحياء الضمائر

يقول المولى سبحانه : يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد و تقوا الله ان الله خبير بما تعملون .

يأيها الأخ المؤمن الكريم — ان كتاب الله الكريم فى أخباره صادقة . ليتلاقى مع العقل الحكيم فى نظراته الصائبة ، فلهذه الحياة الدنيا غاية ، ولأعمار الخلق فيها نهاية ، ولهذه الأيام التى نعيشها غدها القريب : وهو يوم القيامة ، يوم تسأل كل نفس فيه عما قدمت وأخرت ، وتجازى بما أساءت وأحسنت ، فالكيس الحازم الموفق فى هذه الحياة ، من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، ونهض باداء رسالة دين الله على خير ما يرضى الله .

ألا وان مـلاك الأمر فى هذا الدين القيم ، عقيدة راسخة بالايمان ، وسريرة نقية يحمى حماها ضمير حى يقظان ، وأعمال صالحة تصدرها الجوارح بعد ذلك فى اخلاص واتقان واحسان ، ان هذه الأمور مجتمعه هى سر نجاح المؤمن فى الحياة ، وسفينته التى تطفو به على طوفانها لتصل به الى شاطىء النجاة ، فان شمس الايمان اذا ملأت أشعتها جوانب النفس ، وتغلغلت فى أعماق السريرة ، طردت منها ظلمات الكفر ، وطهرتها من نوازع الشر ، وأبادت فيها جراثيم الاثم ، فلا غل ولا حسد ، ولا رياء ولا نفاق ، — ثم شهر الضمير اليقظان سلاحه ، ليحمى حمى هذه السريرة الطاهرة من كل دخيل بغيض . ويحاسبها على الفتيل والقطمير ، فالمؤمن حق المؤمن فى خير غامر دائم ، ما أظلته سريرة نقية طاهرة ، وما حاطه ضمير حى يقظان ، وعندها يتحقق معنى الاحسان ، الذى وصفه عليه الصلاة والسلام : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك : وتقر عين محمد بن على الترمذى الذى يقول :

اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظـره اليك ، واجعل شـكرك لمن لا تنقطع نعمته عليك . واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه ؛ واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

وسئل ذو النون ، بم ينال العبد الجنة ؟ فقال بخمس ؛ استقامة ليس فيها روغـان ، واجتهاد ليس معـه سهو ؛ ومـراقبة الله تعالى فى السر والعلانية ، وانتظار الموت بالتأهب له ، ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب .

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولـكن قل على رقيـب
ولا تحسـبن الله يغفل سـاعة ولا أن ما تخفيـه عنـه يغيب
ألم تر أن اليـوم أسرع ذاهب وأن غدا للنـاظرين قـريب

ثم استمع معى أيها القارىء الكريم الى عبد الله بن دينار يقول :

خرجت مع عمر بن الخطاب عليه الرضوان الى قلة ، فأقمنا ليلا ببعض الطريق ؛ فانحدر علينا راع من الجبل فقال له عمر : أيهـا الراعى ، بعنى شاة من هذه الغنم ، فقال : انى مملوك لا أملك التصرف فى مال سيدى ، فقال له عمر : قل لسيدك أكلها الذئب ، فقال الراعى : فأين الله ؟

قال ابن دينار فبكى عمر عليه الرضوان ؛ ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال له : أعتقتك فى الدنيا هذه الـكلمة ، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة ، — وهكذا يا جماهير المسلمين يكون أسلوب الراعى العادل الحكيم ، المعنى بأمر رعاياه ؛ جهاد فى الله ، وخشية من الله ، وعمل خالص لوجه الله .

وكيف لا يكون عمر مع صحابة رسول الله ، المثل العليا لخير الرعاة وخير الهداة ؛ وقد منحوا الضمير اليقظان ؛ والنفس اللوامة ، التى شرفها ربها فأقسم بها : لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة : تلوم صاحبها على ما جنت يداه ، وتحاسبه فى دنياه ، قبل أن يحاسبه مـولاه فى أخراه .

والكيس الحازم من أخذ نفسه بشهود أربع ساعات ، ساعة يناجى فيها ربه ؛ وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع خالقه ؛ وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب . فان هـذه الساعة الأخيرة عون له على

النهوض بتكاليف غيرها من الساعات — وما أجدرنا أن نتزود على قدر السفر ، فان خير الزاد ما أنالنا البغية ، وبلغنا المحل ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ، وعند الممات يحمد المؤمن التقى .

يروى بعض الثقات من الرواة ، أن المولى سبحانه يقول للملائكة ، وهو المحيط علما بكل شيء — يا ملائكتي ما بال عبادى مجتهدين ؟ فيقولون ، الهنا ، خوفتهم شيئا فخافوه ، وشوقتهم الى شيء فاشتاقوه ، فيقول المولى عز شأنه ، فكيف لو رآني عبادى ؟ اذن لكانوا أشد اجتهادا .

أما بعد يا جماهير المسلمين ، ونحن نستكتب التاريخ صفحات جديدة ، في هذه الساعات الفاصلة من تاريخ مصر الحديث ، بل من تاريخ العرب والعروبة ، بل من تاريخ الاسلام والمسلمين فى جميع بقاع الدنيا — فما أحرانا أن نستعين معونة الله ، نستمدها من هذا النور القرآنى ، وهذا الهدى المحمدى ، لنطهر بها قلوبنا من كل ما حذرنا اياه كتاب الله ، ونتحامى كل ما يوغر الصدور ، ويفسد الأمور ، حتى نضمن بعون الله لهذا الوطن الحبيب ، ولكل وطن للعروبة والاسلام بعيد أو قريب ، صلاح أمره ، ونباهة شأنه ، اذ ينفى عنه خبث الأعداء ، ويقطع دابر الدخلاء ، ويقضى على الضالعين معهم ، ولو كانوا الآباء والأبناء .

هنالك يتجلى لكل ذى عينين حب الوطن فى أروع صوره من جميع أبناء الوطن ، ويتلاقى فى قلوب أبناء الوطن حبان ، حب الوطن وحب الايمان ، ولا عجب ، فحب الوطن من الايمان ، وما أسرع ما تتعاند قلوب المسلمين فى جميع أوطان المسلمين ، على تحقيق هدف أسمى ، هو عز الاسلام ورفعة الأوطان ، وما ظنكم بعزة ورفعة يقتعدون بهما غارب الجوزاء . ويسلكون بهما أسباب السماء ، ويحققون بهما توجيه الكتاب الحكيم : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين : وعندها يصبحون أهلا أن تحوطهم من الله الرعاية ، وتلاحظهم منه عين العناية .

واذا العناية لاحظتك عيونها	نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل	واقتد بها الجوزاء فهى عنان

الدين النصيحة

أيها الأخ المؤمن : يقول المولى سبحانه : وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب .

يالله ، ما أحكم وما أعظم ، وما أعدل وما أرحم ، دستور سماوى حكيم ، نزل على خير الناس لخير الناس ، ان الله بالناس لرءوف رحيم .

تهدف رسالة السماء أول ما تهدف ، الى أن تأخذ العقول بقوة البرهان وتغزو القلوب بنور الايمان ، حتى يحتل الايمان بالله من صميمها أعز مكان ، ثم تعلم الناس أن رب الناس القوى القاهر الرحيم الودود ، شرع للناس دستورا حكيما كريما ، لو استمسكوا بمبادئه ماضلوا وما ذلوا ، هذا الدستور الحكيم الكريم ، يتقاضاهم بعد تقوى الله ومراقبة الله ، أن يكونوا البررة بأنفسهم وباخوانهم المسلمين من عباد الله ، يؤاسون الفقير ، ويجبرون الكسير ، ويأخذون بيد الضعيف ، ويمسحون على رأس اليتيم ، وألوان البر فى الحياة متشعبة النواحى ، متعددة المناحى ، تخطئها الحسبة ولا يحصيها العد ، ولكنها جميعا تخضع لدستور واحد ، فكل ما نفع الناس فهو بر ، وكل ما ضر الناس فهو شر — ولقد كان حريا بنا بعد اذ لقنا هذه الدروس السماوية على يد الرحمن فى مدرسة القرآن ، ألا نرى من بيننا من يخالف عن تعاليمه العالية ، ومبادئه السامية ، حتى لا نسمع أنة هذا الشاعر المتحنف الذى يقول :

فيا عجبا كيف يعصى الاله   أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية   تدل على أنه الواحد

وهذا ميدان جديد لجهاد جديد ، كتبه الله على المؤمنين فرادى ، كما كتبه عليهم جماعات ، فلن يعفى المؤمن من تبعات أمام محكمة الدين ، اذا

هو أدى ما أوجبه عليه الدين نحو نفسه ، حتى ينهض بما أوجبه عليه نحو غيره ، فيعين المطيع على أسباب طاعاته ، ويحول بين العاصي وأسباب معاصيه وبهذا الأسلوب الحكيم تصلح حال الأفراد ، كما تصلح حال الجماعات ، ذلكم بان أفراد الأمة لبنات في بناء هذه الأمة ، وخلايا حية في جسمها الفتى المتين : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان : لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون :

وهذا حديث رسول الله عليه صلوات الله يقول : ما من قوم عملوا بالمعاصى ، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل ، الا يوشك أن يصيبهم الله بعذاب من عنده : ويقول : ان الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة . حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه :

ما خلقنا للاثم والعدوان بل خلقنا للبر والايمان
وجهتنا السماء أن نسكن الأرض نجوما بنورها الربانى
كاد والله أن يكون ملاكا من يكرم حقيقة الانسان
لا تظنوا الانسان كوناصغيرا ان فيه حقائق الأكوان
رشحته لأن يكون نبيا أو رسولا عبادة الرحمن

فبالتعاون على أعمال البر . واستئصال جذور الشر . تسعد القلوب ، وتكشف الكروب . وتحط عن ظهور حامليها أوزار الذنوب .

أيها الأخ المؤمن : اقرأ معى قول المولى سبحانه : يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .

ثم اعلم أنه واهم والله من يظن عبادة الله لا تعدو اقامة الصلوات المكتوبة . وأداء الزكوات المفروضة . فعبادة الله سبحانه أبعد مدى من أن تحدها الأوقات المحدودة . أو تقيدها الألوان المعدودة فالمسلم حق المسلم

من مكن للعبادة من قلبه ؛ حتى ملك عليه فنها الرفيع نواحي نفسه ، يستشعر أفانين العبادة قائما وقاعدا ، راكعا وساجدا ، مزاولا عمله أو فارغا منه ، لا يلفته ذلك عن ذكر الله . ومراقبة الله . بل قد يكون بهذا الفن الرفيع من ألوان العبادة فى مصنعه أو مزرعته ؛ أعبد منه فى مسجده . أو صومعته ؛ وهكذا لا يؤدى الدين رسالته السماوية التهذيبية ، الا اذا شعر العبد العابد أن تعاليم دينه تجرى منه مجرى الدم فى القلب . وتسرى مسرى الروح فى جسد .

هذا ولكل جارحة لون خاص من ألوان العبادة . يسرها الله له ؛ وهيأ صبغتها لطبيعته . ولن تؤدى كل جارحة ضريبة الشكر لخالقها الأكبر الا اذا نهضت بتكاليف هذه العبادة فأدتها على خير وجوهها — فاللسان جارحة على صغر حجمها ، لها خطرها وأثرها ـ حيا فالفرد والمجموع ، ولعبادة اللسان ككل جارحة لونان ، ايجابى وسلبى ، فأما الايجابى فيتقاضى اللسان أن يتحدث بما فيه الخير لصاحبه وللناس ، وأما السلبى فيتقاضاه أن يكف عن الحديث يطوى فى ثناياه الشر لصاحبه وللناس — وبهذا الأسلوب الحكيم ينفذ المؤمن مبادىء دستور سيد المؤمنين وسيد المرسلين : ان لسان المؤمن وراء قلبه ، فاذا أراد أن يتكلم بشىء تدبره بقلبه ، ثم أمضاه بلسانه . وان لسان المنافق أمام قلبه . فاذا هم بشىء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه .

أيها الأخ المسلم : ان كان يسرك أن تعرف الى أى مدى كان دين الله ورسول الله معنيين بتهذيب اللسان . وأخذه بمبادىء دستور الكلام . فأذنك الى ؛ وقلبك لدى .

روى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال — قلت يارسول الله ، أخبرنى عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك ، قال : قل آمنت بالله ثم استقم : قال ، قلت فما أتقى ؟ فأومأ بيده ، الى لسانه : وقال عقبة بن عامر — قلت يارسول الله ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك . وليسعك بيتك ؛ وابك على خطيئتك : وقال سهل بن سعد ، قال رسول الله عليه صلوات الله : من يتكفل لى بما بين لحييه ورجليه . أتكفل له بالجنة : وهذا عبد الله بن مسعود يقول : والله الذى لا اله الا هو ما شىء أحوج الى طول سجن من لسان

وهذا طاووس يقول : لساني سبع ، ان حبسته تحاميته ، وان أرسلته أكلني

خبرني بعيشك أيها الأخ المسلم ، هل ظفر دستور دين الله بعد هدى كتاب الله ورسول الله من قلوب الناس بما يكف ألسنتهم عن القولة الظالمة العادية ، والكلمة العابثة اللاغية ؟ ان نظرة خاطفة عابرة لما تزوره مصانع الأكاذيب والمفتريات ، من ألوان الشائعات والمرجفات ، لتدمغ عصابة هؤلاء المرجفين المروجين بأنهم والله لعصبة شر تظاهرت على الشر ، وأبت الا أن تتزلف الى الباطل على حساب الوطن المظلوم ، بما يختلق من مفتريات وشائعات ، تسود بها وجه الحق ، وتزلزل ثقة الناس بمن نهضوا لانهاض هذا الوطن المغبون .

أيها الظلمة لأنفسهم ولوطنهم ، انكم بما تزورون وتطلقون من شائعات كاذبات مغرضات ، تحاولون أن تحولوا بين جهود المخلصين من أبناء هذا الوطن وبين اتمام بنائه ، لتظلوا سعداء بشقائه ، ناعمين ببلائه ، — كيف تحاولون تعطيل أيد تحاول أن تجدد فى فجر هذا البعث الجديد خلايا هذا الجيل ؟ وهى الجديرة من فم كل مصرى بل كل عربى بالتقبيل — أما أنسنتكم الكاذبة الفاجرة ، التى تحاول بأسلحة شائعاتها المغرضة ، أن تقتل فى حجر الحرية وليدها الجديد ، الذى بارك هذا العهد السعيد ، أقول ، ان هذه الألسنة المزورة لجديرة أن تستأصل من حلا قيمها ، لتريح الناس وتستريح : لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا :

أما أنتم أيها المواطنون البررة الأطهار ، فان بركم بوطنكم يتقاضاكم أن تقطعوا على هذه الشائعات سبيلها ، فتقتلوها فى مهدها ، وتتعاونوا جميعا على وأدها ، فان لها سحرا حراما ان لم تقتلوه قتل ، وان لم تسدوا دونه منافذ الأسماع والقلوب ؛ دخل فأشاع فيها الدخل والدغل ؛ وقديما كان للشائعات الباطلة أثرها ، حتى فى نفوس القادة والزعماء ، بل قد ترقى حتى تنال مقام الأنبياء ، فهذا رسول الله عليه صلوات الله ، يتأثر بحديث الأفك عن عائشة المبرأة عليها الرضوان — وهى من هى — عراقة أصل ، وكرامة

زوج ، ومتانة دين ، لم يسلم عرضها الشريف من ألسنة قالة السوء ، وان لم ينالوا من هذا الشرف الرفيع الا ما ينال نبح الكلاب من رفيع السحاب

ولقد كان رأس عصابة السوء وناشرى الافك على عائشة الصديقية ، رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول . وتابعه فى الوقوع فى هذا الهلاك من وقع من الغافلين ، ولكم عانت عائشة عليها الرضوان من آثار هـذه الفرية المفتراه ، وما كشف عنها هذه الغمة الا قلب ثابت الايمان ، وحسن ظن بالله قوى الأركان ، فكان جزاؤها أن أنزل الله تعالى ببراءتها القرآن .

قالت عائشة ، وقد لبثت أياما لايرقأ لها دمع ، ولا يكتحل لها بالنوم جفن ، مخاطبة أبويها فى حضرة رسول الله عليه صلوات الله : انى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث ، حتى استقر فى نفوسكم وصدقتم ، فلئن قلت لكم انى بريئة . والله يعلم أنى بريئة لاتصدقونى، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة ؛ لتصدقنى ، والله لا أجد لى ولكم مثلا الا قول أبى يوسف : فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون — فاضطجعت على فراشى . وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة ، وأن الله مبرئى ببراءتى ، ولكن ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى ، قالت — فوالله مارام رسول الله عليه الصلوات ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل عليه ، فأخـذه ماكان يأخذه من البرحاء والشدة : حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو فى يوم شات ، من ثقل القول الذى ينزل عليه — قالت — فلما سرى عن رسول الله ، سرى عنه وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها : ياعائشة ، أما الله فقد برأك ، فقالت أمى : قومى ياعائشة فاشكرى رسول الله ، فقلت : والله لا أشكر الا الله : وقد أنزل الله سبحانه :

ان الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هـو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ؛ والذى تولى كبره : حمل معظمه : منهم له عذاب عظيم — الى آخر الآيات العشر الكريمات .

لا يأكل الأمم الغريرة   مثل غول الشائعات
يمشى فيغتال النهى   بمخالب للترهات
فخذى حذارك تسلمى   يا مصر من كيد العداة
وثقى بأن الله ولى   أمرك الغر الثقات
فارقى بهم هام العلا   والقى بهم عز الحياة

أما بعد يأيها المواطنون الأحرار — والمؤمنون الأطهار ، فما أحراكم أن تقوموا على قلب رجل واحد فتحاربوا فى هذه الشائعات وضاعها ، كما تحاربون سماعها ، لتهيئوا أمام الساسة والقادة والعاملين ، من أبناء مصر المخلصين، فرصة طائرة نادرة، يرفعون بها مكانة مصر الى أعلى عليين، الا أن الوطن يناديكم فاستجيبوا لنداه ، ويستحلفكم باسمه بعد اذ استحلفكم باسم الدين وباسم الله ، أن تتفانوا جميعا فى سبيل علاه . يرضى عنكم الله ورسول الله — والسلام عليكم ورحمة الله .

دستور المؤمن حب الله
والجهاد في سبيل الله

يقول المولى سبحانه : يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبـونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم : صدق الله العظيم .

انها والله لآية كريمة من كتاب كريم ، أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . أبانت لنا هذه الآية أن عقدة الصلة بين العبد وربه ، لاتعقدها الا يد ود آكيد ، وحب شديد ، يتجاوبان بين العبد وربه ، والرب وعبده . وأن الايمان حق الايمان . يحمل المؤمن أن يكون لين الجانب ، موطأ الكنف مع اخوانه من جماهير المؤمنين كما يحمله أن يكون بادى العزة ، ظاهـر الغلب على الأعداء من الكافرين ، كما كشفت لنا الآية الـكريمة عن وجه الرسالة النبيلة التى كلف المؤمن أداءها فى هذه الحياة ، جهاد موصول فى سبيل الله . لايغير من عزمه تعويق المعوقين ؛ ولا يثنيه عن نبيل قصده لوم اللائمين .

أيها المؤمن الصادق الايمان — الدين محبة : قضـية تظاهرت عـلى صدقها كتب السماء ، وأحاديث الأنبياء ، والواقع المشاهد الملموس ، فآيات التخويف والنذر انما سيقت لقوم لم يملأ قلوبهم حب الله ، فاحتاجوا الى أساليب من الترهيب تخلع قلوبهم خـوفا من الله ، ومن لم ينقد بوســائل الامتنان ، قاده مولاه بسلاسل الامتحان .

فالمؤمن السعيد من ملأ نواحى قلبـه حب الله ، واستجابت جوارحه لنداء هذا الحب الصادق فلا تصدر الا عن عمل فيه طاعة لحبيبه وفيه رضاه. من أجل هذا يدعو رسول الله ومن تأثر خطا رسول الله هذا الدعاء الحبيب

الحكيم : اللهم ارزقني حبك ، وحب من أحبك ، وحب ما يقربني الى حبك ، واجعل حبك أحب الى من الماء البارد :

ويعلنها على كرم الله وجهه ، قضية حب يفخر بها ويعتز : كان رسول الله عليه صلوات الله ، أحب الينا من مالنا وولدنا ومن الماء البارد على الظمأ .

وهذا أعرابى سليم دواعى الصدر ، طاهر نواحى القلب ، يسأل رسول الله عليه صلوات الله ، متى الساعة ؟ — فيقول رسول الله — ما أعددت لها ؟ فيقول الاعرابى ، ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ، الا أنى أحب الله ورسوله ، فيقول له الرسول عليه الصلوات — المرء مع من أحب — قال أنس عليه الرضوان — فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الاسلام فرحتهم بذلك

ولن ينعم المؤمن بنعمة الحب الخالص لمولاه ، الا اذا سلك سبيل المعرفة التى تبصره بمظاهر جمال الله ، وجلال الله ، وتكشف له عن الجانب المخبوء من كنوز آلاء الله ، والبصيرة فى مجالى هذا الجمال أحد من البصر ، والقلب فى هذا المجال أهدى من العقل — هنالك يهتف المؤمن بلغة الحب الصادرة من أعماق القلب :

ياعذولى اليك عنى فانى   فى جمال الورى عشقت الله

وأى مؤمن صدق ايمانه بالله ورسوله ، لايصدقهما حبا يمكن له فى صميم قلبه ، ويملك عليه نواحى نفسه ، وهو يعلم العلم كله أن ايمانه بهما لا يكمل ، وعمله لمولاه لايقبل ، حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، كما يتحدث الينا هدى رسول الله عليه صلوات الله ، وكما يتحدث الينا كتاب الله : قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لايهدى القوم الفاسقين .

ولن نكون ياجماهير المؤمنين محبين لله ورسوله أصدق الحب ، موادين لهما أخلص الود ، الا اذا أحببنا من أحبهما ، وأبغضنا من أبغضهما .

فذلكم هو المعنى الحق للحب فى الله ، والاخاء فى الله : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد : حارب : الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون .

كما أوحيت يا مولاى فى حديثك القدسى : وعزتى لا ينال رحمتى من لم يوال أوليائى ، ويعاد أعدائى .

هذا ولا يأخذنكم العجب ياجماهير المؤمنين ، بعد اذ عرفتم أن هذا الحب فى الله ورسوله وهذا البغض فى الله ورسوله ، أصل من أصول الدين أن تسمعوا ان أبا قحافة ، وهو والد أبى بكر عليه الرضوان ، سب النبى عليه صلوات الله ، فصكه أبو بكر صكة سقط بها على الأرض ، ثم ذكر ذلك للمصطفى عليه الصلوات ، فقال : أفعلت يا أبا بكر ؟ : قال نعم ، قال : لاتعد: فقال أبو بكر : والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته .

وهكذا : أيها الأخوة المؤمنون ، يكون الحب فى الله وفى رسول الله موسوما بأسمى معانيه ، متجليا فى أحلى مجاليه ، فأسألوا الله معى أن يملأ قلوبنا حبا نتحامى به نار غضبه ، ونظفر بجنة رضاه .

هذا ، ولن يغيب عنك أيها الأخ المؤمن بعد اذ تغلغلت فى قلبك حلاوة هذا الحب الربانى أن أشهى ثمرات هذا الحب أن يسارع المؤمن الصادق الايمان ، الى تلبية دعوة النفير العام ، فى سبيل الله والوطن ، يتقدم الصفوف رافعا علم جهاد يرد به الكرامة لنفسه ، ويوفر به أسباب العزة لقومه ولوطنه فالوطن سياج الدين ، ومن لا وطن له لا دين له ، ولا دنيا ولا آخرة له : ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم : بهذه التضحية الغالية بالنفس والمال يسأل الله عباده المؤمنين أن يضحوا ، فليسارعوا الى بذل أنفس هو خالقها ، والى بذل أموال هو مانحها ، ومن عرف قدر من يسأل ، هان عليه ما يبذل .

لله رجــال قــد صــبروا وبفــوزهــو سبق القدر
قامــوا لله بأمــــر الله ولولا الله لمــا قـــدروا

وها نحن أولاء فى فجــر نهضة مباركة ، وفى ابان بعث جديد ، قــد لحظته عين الله ، وباركته يد الله ، وان فى ميدان التضحية والجهاد فى ســبيل الله والوطن متسعا للجميع .

انتظمت روح سماوية عالية قلوب أبطال جيشنا المظفر ، فهبوا ينافحون بسلاح الاخلاص والايمان ، عن قداسة الأخلاق وكرامة الأوطان ، بعــد اذ امتهنت للخلق الكريم قداسته ، وأذيلت للوطن الحبيب كرامته ، وهاهى ذى أدوات التطهير تجتث من الفساد أصوله ، وتأخذ على الشر سبيله ، خالصا عملها لوجه الله ، ولوجه الحق ، ولوجه مصر .

بهذه الأيدى الطاهرة المباركة ، وضعت هذه السياسة الحازمة للوطن أساس بعث جديد ، وخطت أولى الصفحات المشرقات من تاريخ عهد مبــارك سعيد ، شــعاره النيل لأبنــاء النيل . وللدخيل العادى الحــرب والضرب والتشريد والتنكيل ، فأهلا بأهل باعوا أنفسهم لله والوطن : يجاهــدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم : وهل يلام من راح يخطب لوطنه السعادة والنجاة ، وقام يشترى له بحياته الحياة :

مصر حيى فى الدارعين أسودا هيئوا للبــلاد فتحا جــديدا
ثم سودى واستقبلى كل يوم بعد فتح الفتاح عيدا ســعيدا

أما بعد فيأيها المواطنون الأحرار ، وياجماهير المسلمين فى أوطان العروبة وجميع أوطان المسلمين ، ما أحراكم أن تتأثروا خطا هؤلاء المجاهدين الأبرار هاتفين للوطن الكبير فى ميادين البــذل والتضحية والسخاء ، بأنــكم على استعداد لدفع ضريبة الدماء والفداء وبهذا وحده يتم للوطن الكبير شــامخ البناء ، ويتحقق فيه كامل الرجاء ، تحت عين الله وبمشيئة الله .

الخمر

أيها الاخوة المؤمنون :

في أمسية أمس ، دخلت مسجدا جامعا من مساجد القاهرة ، فألفيت صاحبي الذي قصصت عليكم قصصه ، وتحدثت على مسمع منكم حديث الصلاة معه ، يصلي العشاء فيؤديها على خير ما يجب أن تؤدي الصلاة ، جوارح ساكنة ؛ وقلب واجف ، ودمع واكف ، وعين لا تعدو نظراتها الوادعة مسجدها ، وقف صاحبي يطيل الدعاء ، في ذلة العبد الخاضع ، وينشيء لله الثناء ، في ضراعة الهيوب الخاشع ، فلو وسع الصلاة أن تنطق لقالت : لقد والله صليتني خير صلاة ، صلى عليك وعلى آلك الله ، فأديت مثله المكتوبة ، وأنا طروب بأن يد الله قد كتبت لي وله نصرا مؤزرا (١) ، وذخرت لنا جميعا ثوابا مدخرا ، ثم غادرنا المسجد يسبقني بخطوات ، فما ناديته حتى أقبل على بوجهه المشرق الوضاء ، تقرأ فيه عين رائيه الهدى ، وتجتلي نور السماء ، فقلت في نفسي صدق الذي أنزل « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » : وها هو ذا يحتويني بين ذراعيه في اعتناقة مديدة حبيبة ، تحمل الى القلب رسائل القلب ، وتترجم للنفس أشواق النفس ، وكأنما كتب على نفسه أو كتبت عليه نفسه ، أن يؤدي الى فرائض هذه التحية القلبية ، تامة الهيئات مستوفية الأركان ، بين يدي كل لقاءة تسعدنا بالاجتماع ، ولو لقيني في اليوم الواحد مرات ومرات ، وما شدهني (٢) منه الا أن ابتدرني بقوله ، أولا يرى صاحبي أن تؤدي للحانة فريضتها ، كما أدينا للمسجد فريضته ، فأمسكت لساني حبسة الدهشة ،وأمضني وقع الأمل الكاذب ، والرجاء الخائب ، وما أحرت عن سؤاله جوابا ، وكأني به قد حزر قبل ان يدهني بسؤاله ، أن سيوقعني في بحر لجي من الحيرة لا ساحل له ، بعد اذ نسف

---

(١) بالغا شديدا .

(٢) ادهشني .

بقذيفة واحدة ماطولنا من بنـــاء ، وما ابتنينا من رجاء ، ارتد فى رد الطرف هباء أو دون الهباء ، عمد فى حيلة المحتال ، الى صمته الصموت ، وارتأى فى ثياب الماكرالدجال ، أن يهجر النطق الى السكوت ، جاهدا أن يخلى بين نفسي وبين وساوسها وهواجسها ، ساعة هى عندى فى عمر الشهر بل الدهر، وطفق يتلهى عنى بنظرات عجلى عابرة ، يرســلها طورا الى فجاج الغبراء ، وتارة الى طرائق السماء ، فقلت فى نفسى ، لعلها أعراض دائه القديم ، بعد اذ تحرك ساكنه ، واستيقظ نائمه ، ولكن أيكون فى مكنة الامكان ، أن يقف فى صلاته كما رأيته بين يدى ربه ، بناظر عبران ، وقلب سهوان ، وهل الدمع الا رسائل القلب المتقد الفوار ، ترسلها ناره على أجنحة البخار ، فتستحيل على زجاجة العين كلمات أشف من نطاف (١) الغيم ، لا تصطنع الكذب . ولا تعرف المين ، أفأقول : لقد كذبتنى نفسى ، وخدعنى حسى ، بعد اذ غطى هواه وما ألقى على بصرى ، وهنالك ارتأى صـــاحبى أن يرحم فى هـــذه الحيرة ، ويحمد الى هذه الغيرة ، فقال : يا صـــديقى ، ليفرخ روعك (٢) وليستعد قلبك مكانه من صـــدرك ، بعد اذ كاد يحطم فى ثورانه جوانح الصدر ، فما أنا بعد الرشد ويلك والخمر .

قلت اذن : ما سؤالك اياى وما معناته ؟. قال : لو غشينا حانة لندرس فيها جميعا حياة السكارى عن كثب ! . فقلت : نشـــدتك الله ألا تنتظم فى أسلوبك بعد الآن ، مثل هذه الدعابة القاتلة ، وأن تعفينى واياك من هذه الريبة المريبة ، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، قال معاذ الله أن نقع فيما يتسخطه الله، بعد أن حصنتنا الصلاة، ذلك الى أنى أقصد من هذا الدرس الى أكثر من معنى واحد ، نفد يحفز نفسى الى مضاعفة شكر ربها ، اذ ترى رأى العين ما كانت تلابس من اثم ، وتواقع من خطيئة ، وقد أهيج فى نفسك الرضية غيرتها الصادقة ، فينطق دين الله على لســانك بالحكمة وفصل الخطاب .

قلت مرحى ، مرحى ، لقد والله تعلم صاحبى كيف يغزو بمنطقه العقل ، كما غزا بحبه القلب ، ومالى يد أن أخالف عن أمره ، بعـــد اذ حجنى فى

(١) جمع نطفة وهى الماء الصافى .
(٢) ليذهب خوفك .

محاورته ، لكني ســائلك بما بيننا من مودة صــادقة ، ألا تألونا حســن احتيال في اختيار المكان • حتى نرى من حيث لا يرانا انسان ، فقال ذلك لك ، ان صح في عيار المنطق السليم ، أن ما تضمه جدران الحان ، يسمى انسانا أو شبه انسان ، فقلت قصدك أيها الصديق ، فقد جرت ياهادي الطريق، سلبت نفسك وصديقك انسانيتهما ، اذ أنت وهو من دخــول الحانة قاب ، فقال : دع عنك يا صديقي ، بل يا أستاذي فن المغالطة والمداورة ، فقد حذقت في مدرستك فنون المقاولة والمناظرة ، وهل في شرعة الانصــاف أن يقال لانسان هذا حيوان ، ان خطر له أن يتفرج من همومه بزيارة حديقة الحيوان•

أما بعد •• فاستعذ بالله من الشيطان ، واتتح بنا هذه الناحية الخالية ، لنسمع ونرى دون أن يفطن بنا صاح أو سكران ، ولا تحفــل يا صاحبي صاحب الحانة ، فلطالما اصطنعت عنده صنائع في العهد الأنكد ، أستغفر الله اياها الآن وبعد الآن ، هذا هو المشهد الأول من مأساة السكارى فاستقبله ساخطا أو راضيا ، ضاحكا أو باكيا ، فما يعنى أبطــال الرواية الكرام ، أن يطرب السامر (١) ، أو يصفق لهم المتفرجون ، وهذا هو الخمــار يحمــل الكؤوس ، ليقدمها مترعة الى فارغي الرؤوس •

نظرك يا صديقي ، هذه هي الكؤوس تقرع ، والأضــــواء تتلألأ ، والضحكات تتعالى ، ولعل هذا الشاب الذى وسط الجمــع الجميــع هو رأسهم فقد ابتدر شرب الكأس ، وهز الرأس •

سمعك يا صاحبي ، فلقد أنشأ يغنيهم بيتا من الشعر لا أكاد أستبينه ، فهل تستطيع أن تحزره ؟ . قلت نعم ، انه بيت النواسى :

ألا فاسقني خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهــر

قال صاحبي أخزى الله أبا نواس ، فما أقبح وما أوقح ، وهل القبح الا أن يمتحن العبد بالخطيئة ، فيأبى الا أن يقارفهــــا على أعين الناس لعلهم يشهدون ، وكأنى به يقول لهم ، هذه منبهتي ومفخرتي ، فأين آذانكم وأين العيون ؟ فقلت لصاحبي ، أى وربى ان ما قلت لحق ، لقنمنيت بنت عدنان(١)

---

(١) اسم جمع بمعنى السمار •
(٢) اللغة العربية •

بطائفة من الشعر العاهر الداعر ، شاه به وجه الحسناء ، وغاض من أجله ماء الحياء ، وكان رأس هذه العصابة الماجنة ، ذلك النواسي الخليع : الذى نصب أبيات شعره مواخيرللفجا ر ، وابتناها مخابيء للأشرار والشطار (١) فيا بؤسى له ولهم .

زعم الكأس كوكبا حين دارت ... ان تكن كوكبا فكوكب نحس
خسر الغالبين دينا ودنيا ... من يبع راضيا نهاه بكأس

وهذه يا صاحبى عين التاريخ المنقرة الدراسة . تكشف لنا الغطاء عن سر هذه العصابة الباغية الفاجرة . وتبرمه عليها حكما لا يقبل نقضا ، أنها دسيسة الأمم التى غلبها العرب على أمرها ؛ أعياها النصر بامتشاق الحسام ، فأثارتها حروبا وحية (٢) خفية فى ميادين السلام ، سددت سهامها الى قلب الخلق العربى الاسلامى الكريم ، فأصابته وياللأسف فى صميم الصميم ، قال صديقى ، ان من شعراء العربية الى يوم الناس هذا ، من لا يتأثم أن يكون نواسيا مذهبا ومشربا : ولحما ودما ، ولا يبالى أن يصنع للشيطان أغانى فاجرة ، ورقى ساحرة ، يحاول أن يغزو بها قلوب الأبرار ، كما غزا من قبل قلوب الفجار ، قلت ذلك يا صديقى الى عدم أخذ نابتة البلاد منذ نعومة الأظفار ، بتعاليم الدين السمح ، فى البيت من الوالدين ، وفى المدرسة من المربين ، وافتتان الناس بخوادع هذه المدنية الغربية الكذاب ، واستمساكهم بكثير من عادها السوء ، وتقاليدها المبيرة المبيدة .

قال صديقى : انظر فخبرنى ما علا وجوه الشرب عند تحسيهم المدام . قلت عبسة المتكره ، وقطبة المتبرم ، فما سر ذلك ؟ قال الصديق : ان من العجب العاجب أن يدمن الشارب الشراب ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، وهو الحميم يكوى لهاته ، ثم يهوى الى جوفه ، فيهرأ أحشاءه ، هذا ولسان الطب يحدثنا أن الخمر فوق اغتصابها عقول الشاربيها ، ترزأ أجسامهم بألوان من الأمراض المخطرة ، كتصلب الشرايين وما الى تصلب الشرايين من شلل وفالج ، فهل رأيت ضلالا كهذا الضلال المبين ، قلت لا وأبيك يا صديقى ، فبئس الشراب ، وساء مثلا القوم الشاربون ، لكن نبئنى ، مالون

(١) جمع شاطر وهو من اعيا اهله خبثا .
(٢) عجلة سريعة .

الورد الذى أراه بعد تحسيهم المدام ، وقد زهت به خـدودهم وأشرقت بحسنه معارفهم ، قال : أعيذك يا صديقى أن تختدع كما خدعوا بهذا العنوان الكذب الخداع ، فنظرة حتى يشتد بهم الخمار (١) ويستقبلهم وجه النهار ، لترى هذه الخدود الزاهية الفاتنة ، فى صفرة البهار .

ثم قال : دع عنك هذا الآن وانظر معى الى حزب الشيطان ، فلقد طفقت مشاهد الرواية تتوالى أمامنا سراعا، بعد اذ لعبت الكؤوس بالرؤوس، وشربت بنت الحان عقول الشاربين ، وأخلاق التاعسين البائسين .

ألا قاتل الله الخمر ، فقد قتلت رجولة الرجال ، بعد اذ كشفت الغطاء عن العورة ، وجدعت أنف الغيرة .

قلت لك الله ، فلقد أذكرتنى حديثا فى هذا المعنى لرسول الله . قال هات : فما أشوق وما أصدق . فقلت : « ثلاثة لا يدخلون الجنـة أبدا ، الديوث ، والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر ، قالوا يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قال : الذى لا يبالى من دخل على أهـله ، قالوا والرجلة من النساء ؟ قال : التى تشبه بالرجال » .

ثم التفت فاذا الشرب يمزجون الصهباء بالماء ، فاستفهمت صاحبى سر ذلك فقال : قد تحتدم سورة (٢) الكأس حتى ما تكاد تحتملهـا النفس ، فيعمد الشارب الى الماء القراح ، يخفف به شيئا من سورة الراح . فقلت . لقد أذكرنى تزويجهم هذا المزاج الطهور المظلوم ببنت الكروم قول الشاعر المتحنف :

دنس العرض واستحـل حراما من يزوج ماء طهـورا بنجس
فهو ابن السحـاب أطيب عرس وهى بنت الحانات أخبث عرس

قال صديقى : لا يفضض الله فاه ، فلقد والله حكم فعدل فى حكومته ، اذ أوجب على غير المتكافئين الفـراق ، واستحل للزوج الطلاق ، ثم نظـرت واياه ، فاذا السكارى يتسارون ويتهامسون ، ثم يتصايحون ويتناكرون ،

(١) صداع الخمر وأذاها .
(٢) حدة الكأس .

حتى لكأنما كان بعضهم يأتمر ببعضهم ، فقلت لصاحبى ، شر مبيت جرأته الخمر على الظهور ، وما يدريك لعله أن تختتم فصول المأساة بسلب أو ضرب أو قتل ، وهل المخمور الا مجموعة غرائز هى الشر متحفزا مستوفزا ، كان لها من عقل صاحبها عقال ، واذا ذهبت الخمر بالعقل حل العقال ، فما ان تزال فى سبيل هواها ، راكبة رأسها ، خابطة زائطة (١) حتى يتوفى الموت صاحبها ، أو يجعل الله له سبيلا ، أولم تشهد يا صاحبى كيف أخرج رسول الله صلوات الله عليه هذا المعنى فى صورة مخلقة ، لها حركة الأحياء ، وكلام الاحياء ، قال : هات _ هات فما أحوجنى الى اتحافك والطافك، فقلت : قال رسول الله:

« اجتنبوا أم الخبائث ، فانه كان رجل ممن كان قبلكم ، يتعبد ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما ، انا ندعوك لشهادة ، فدخل فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه ، حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية (٢) فيها خمر ، فقالت ، انا لم ندعك لشهادة ، ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع على ، ، أو تشرب كأسا من الخمر ، فان أبيت صحت بك وفضحتك ، فلما رأى أنه لا بد من ذلك ، قال : اسقينى كأسا من الخمر ، فسقته كأسا من الخمر ، فقال : زيدينى ، فلم يزل حتى وقع عليها، وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع ايمان وادمان الخمر فى صدر رجل أبدا ، ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه » قال صاحبى : ان هذا لهو القصص الحق ؛ بر والله رسول الله وصدق ورفق ، وهل لنا من مؤدب رفيق بعد الله ، خير من رسول الله . ويرحم الرحمن الفضل بن يحيى اذ يقول وقد سئل لم لا تشرب الخمر ؟ لو علمت أن الماء ينقص من مروءتى ما شربته : أحسن والله ؛ وهل تجتمع المروءة والحمق (٣) فى مكان !.

لكن حدثنى ، لم استزاد العابد المرأة كاسات الخمر ، وهى لم تكلفه الا شرب كأس واحدة ؟ أما كان حقيقا ألا يعدد هذه الكأس التى كتبتها عليه ضربة لازب ، حتى ينجو بنفسه وخلقه ودينه مما وقع فيه ؟ قلت : عافاك الله يا صديقى ، انما الخمر هى الكأس الأولى ، وما تلاها من كاسات بعد ، فانما

(١) صائحة .
(٢) اناء الخمر .
(٣) الحمق : الخمر .

هى تخفيف لنارها ، وتسكين لخمارها ، وهذا هو صوت الشاعر المجرب المبتلى ، يجأر بالشكوى :

وكأس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها

عافاه الله وعافاني وعافاك ، ألا انما شر البلاء ، ما يتداوى فيه من داء بداء ، وما أتممت مقالتى حتى فاجأتنى وصاحبى أصوات مجلجلة نكراء ، وجلبة وضوضاء ، فنظرنا فاذا السكارى قد حكموا حكومة الكراسى فيما شجر بينهم ، فما لبثوا أن تهاووا صرعى ما بين جريح وطليح (١) هذا قد شج رأسه أو رضت ساقه ، وذلك سمر فى الأرض كأنما شد وثاقه ، وآخر طال لأحد الكراسى تقبيله واعتناقه ، وما منهم الا من غلبه القىء فاستقاء وما أفاق ، أو سبقه البول فأراق وما أطاق « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله،أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » الويل لهم ، ألم يسمعوا قول العليم الخبير : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ » عند ذلك استعبر (٢) صاحبى فقلت له : بأبى أنت وأمى ما يبكيك ؟ فقال : أستغفر الله معى لذنوبى ، فقد كنت بالأمس القريب أحد هؤلاء السفهاء الأشقياء . فقلت لاعليك ، فقد كتب ربك على نفسه لمن أخلص المتاب ، أن يبدل سيئاته حسنات .

مشى صديقى مكدودا مجهودا وهو ينظر الى غير شىء ، شأن السادر (٣) الحائر ، كأنما يلوم نفسه على زمن أضاعه بين الكأس والطاس ، فرأيت أن آخذه ببعض الفكاهة لعلى أن أسرى عنه فقلت : أولم يأتك يا صاحبى نبأ السكير الأديب ؟ قال : فما نبؤه ؟ قلت : حكى أن سكران استلقى على طريق ، فجاء كلب فلحس شفتيه ، فقال له : خدمك بنوك ، ولا عدموك ، فبال على وجهه . فقال :وماء حار أيضا ، بارك الله لى فيك ، فضحك صاحبى حتى بدت نواجذه (٤) فرأيت أن أزيده فقلت : وخبر السكير

---

(١) طلح البعير : اعيا .
(٢) جرت عبرته .
(٣) المتحير .
(٤) أقصى الاضراس .

الفيلسوف أيضا ؟ قال وما خبره ؟ فقلت : حكى أن أحد الظرفاء لقى صديقا له من المدمنين ، غداة صحوة من سكرة ، فألفاه رابطا احدى يديه بمنديل ؛ فاستعلمه الخبر فقال : بينما أنا خارج من الحانة أمس فى زحم (١) من المنصرفين ، اذ داس أحد الثقلاء يدى فرضها (٢) كما ترى ، فتبسم صاحبه ابتسامة ساخرة وقال : يا سبحان الله ، ان هذا جزاء من يخالف أمر الله ، فيعطل رجليه ويمشى على يديه . فاستروحت (٣) نفس صاحبى ، ثم قال : لقد استشرى (٤) البلاء ، بعد اذ استهيم بمعاقرتها الفقراء كما استهيم الأغنياء . وان أحدهم ليبيت على الطوى ويظله ، ويترك زوجه وعياله يستفون ترب الأرض جوعا ، ليخرج عما ملكت يداه من حطام ، ثمنا لكأس يشرى بها انفاد قوته ، وتشتيت أسرته ، وتقويض سعادته ، وفقد عقله وخلقه وشرفه جميعا ، فما حكم الله فى شاربها ياصديقى . قلت : قال رسول الله : « من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » . ولا عجب فهى كما نعتها صاحب الرسالة الكبرى أكبر الكبائر وأم الفواحش ، من أجل ذلك حرمتها جميع شرائع السماء ، لا تحلها يهودية ولا نصرانية ولا حنيفية ، فهذا رسول الله يقول : أتانى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها (٥) وشاربها وحاملها والمحمولة اليه ، وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها » . وهذه بعض أمم الغرب قد فطنت لخطر الخمر ، فأثارتها حربا شعواء عليها وعلى البائعيها والشاربيها ، فهل لنا أن نمنى النفس عناية من أولى الأمر ، باثارة مثل هذه الحرب جهادا فى الله ؟ انا والله أحق بها وأهلها فوطننا الشرق ، مهد الرسالات ، وديننا الاسلام خاتم الأديان ، نسأل الله يا صديقى أن يسدد خطانا ، وأن يحوط لنا أمور ديننا ، لنحوط بها أمور دنيانا ، وحسبى وحسبك الآن فأستودعك الله والسلام عليكم ورحمة الله .

---

(١) الزحم : المزدحم .
(٢) دقها .
(٣) وجدت الراحة .
(٤) تفاقم وعظم .
(٥) من عصرت له .

عبر من سورة البقرة

أيها الأخ المؤمن : النـاس أمام الهـدى السـماوى ألوان وألوان ، والناس معادن كما يقول المصطفى عليه السلام ، فمنهم من اذا ظفرت عيناه باشعاعة من نور سماوى ، وحظى قلبه بتوجيه ربانى ، أسرع الخطا نحـو منار الهدى ، وتألقت فى قلبه الطاهر اشراقة هذا التوجيه الربانى الكريم ، هذا شأن جماهير المؤمنين من كل ملة ودين .

ومن الناس من عميت عيناه ، فلا يرى النور الا ظلاما ، وملأ الشك قلبه ، فلا يرى الاستجابة لنداء الايمان الا ذلة واستسلاما ، يركب رأسه فى سبيل ضـلالاته ، ويعطل رسـالة عقله ليرضى نزعات أهـوائه ونزوات شهواته .

أرأيتم الى بنى اسرائيل وقـد جاءهم موسى عليـه السـلام بالآيات البينات تنطق بوحدانية رب الأرباب ، فما أرضاهم الا أن يتخـذوا العجل ربا ، تطمئن لعبادته نفوسهم ، وتشرب حبه قلوبهم : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، واذ أخذنا ميثاقـكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعناوعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » : فهل رأيتم يأيها المؤمنون : الى أى مدى تطغى الحيـوانية على الانسانية فى بعض الألوان من بنى الانسان ، فتلغى منها العقـول ، حتى ترضى بعبادة العجول . ان رسالة الدين تهدف الى نفع الناس ورعى الناس ، تناصر فيهم الفضائل ، وتحارب فيهم الرذائل ، تأخـذ بأيديهم الى نواحى الحق والصدق والعزة والكرامة ، وتلقى عليهم دروسا سـماوية نافعة فى نمو الشهامة والأمانة والاستقامة ليصلوا على ضوء تعاليمها الى حيـاة مثاليـة رفيعة ، تعلمهم أن الانسـانية الحق ، يجب أن تـكون أكرم على

الانسان ، من أن يتدلى بها الى حضيض الذلة والهوان ، حتى لايكون أدنى حيوان ، أدنى الى شرف من الانسان .

تهدف مدرسة الدين الى أن يفهم طلابها : أن رب الأرباب سبحانه أغنى الأغنياء عن عبادتهم ، فانه سبحانه لا تنفعه طاعة ، ولا تضره معصية ؛ وما أغناه تعالى عن عبادة العابدين وذكر الذاكرين ، ان الله لغنى عن العالمين ، كما تهدف مدرسة الدين أن يفهم طلابها : أن الدين ما شرع الا ليعلمهم أن هذه الحياة الزائلة الباطلة ، ما خلقها الخلاق الا لتكون وسيلة لا غاية ، وسيلة لحياة أخرى أهنأ وأمثل وأفضل ، فلا ينبغى أن يحرص الأحياء على هذه الحياة الزائلة الا لكى يملئوا نواحيها بألوان شتى من الأعمال الصالحة والآثار النافعة لهم وللناس ، أما أن يحرصوا عليها لذاتها ولكى ينالوا بخسيس هوى الطباع ما يتشهى الحيوان ، أو ليفروا مما أرصد لهم من عقوبات الآخرة فرار الجبان ، فهذا مالا يرضاه دين ، ولا يقره عقل سليم : استمعوا الى كتاب الله يكشف الغطاء عن حال أمثال هؤلاء المكابرين المغالطين : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون » .

أيها الأخوة المؤمنون : ان نظرة واحدة نخترق بها طيات الزمن الغابر ؛ لنتعرف وجوه السلف الصالحين من آبائنا الأولين ، لكفيلة أن تملأ قلوبنا بمزيج عجب من الخشية والرهبة والرغبة ، والحب والاجلال جميعا ، ذلكم بما تقع عليه عيوننا ، من مظاهر رجولة كاملة ، وأخلاق متينة فاضلة ، وهمم عالية ، وتضحيات غالية ، أخذهم بها دين الله ، ونشأهم عليها كتاب الله . أستاذ الأساتذة ، ودستور الدساتير — اتخذوا من أعمارهم المحدودة القصيرة ، سجلات للمفاخر طويلة ، لا تبلى صفحاتها ، ولا تنفد على الزمن كلماتها .

علمهم دين الله أن خير الناس أنفعهم للناس ، وأن أعمار الناس تقاس بأعمالهم لا بطول آجالهم وأن أحرص الناس على الحياة أجبنهم قلباوأفشلهم عملا فى هذه الحياة ، وأن من طلب الموت وهبت له الحياة .

وها نحن أولاء يأيها الاخوة المواطنون : بعد اذ ارتاح الله لنا بالرحمة، وأزاح عنا كابوس المحنة ، بيد البررة المخلصين ، من أبناء هذا البلد الأمين ؛ نشعر بمظاهر الكرامة ترد الينا وثياب العزة تسبغ علينا .

لم يكتف هؤلاء القادة الغر الميامين ، بقطع دابر الفساد والمفسدين ، وتقويض صروح الظلم على رءوس الظالمين ، بل ما فتئوا منذ قيام هذا البعث الجديد والعهد السعيد : يعملون أيدى الاصلاح ، ويهيئون كل أسباب النجاح والفلاح ، وهاهى ذى جمهورية مصر الوليدة الجديدة السعيدة ، تهتف بأبطال الحرية والتحرر ، وتشهد أنهم قد أقروا عين الشورى والسلام ، باقامة أعدل حكومة يقرها الاسلام ، فليس وراء الجمهورية شورى ، ولا بعد كلام دستورها كلام .

عنك دين الاسلام والمدنيه ... تتلقى دروسها الحريه
عزة المؤمنين أول درس ... شرحته سماؤك القدسيه
ما مقام لظالم مع دين ... ينبت العز والنفوس الأبيه
قتل الفرد نفسه يوم نادت ... فلتعيشى يا مصر جمهوريه
لو تسنى مهاجم لك سوءا ... بعد هذا كانت مناه المنيه
أنت لله قمت ترعين دينا ... فلتدومى بدينه مرعيه

عبر من سورة التوبة

أيها الأخوة المؤمنون ، ما أجمل أن يكون لهذا العقل الانسانى القاصر الحائر ، دستور سماوى يلهمه الهداية والسداد ، وما أبدع أن يكون لهذا الناس رب حكيم رحيم ، يمهد لهم طريقى السعادة والرشاد ، وما أحكم أن يكون لهذه الدنيا غاية تنتهى بالعباد الى دار الثواب أو دار العقاب ، لذلكم أرسل الله رسله لخير الناس مفاتيح ، وأنزل كتبه فى ظلام هذه الدنيامصابيح، وأخذت حكمته العالية جماهير الناس بأسالبب الترغب والترهيب حسبما تتطلب فطرهم التى فطر الله الناس علبها ، ولا تبديل لخلق الله .

على غرار هذا الأسلوب السماوى الحكيم ، والدستور القرآنى الكريم ، نزلت سورة التوبة ، تحتوى آيات الترغيب كما تحتوى آيات الترهيب — قال ابن جبير ، قلت لابن عباس عليه الرضوان ، هذه سورة التوبة ، قال التوبة ؟ بل هى الفاضحة ، مازالت تنزل ، ومنهم ، ومنهم حتى ظننا أنه لايبقى أحد منا الا ذكر فيها .

أيها الأخوة المؤمنون : ان سر نجاح المؤمن فى أمور دنياه وشئون أخراه ، أن يحب فى الله ويبغض فى الله ، وألا يعدل بحب مولاه حب أعز شىء فى هذه الحياة : قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم : ذوو قرابتكم : وأموال اقترفتموها : اكتسبتموها ، فهى عزيزة عليكم لحصولها بكد اليمين وعرق الجبين: وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترتضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله : فتربصوا : انتظروا : حتى يأتى الله بأمره : بعقوبة يرصدها الله ، لمن عدل بحب الله حب ما عداه .

ان عنوان الايمان الصادق فى قلب المؤمن أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ؛ يشغل حبهما فراغ قلبه ، ويملك نواحى نفسه ، وأن

يكون اعتماده على مولاه ، قبل أخذه بالأسباب ، واستفتاحه مغاليق الأبواب اعتمادا لا يشوبه اعجاب بالنفس ولاشبه اعجاب ، ولا يدخل اعتماد العبد على نفسه له فى حساب .

فالاعجاب بالنفس مهلكة العبد ، مسخطة الرب : لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت : على رحبها وسعتها : ثم وليتم مدبرين: لما اجتمع جيش المسلمين يوم حنين فى اثنى عشر الفا لقتال المشركين ، قال أحد المسلمين ، لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرة المسلمين ، فلما التقى الجمعان ، أدرك المسلمين اعجابهم فولوا مدبرين ، وابث رسول الله عليه صلوات الله ثابتا على بغلته الشهباء ، لا يتزلزل ، ولا يتحلحل ، تزول الجبال الشم ولا يزول ، وكان صلوات الله عليه يقول فى هذا الموقف الرهيب والهول المهول ، وهو لا يباليه ولا يبالى من فيه ، اطمئنانا بذكر الله ووثوقا بنصر الله .

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

دون أن تخطر له مفارقة القتال على بال . بل قال عليه الصلوات للعباس ، وكان صيتا : عالى الصوت : صح بالناس . فناد : ياعباد الله ، يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة ، فكروا عنقا : مسرعين :وهدفهم حنين يتولون : لبيك ، لبيك : وكان فى هذا درس أى درس للمسلمين ، حتى لا يلفتهم الاعجاب بأنفسهم ، عن الثقة كل الثقة بربهم ، ثم أنزل الله سكينته: رحمته التى تسكن بها النفس ويطمئن لها القلب : على رسوله وعلى المؤمنين: وأنزل جنودا لم تروها : مددا ملائكيا أرسلته السماء ، نصرة لسيد الأنبياء ولجماهير المؤمنين بسيد الأنبياء ، بعد اذ أنكروا على أنفسهم الاعجاب بالنفس ، والاعتداد بالذات ، وأخلصوا فى اعتمادهم على من بيده الحركات والسكنات — : وعذب الذين كفروا : بالقتل والأسر والسبى : وذلك جزاء الكافرين : هذا عذاب الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

واذا خاصم الملائك فى الله فيا خصمهم عليك العفاء

وما كانت مواكب النصر تتوافى متلاحقة الأعجاز بالصدور الى ديار المسلمين ، الا بعد أن تألفت تعاليم الاسلام قلوبهم ، وانتظمت هداية الدين نفوسهم ، فأصبحوا بنعمة الله اخوانا .

وهل الدين فى أسمى معانيه ، الامحبة انتظمت قلوب الأنام ، ويد لله جابرة ناصرة، أحلت الوئام محل الخصام ، يولد الناس وتولد معهم طبائعهم وغرائزهم ، نزاعة للشر ، مناعة للخير ، فلو ترك الناس وشأن هـذه الطبائع والغرائز لأكل بعضهم بعضا ولكن عدالة السماء ورحمة الله ، ومن أسمائه الرحمن الرحيم ، تخولت هؤلاء المخلوقين المغلوبين على أمرهم ، العـابدين لنزواتهم وأهوائهم بتعاليم سماوية ، تحملها اليهم من الله رسل ، وتمشى بها بينهم كتب ، لتتغلغل بين حنايا الصدور وتستفتح مغاليق القلوب ، فترقق من هذه الطباع وتشذب ، وتؤدب وتهذب ، وتوجه فتحسن التوجيه ، وتحدو ركب الانسانية العاثر التائه ، الى سبيل ممهودة مأمونة ، قد ركب فيهـا بيد الله على رأس كل مرحلة منار ، فلا التواء ، ولا ضلال ، ولا عثار .

يحدثنا لسان التاريخ ، ولسان التاريخ اذ يحدث لا يكذب ولا يدلس أن العرب قبـل أن تحتويهم تعاليم الاسـلام ، وتنتظمهم هداية الايمان ، مروا بألوان من هذه الامتحانات القاسية ، واستجابوا لأهوائهم اللاهيـة الباغية ، فضربت بينهم يد الفرقة ، واستبدت بهم شياطين الخصومة ، حتى كادت تهوى بهم فى غير ابطاء الى مهاوى الجهالة والضلالة والفناء ، وما انتظمهم دين الاسلام ، وأخذتهم مبادئه السامية ، بجمـع الكلمة ، وضم الصف ، ونبذ الخلف ، وتأليف ما تفرق من الشمل ، حتى أصبحوا القوة يرهب جانبها ، ويطاع ويعظم صاحبها ، وبهذا النهج الرشيد والفتح الجديد يمن عليهم كتاب الله ولله وحده المن والفضل : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ،فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير،ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون .

وأى أخـوة يا جماهير المؤمنـين أسمى وأغلى ، وأبقى على الزمان

وأقوى ، من أخوة الدين ؟ ذلكم بأنهاالأخوة خالصة لوجه الله، قد قذفتها في قلوب المؤمنين يد الله ، فهي متمسكنة من قلوبهم ما تمسكن حب الله ، وعلى ضوء هذه الأخوة الكريمة تقول الحكمة العالية : سر ميلا ، عد مريضا سر ميلين ، أصلح بين متخاصمين ، سر ثلاثة أميال ، زر أخا في الله .

ألا وان من ثمرات هذه الأخوة السمحة الكريمة ، اتحادا متينا كريما يفنى فيه صالح الفرد في صوالح الجماعة ، ويؤثر فيه الأخ المؤمن على نفعه نفع أخيه : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فقر وحاجة : ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون : ولا عجب : فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا : والمسلم أخو المسلم لايسلمه ولا يظلمه . والمسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويأخذ بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

الى مثل هذه المبادىء السامية يهدف دين الاسلام ، من اتحاد لا تعرفه فرقه ، وايثار لاتكدره أثره ، وفناء لصالح الفرد في صوالح الجماعة .

ولقد علم المولى سبحانه جماهير المسلمين دروس الجهاد في سبيله ؛ بعد اذ أخرج لهم القدوة الحسنة في رسوله :

يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض : تباطأتم وأخلدتم الى الدنيا ومفاتنها : أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل : حقير لا يؤبه له ، ولا يعبأ به : الا تنصروه : أي رسول الله : فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين : هما رسول الله وأبو بكر وزيره الأول . وصديقه وصديقه ، هاجرا بدينهما وهو وطنهما الأول من مكة وهي وطنهما الثاني بعد الدين : اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا :

حسبك الله لا ترع يا أبا بكر فمن قال حسبنا لا يساء
آية الله أن تموت المنايا لتعيشا والله نعم الوقاء

كانت هذه الهجرة المباركة الموفقة ، أولى جولات النصر المؤزر لدين الله ، فقد جعل المولى بها كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هي العليا

والله عزيز حكيم : وهكذا يضع المولى سبحانه ، مبادىء دستور النصر للمؤمنين ، سلاح بسلاح ، وكفاح بكفاح ، ونار بنار ، ولن يكتب لأمة نجاح الا بلغة الكفاح وأسنة الرماح : انفروا خفافا وثقالا : على كل حال من يسر أو عسر : وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون : وأى خير خير من كرامة النفس ، وحرية العقيدة ، وعزة الوطن ، فالوطن وهو الجماعة الكبرى أولى الجماعات بأن تفنى فى صوالحه صوالح الأفراد ، وفى مثل هذا الحصن الحصين ، المشيد على مبادىء هذا الدين المتين ، يعيش المسلمون ما يعيشون ، مرهوبة جوانبهم ، مصونة كراماتهم ، عزيزة أوطانهم ، لا يجرؤ عدو أن يغمز لهم قناة ، بعد اذ أصبحوا فى حصون من دينهم وهم الأعزة الكفاة الأباة .

أيها الأخوة المؤمنون من المواطنين الأبرار الأحرار ، ليقل كل منا كلما سجد ، قولة داود عليه السلام وقد شرف وجهه بالسجود لسيده : أعفر وجهى فى التراب لسيدى وحق له أن يسجد ، سجد وجهى للذى خلقه ، وشق سمعه وبصره .

أى والله يأيها الاخوة المؤمنون ، ليسجد كل منا لمولاه سجدات الشكر ، بعد هذه النفحة السماوية الرحمانية ، التى انتظم قلوبنا بها اتحاد بعد فرقة ، ومحبة بعد نفرة ، فأصبح الجميع على قلب رجل واحد ، يدينون بحب وطن واحد ، كما يدينون بحب رب واحد ، وبعد اذ استجابوا لدعوة الحق وصيحة الجهاد ، يرسلها أبطال هذا البعث الجديد ، لخير الوطن الحبيب ، وتحرير البلاد من ألوان الأسر البغيض : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون .

العبرة في قصة يوسف عليه السلام

أيها الاخوة المؤمنون :

ليس فى طوق الظن أن يسمع بأن أى أحد من جمهرة المسلمين ، لم يسمع بقصة يوسف عليه الصلوات ، بل لم يتناول اجمالها بالتفصيل ، ولم يأخذ آيها بالتأويل ، ولكن أكبر الظن ، أن أى أحد ــ الا قليلا ــ لم يجل فى نواحى هذه القصة عين العظة ، ولم يتحسس منها مواطن الاعتبار

ولعل أحكام القصة فى نصها ، وروعتها فى وصفها ، وجمالهـا فى اطراد وقائعها ، وانتظـام روائعها ، أن يكون هو الذى اختـدع العيون ، لتشغل بسحر هذا الجمال ، عما يطويه من روائع الجلال ، ولعلنا اذ نتحدث اليكم فى هذا القصص المتلاحق المناظر ، الخاطف للخواطر ، المتماسك الأوائل بالأواخر ، أن نتلبث ببعض وقائعه يسيرا كما يتلبث المدقق المحقق ، يتأمل فى قضيته شيئا قد تحسبه العين الغافلة هينا صغيرا ، فاذا هو يتبـدى للعـين الدارسة كبيرا وخطيرا

نزلت سورة يوسف صلوا تالله عليه بمكة ، وسبب نزولها أن صحابة رسول الله صلوات الله عليه ، قالوا له يوما يا رسول الله لو قصصت علينا ! فنزلت « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هـذا القرآن » وكأنما شاءت عناية الله برسوله الأمين ، أن تقع هذه القصة من نفسه موقع السلوة من نفس الحزين ، فاذا وقع محمد بن عبد الله من أمر قومه الذين أرسل اليهم فى مشقة وعنت ، بعد اذ نكلوا به ، وتربصـوا به وبأصحابه الدوائر ، وكانوا كلما أوسعهم ارشادا . أوسعوه شرادا ، أو بغاهم انجاحا . أوسعوه نفارا وجماحا ، فلا موضع ليأس من صـلاح وفلاح ، فكل شيء

بشيئة الله ، وهذا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، قد عاين الموت على أيدى اخوته وعاينه الموت ، وأسرته السيارة بضاعة ، وباعته مولى بثمن بخس دراهم معدودة ، وكان باعته فيه من الزاهدين ، ولقى من مراودة التى هو فى بيتها ؛ ومن كيدها جهد البلاء ، واحتوته جدران السجن فى تهمة هو منها برأء ؛ وما كانت نفس لتعلم ما أخفى له من قرة أعين ، ولا كان يدور بحلم الحالمين ؛ أن يغدو بعد هذا الهوان المهين ، عزيز مصر الخطير ، ذا المقام الرفيع والملك الكبير ؛ — فاصبر يا محمد ما صبر يوسف ، وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ؛ ولا تك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

كانت بداءة القصة قول يوسف لأبيه « يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ؛ قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا » يطاوعون فيه الشيطان ، فيناصبونك العداوة . ويبغونك الغوائل ، ويتربصون بك الدوائر ، حسدا من عند أنفسهم وبغيا ، ونفاسة عليك ما تخبؤه لك يد الغيب ، من اتمام نعمة وتمكين سلطان « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث » فكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا ، وأصدقهم فى التأويل ، فهذه رؤيا صاحبى السجن يعبرها الصديق ، فتجيء صادقة كفلق الصبح ؛ وهذه رؤيا ملك مصر لهذا العهد يعبرها يوسف ، لتوقظ حظه النائم ، فيطرح به ضيق السجن ومضايقة السجان ، الى بحبوحة الحرية وعزازة السلطان ، وينجى بها مصر وما جاورها من أمم تمتار (١) منها وتعيش عليها ؛ بعد اذ تهددتها سباع السنين السبع الجعاف (٢) الجياع ، أن تأكل الأخضر واليابس ، وقد لا يسد ذلك جوعتها ؛ فتتأبى الا أن تنهش اللحم وتتعرق العظم .

حدثونى بعيشكم ، أى نعمة طواها طاويها فى ثوب هذه المحنة التى امتحنها يوسف ، فكانت من الله سلاما وبركات عليه وعلى أمم ممن معه

كم نعمة لا تستقل بشكرها ... لله فى طى المكاره كامنه

(١) امتار : جلب الطعام .
(٢) المهزولات .

وهل بقيت ساق ينهض عليها علماء الكلام أو المتعالمون ، الذين يزعمون الرؤى أخيلة باطلة ، لا يربطهـا بحقائق الحياة سبب ، بعـد اذ صار المنوم بالمغناطيس ، يأتى من ضروب العجب أمام النظارة ، بما يثبت أن للروح عند انطلاقها من أسر المادة أيما انطلاق ، قدرة تقدرهـا على اكتناه حقـائق بعض الأشياء ، وتميط دونها اللثام عن وجوه بعض ما سطر قلم القدرة فى لوح القدر ، وبعد اذ تحدث عنها الكتاب، وأقرتها السنة، وهل وراء هذين مذهب لمشاهد ، أو سبيل لجاحد ؟ فالمشهور الذى تعاضدت فيه الروايات ، أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ، فقـد ظل رسول الله كما تحدثت عائشة ، يرى الوحى مناما طوال ستة أشهر كاملات ، ثم وافاه الملك بعدها يقظان ، حتى استتم زمن البعثة ثلاثا وعشرين سنة . ومن هذا يتبين من أراد أن يتبين ، أن ستة أشهر الى ثلاث وعشرين سنة ، كجزء واحد الى ستة وأربعين

وبعد فلنعـد الى شىء من نظم القصـة فنقول : بيت اخوة يوسف ما لا يرضى الله والاخاء والانسانية من قتله أو تغريبه ، وانهما فى الحـق لأمران أحلاهما مر ، فالغربة كربة أية كربة !

زوروا القـول وقالوا غـربة　　انما الغـربة للأحرار قتـل

وكان جميعهم بنى علاته (١) الا بنيامين فقد كان شـقيقه ، كما كان يهوذا غير ضالع (٢) مع اخوته اذ ائتمروا بيوسف ليقتلوه ، بل كان أقصدهم فى يوسف رأيا : وأقرب رحما ، وهو الذى قال لهم « لا تقتـلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين » ولعله كان يراودهم ويحاسنهم ، حتى ينزلوا على رأيه الذى ارتأى ، ثم يرصد غفلتهم ، حتى اذا أمكنت ، تسلل تحت الليل فى خفية عن أعينهم ، لا تتكاءده (٣) عقبة الى يوسف الحبيب ، فانتشـله بيـد الحب من الجب ، ورجعـه الى أبيـه

---

(١) اخوته لابيه .
(٢) ضلع : مال وجار .
(٣) لا تشق عليه .

راضيا مسرورا ، ولكن أحداث القدر حاربت فيه هذه العاطفة العطوف ؛ وفوتت عليه تلك الغاية النبيــلة ، والله غالب على أمره ولكن أكثر النــاس لا يعلمون •

أيها الاخوة المؤمنون :

ليس منكم من لا يعرف أن يعقوب عليه السلام ، حذر بنيه قبــل أن يتحملوا ، فتك الذئب بولده الحبيب ، والله يعلم أن تخوفه عدوانهم عليه . كان أشد من تخوفه عدوان الذئب عليه ، وكأنما كان يلقنهم الجواب ، بينما يحذرهم سطوة الذئاب ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « لا تلقنوا الناس فيكذبوا ، فان بنى يعقوب لم يعلمـــوا أن الذئب يأكل الناس ، فلما لقنهم أبوهم كذبوا ، فقالوا : أكله الذئب »

« وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق ، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب » واذ أحسوا أن الريبة تكتنفهم ، والمريب ضعيف الثقة بنفسه ؛ سيىء الظن بالناس ، يكاد أن يقول : خذونى ، اختتموا مقالهم لأبيهم قائلين : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » وجاءوا على قميصه بدم كذب ، فتناوله يعقوب عليه السلام ، ووقف منهم كما يقف أمهر المحققين فى أيام الناس هذه من المتهمين الأغرار ، ولما لم يجد فى قميص يوسف أثرا لناب أو ظفر ، ألقاه على وجهه وبكى ، حتى خضب وجهه بدمه. ثم قال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا الذئب ، أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه • لا • لا « بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون »

هذا ولابن جرير الطبرى عن قميص يوسف ملاحظة خليقة بالملاحظة اذ قال : لقميص يوسف ثلاث آيات : حين جــاءوا بدم كذب ففضح عــدم تمزيق القميص أمرهم ، واذ قدته امرأة العزيز من دبر فكان شاهدا عليها ، وحينما ألقاه البشير على وجه يعقوب ، فارتد بصيرا •

وهنا يتردد على ألسنة السائلين ، سؤال يتطلب شافى الجواب ، أترى تسلك أسماء اخوة يوسف فى سلك النبيين ؟

والحق الصراح الغنى عن كل تدليل ، وأى تأويل ، أن ليسوا بأنبياء ، فما خلع عليهم هذه الخلعة القدسية سنة ولا كتاب ، وما كان لنبى أن يعق والدا ، أو يقطع رحما ، أو يسترق مسلما أو يبيعه ، أو يكذب مثل هـــذه الكذبة البلقاء المفضوحة ، و يقارف فى هدأة نفس وارتياح قلب ، مثل هــذا الحنث العظيم

يوسف فى بيت مولاه العزيز : « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غـــالب على أمره ، ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده آتيناه حكما (١) وعلما وكذلك نجزى المحسنين ، وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ، انه ربى أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين »

خصب جسم يوسف واستوى عوده ، فاغتدى الفتى الريان الصفحة الغض الاهاب ، المتوقد جمرة الشباب ، قد خلع عليه بارع الجمال شطره ، وحباه فاتن الحسن سحره ، لكن الذى كسا جسمه كل هذه المفاتن ، خلق له بين جنبيه نفسا أفتن ، وخلقا أمتن ، وعقلا أرصن وأزكن (٢) ، وكيف لا والنبوة منه قاب ، وهو من تكاليفها على الأبواب ، لم يفت امرأة العزيز أن تملأ عينها بالقد الخاطر ، والمحيا المشرق الناضر ، وراحت تحس فى قلبهـــا لهذا الفتى العبرانى مولودا عجيبا اسمه الهوى ، أو الجوى ، أو العـــذاب الأليم ، بات مضطربه من قلبها بين الشـــغاف والصميم ، وما زال هذا الوليد الجديد على الأيام يكبر ويشتد ، حتى مرد (٣) عليها واستـــبد . وما وافت آخر المطاف ، حتى غلبها الحب على حيائها ، فراحت تصـــارح وتكاشف ، وتلاين وتلاطف ، وقد نكرت أول ما نكرت فى سبيل هواها ، ما تملك من ملك كبير ، وجاه عريض ، واطرحت عن طيب خاطر مالها من سيادة ومجادة ،

(١) حكمة .
(٢) أفطن .
(٣) تمرد .

بعد اذ رأت عز سيادتها ، أن تصبح أمة ذليـــلة لفتاها ، وتستحيل خادمة لهواها ، فتقبل بأنوثتها وحدها ، عارية من ألقابها متمردة على ثيابها ، هاتفة بيوسف وجمال يوسف : هيت لك : وهنالك تحبس أنفاسهـــا الكائنات . وتصغى آذان الدنيا ، لتسمع الكلمة الفاصلة ، بلسان الرجـولة الكاملة . والنبوة الفاضلة : معاذ الله ، انه ربى أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون ؛ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه الســوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين ، واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر ؛ وألفيا سيدها لدى الباب ، قالت : ما جـزاء من أراد بأهلك ســوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم ، قال هى راودتنى عن نفسى ، وشهد شاهد من أهلها . ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ؛ فلما رأى قميصه قد من دبر قال : انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا ، واستغفرى ــ أيتها المذنبة ــ لذنبك ، انك كنت من الخاطئين »

هنا يأيها الاخوة المؤمنون كلمة تتقاضانى واياكم الفكرة الكاشفة ؛ والنظرة الدارسة وهى قوله سبحانه « وراودته التى هو فى بيتها » فلم يصرح باسمها نزولا على حكم الأدب العالى ، ولعلنـا أن نكون حراصـا على أن نفيـد مثل هــذه الدروس العاليــة الغاليــة ، على لســان الرحمن ، فى مدرسة القرآن ، ولما كان هو فى بيتها ، كان المرجو أن يكون لسلطانهــا أخضع ، ولأمرها أطوع —: قيل لواحدة : ما حملك على ما أنت عليــه مما لا خير فيه ؟ قالت : قرب الوساد :— ولكن عفافه العفيف ، وخلقــه الماجد الشريف ، قوضا على رأسها من هذا الرجاء البنيان ؛ بعد اذ هزماها وهزما فيها الشيطان وأجناد الشيطان

استفاض الخبر فى المدينة ، وأخذ النساء يتواصفن حوادثه ووقائعه . ويردن فى لهفة الظمآن موارده ومشارعه ، ويفرين بألسنة حداد أديم تلك التى راودت فتاها عن نفسه ، بعد اذ شغفها حبا ، ويرين انها فى ضلال مبين ؛ « فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ (١) وآتت كل واحدة

(١) مقاعد الوليمة .

منهن سكينا ، وقالت : اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ، وقلن حاش لله ما هذا بشرا ، ان هذا الا ملك كريم ، قالت فذلكن الذى لمتننى فيه، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ، قال رب : السجن أحب الى مما يدعوننى اليه . والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن (١) وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ، ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات(٢) ليسجننه حتى حين » — فلعلهم أن يحبسوا بحبسه ألسنة اللاغين عن اللغو ، أو يختدعوها عن الحقيقة فتتبدل مدحا بهجو ، ولو أسىء فى سبيل ذلك الى البرىء وأحسن الى المسىء

يوسف فى السجن : كان همه عليه السلام ، أن يستجيب لعاطفة الاحسان ، بعد اذ ملكت عليه نواحى نفسه ، فاذا مرض انسان قام عليه ، واذا ضاق أوسع له ، حتى ملك باحسانه على من فى السجن قلوبهم ، وبلغ غاية الاعجاب من نفوسهم — وكان قد دخل معه السجن فتيان ، أما أحدهما فخباز الملك على طعامه ، وأما الآخر فساقيه على شرابه ، فلما أبصر الفتيان يوسف قالا له ، والله يافتى لقد أحببناك منذ رأيناك فقال لهما : نشدكما الله ألا تحبانى ، فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء ، فأبيا الا حبه والفه ، وما سألاه لرؤياهما عبارة ، حتى انتهزها فرصة للتبشير بدينه الجديد ، دين الهدى وملة التوحيد ، منفرا من دين الشرك وعبادة التقليد « يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

وبعد أن عبر لهما الرؤيا ، قال للذى ظن أنه ناج منهما وهو الساقى اذكرنى عند ربك (٣) فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ، قال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك . قيل له يايوسف

(١) أميل .
(٢) الدالة على براءته .
(٣) الملك .

اتخذت من دونى وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال : أى ربى أنسى قلبى كثرة البلوى ، فالويل للشيطان ولاخوتى ، ثم كانت رؤيا الملك التى عبرها يوسف أصدق عبارة ، فقال الملك ائتونى به ، فلما جاءه الرسول ، لم يشغله ابتهاجه باطلاق حريته ، عن شغفه واستمساكه باظهار براءته ، وكذلك تكون حنكة الرجال وبطولة الأبطال ، فقال للرسول « ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ، ان ربى بكيدهن عليم ، قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ، قلن حاش لله ، ما علمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق(١) أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » فقال يوسف : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين »

والآن أرعونى أسماعكم ، أسمعكم شهادة رسول الله فى أخيه يوسف عليهما صلوات الله : « لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له ، حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم بشىء حتى أشترط أن يخرجونى ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له ، حين أتاه الرسول ، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العذر » صدق رسول الله . ثم كان أن استخلصه الملك لنفسه ، وجعله على خزائن أرضه « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين ، ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » ـ

أما بعد فهذا هو يوسف الصديق، سليل يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، كابرا عن كابر فرع فارع من دوحة النبوة ، وكوكب ساطع فى سماء الفتوة والمروة ، ومسك ضائع من أردان (٢) الأبوة والنبوة : المثل المضروب فى عفافة المئزر ، وجمال المنظر والمخبر ، واغضاب النفس فى ارضاء خالقها الأكبر ، الصابر الشاكر ، العافى وهو قادر ، القائل لاخوته وهو عزيز مصر القاهر : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »

---

(١) ظهر .
(٢) جمع ردن وهو اصل الكم .

فليكن لنا فيه أسوة ، كما كان فى قصصه لرسول الله سلوة ، « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ، لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

عبر من سورة الرعد

ان عبادة الله بعد الايمـان بالله ، هى غاية الغايات التى يهـدف اليها المؤمنون فى هذه الحياة ؛ فما خلق الانسان فى هذه الدنيا ليكون فريسة الغفلة وعبد الشهوة ، ولكن خلق ليعرف ربه ويجاهد نفسه ، ويتخذ الدنيا مزرعة الآخرة ، حتى يصل الى عيش أرغد من هذا العيش ، ويستمتع بحياة أدوم وأنعم من هذه الحياة ، ولن تنال المغانم الا بالمغارم :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها   تنـال الا عـلى جسر من التعب

يقول المولى سبحانه : « أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق » : هم جماهير المؤمنين « كمن هو أعمى » : هم جماعات المنكرين المكابرين . « انما يتذكر أولو الألباب » الذين يوفون بعهـد الله ولا ينقضون الميثاق : أما عهد الله فهو ما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته وكان يسجل هذا العقد الكريم ، ما منحهم الله من عقل سليم ، لم يلوه عن تفكيره بطش جهالة . ولا نزوة ضلالة ، ونظرة دراسة صادقة فى هذا الكون وما حـواه توصلنا فى أمان وايمان الى الله ، وأما عدم نقضهم هذا الميثاق الكريم ، ميثاق الايمان بربهم ، فثمرة لعقيدة راسخة ، تزول الجبال ولا تزول ، ملكت على أصحابها نواحى أنفسهم ، وسكنت السواد من قلوبهم ، فايمانهم بالله أغلى عندهم من نور البصر ودقات القلب ونخاع الحياة . ثم استمعوا أيها الأخوة فى الله : لكتاب الله يذكر بعض صفاتهم التى هى ثمرة حلوة لشجرة ايمانهم « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل » : من صلة الأرحام والمسح على رءوس الأيتام ، واقالة عثرات الكرام ، وصـلة الأرحام توحى بأن واجب الانسان : الاحسـان الى كل انسـان لأن الناس جميعهم ذوو أرحام ، بل واجبه الاحسان الى الانسان والحيوان ، فان العبد لو أحسن الاحسان كله ، وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن محسنا ، ثم يستأنف كتاب الله نعت

هذه الفئة الكريمة بقوله « ويخشــون ربهم ويخافــون سوء الحساب » : فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا « والذين صبروا » : على ماتكره النفس من المصائب المالية والبدنية ، وعلى مجانبة هوى النفس : من حب الشهوة والانتقام ، ابتغاء وجه ربهم ، طلبا لرضاه تعالى من غير أن ينظروا الى جانب الخلق رياء أو سمعة ، ولا الى جانب أنفسهم زينة وعجبا، «وأقاموا الصلاة» وأتموا أركانها وهيئاتها « وأنفقوا مما رزقناهم سرا » : حيث يحسن السر ، كمن يخشى لو أظهر عطاءه ، أن يداخله الرياء والخيلاء ، وكاعطاء من تمنعه المروءة من الأخذ على أعين الناس « وعلانية » حيث تحســن العلانية كأن تكون الحاجة ماسة الى مثل يحتذى فى الجود والعطاء . « ويدرءون بالحسنة السيئة » اذا حرموا أعطوا ، واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصــلوا . ففى الحديث أن معاذا قال : أوصنى يارسول الله . قال : (اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها . السر بالسر والعلانية بالعلانية) . جعلنا الله واياكم ممن يعنيهم قول الشاعر :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن اساءة أهل الســوء احسانا

وعافانا واياكم أن نكون ممن يعنيهم قول الشاعر :

جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا والا يبد بالظلم يظلم

أو لم يطرق أذنى هــذا الأحمق المتهالك فى حمأة الشر قول أحــكم الحكماء وسيد الأنبياء : « اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله ، فان صادف أهله فهو أهله ، وان لم يصادف أهله فأنت أهله » .

ثم أخبر كتاب الله عن هؤلاء المنعوتين بهذه النعوت الجليلة بقــوله : « أولئك لهم عقبى الدار » : العاقبة الحسنة فى الدار الآخــرة : « جنات عدن » : اقامة واستقرار : « يدخلونها ومن صلح من آبائهم : أى وأمهاتهم وأزواجهم وذرياتهم . عن ابن عباس عليهما الرضوان : أن الله سبحانه جعل من ثوا ب المطيع سروره بحضور أهله معه فى الجنة كرامة له ولهم ، واتمام نعمة عليه وعليهم ، فان من أعظم بواعث السرور وأحلى وسائل النعيم ، أن يظفر قلب المؤمن بمن يحب فى جنة الخلد وساحة القرب ، فيتذكروا أحوالهم فى الدنيا ، ثم يشكروا للمنعم فضله عليهم بالخلاص منها فى عافية من دينهم

ويقينهم ، أحسن الله لنا ولكم المآل ، وحقق لنا ولكم هذه الآمال وأسمعنا وإياكم أصوات الملائكة عذبة قدسية منغومة ، وهم يدخلون الجنة علينا ، وعلى جماعات الأحباب والأصحاب من كل باب : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » بعد اذ عطلوا آلات تفكيرهم ، وأنكروا آيات ربهم . « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة : الطرد من رحمة الله . « ولهم سوء الدار » فمستقرهم النار ولبئس القرار . ذلك بأنهم فرحوا بالحياة الدنيا فألهاهم بهرجها وعيشها الباطل عن حياة الآخرة وعذابها القائم أو نعيمها الدائم « وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع » : نزر يسير كعجالة الراكب أو زاد الراعى .

قال ابن مسعود : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك ، يعنون فرشا لينا تنام عليه ، فقال عليه الصلوات : « مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . ثم عاد كتاب الله يصف المؤمنين بقوله : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » أى تستقر وتسكن بكلامه المعجز وأسمائه الحسنى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم » : عاقبة طيبة لهم : « وحسن مآب » .

ولا يكون الذكر حق الذكر دائم الوجود الا بالفناء فى المعبود ، اللهم انا نسألك الفقر مما سواك ، والغنى بك حتى لانشهد الا اياك .

والعجب العاجب يأيها المؤمنون : أن يطلب المنكرون الى رسول الله عليه صلوات الله : أن يأتيهم بمعجزة دالة على صدقه بعد معجزة القرآن ، ومعجزة القرآن غاية الغايات فى الاعجاز ، ونهاية النهايات فى التذكير والانذار . « انها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » : ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » . لكان هذا القرآن ، فسبحان من أنزله فيه الشفاء والضياء والهدى والبيان ، وسبحان من يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب » .

فما أجدرنا ياجماهير المؤمنين : أن نكون مع حسن ظننا بالله ، أخوف مانكون من الله ، وهذا عمر عليه الرضوان وهو من هو ايمانا وعدلاوفضلا يقول : لشدة خوفه من الله : والله لو نادى مناد يوم القيامة كل الناس فى الجنة الا واحدا لخشيت أن أكون ذلك الواحد ، فماذا عسى أن نكون نحن بعد قولة عمر عليه الرضوان .

عبر من سورة الحج

أيها الاخوة المؤمنون : ما فتىء كتاب الله يعرض على أنظار عباد الله فى مرايا هذا الكون العجيب مظاهر فاتنة من آثار قدرة الله القادرة ، حتى تطمئن قلوبهم أنه الاله الواحد ، لا يشارك فى قدرته وعظمته ، فلا ينبغى أن يشارك فى تقديسه وحسن عبادته ، « ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » بأن يزيد فى أحدهما ماينقص من الآخر . كما يكون فى الصيف بقصر الليل وطول النهار ، وكما يكون فى الشتاء بطول الليل وقصر النهار ، ذلك بأن الله هو الحق ، وأن مايدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى الكبير .

فالله أكبر . الله أكبر ، أكبر من أن يكون له مزاحم فى ابداعه واتقان صنعته ، أو مشارك فى عزة سلطانه ومجالى عظمته « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » . وسبحان من أخرجت يده المبدعة من جوف هذه الأرض الموات ، أنضر الزرع ، وأشهى النبات . « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض » : تستخدمون دوابها ، ويابسها وبحارها . وعناصرها وأسرارها كما تشاءون وفيما تحبون . « ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه » : كما أمسكت يد قدرته القادرة هذه الأرض السابحة فى الفضاء ، أن تخرج عن مدارها ، حتى تؤدى رسالتها فى ليلها ونهارها ، فما نحن من هذه الأرض : التى نظنها ساكنة ثابته : الا على ظهر كوكب تحركه يد الخلاق حركتين ، يدور باحداهما حول الشمس ، فتكون الفصول الأربعة ، ويدور بالأخرى حول نفسه ، فيكون الليل والنهار . وسبحان القوى القادر القهار ، فلو أن يد الله تخلت عن كوكبنا الأرضى هذا . أو عن أى كوكب آخر من هذه الكواكب التى يخطئها العد ، لهلك العالم فى لحظة ولكن الله بالناس رءوف رحيم .

أولا يستحق رب الناس من الناس ، بعد هـذه الرحمة الواسعة ، والرعاية الشاملة ، أن يعبد ويشكر ، اى وربى ومن غير المعبود يستحق أن يعبد ، ومن غير المشكور ينبغي أن يشكر ، ولكن سواد الناس لا يرضيه أن يعبد ويشكر ، بل يجحد ويكفر ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

ان الله يأيها الجاحدون الكافرون بعد اذ وسعكم بفضله ، ومد لكم فى أسباب حلمه ، غنى عن عبادتكم ، وعن عبادة العابدين ، وان الله لغنى عن العالمين . فالويل لنا أهل الأرض ، ان لم يتداركنا لطف الله ، وتوجيه الله ، وطوبى لكم أهل السماء بما تقومون وبما تسجدون ، تسبحون الليل والنهار لا تفترون ، فهذا رسول الله عليه صلوات الله يقول : « أطت السماء » : أى أنت من التعب . « وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم أو ساجد » وهذا ابن عباس ابن عم رسول الله يقول : اذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف أن يسطو بك فقل : الله أكبر . الله أكبر من خلقه جميعا . الله أكبر مما أخاف وأحذر ، أعوذ بالله الذى لا اله الا هو الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض الا باذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والانس ، الهى كن لى جارا من شرهم ، جل ثناؤك ، وعز جارك وتبارك اسمك ، لا اله غيرك . ثلاث مرات .

هذا وليعلم من لا يعلم أن أعمال العباد مسجلة مسطورة ، لا يخفى على الله منها شيء : « ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض ، ان ذلك فى كتاب ، ان ذلك على الله يسير » .

يحدثنا العلم الحديث أن هذا الفضاء الذى نلمحه بين الأرض والسماء سجل عجب لكل ما يصـدر عنا من أصوات وحركات ، كما يسجل شريط الخيالة أصوات الممثلين وحركاتهم ، ثم يعرضها فى صورة رواية تامة التكوين على أعين الناظرين ، وآذان السامعين ، فلا عجب أن يكون لوح هذا الفضاء الذى سجلت فيه جميع حركات الأحياء وأصوات الأحياء ، سجلا مصورا ، تعرض فيه أعمالنا يوم القيامة ، يشهد كل منا فيه رواية الحياة التى مثلها فلا تنفعه مكابرة ، ولا يسعه انكار : « يوم تشـهد عليهم ألسنتهم وأيديهم

وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم » : جزاءهم : « الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » . هذا ويا ما أشد عداوة الانسان لنفسه . يطالعه نور الهدى فلا تستريح عيناه الا فى الظلام ، وتصافح أذنه آيات الرحمن فتفر منها لتصغى الى وساوس الشيطان ، الويل له بعد اذ عطل العقل ومداركه ، وتجنب التفكير وسد مسالكه ، فغير خلق الله ، واستحق غضب الله . « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر » : الأمر المستقبح والغيظ الأحمق : « يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » : يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب . « قل أفأنبئكم بشر من ذلكم » الضجر الذى أصابكم بسبب ما تلى عليكم . « النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير » .

والحق يأيها الاخوة المؤمنون : ان العقل وحده لا يكفى لهداية ، ان لم تلاحظه من الله عناية ، والا فما بال جماهير من العاقلين يعبدون أمثالهم من المخلوقين ، بل قد يعبد بعضهم العجل والحجر ، والشمس والقمر . نسأل المولى الجواد الكريم أن يجعل هدايتنا عن طريق قلوبنا قبل عقولنا ؛ والقلب ماعون الرب ، ولا ينبغى أن يمنع الله ماعونه وهو سبحانه القائل : ما وسعتنى أرضى ولا سمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن .

« يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون » : تعبدون « من دون الله » من آلهة زائفة زائلة باطلة . « لن يخلقوا ذبابا » . ولا أضعف من الذباب . « ولو اجتمعوا له » : ولو تعاونوا على خلقه . « وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه » : لا يستطيعون رده « ضعف الطالب والمطلوب » . من هذه الآلهة — أو الطالب الاله الزائف الذى سلب والمطلوب الذباب الذى سلب . وسبحان المنفرد بالقدرة وحده ، لا طاقة لمخلوق مع قدرة الخالق . « ما قدروا الله حق قدره » : ما عظموا الله حق تعظيمه ، ولا عرفوه حق معرفته ، ومعرفة الله تعالى تكون بالتفكير فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذاته فانكم لن تقدروه قدره .

« يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده » فاستنفدوا وسعكم فى قهر

أعدائكم الثلاثة : العدو الظاهر ، والشيطان الماكر ، والنفس الأمارة ، وهى أشق فى جهادها من مجاهدة العدو الظاهر ، فقد قدم على رسول الله قوم غزاة ، فقال : قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ، قيل وما الجهاد الأكبر يارسول الله . قال : مجاهدة العبد هواه .

أيها الاخوة المؤمنون

كتب الله لنا ولكم النصر فى هذا الميدان : ميدان مجاهدة النفس الأمارة والشيطان ، حتى نكون بهذا النصر أهلا لكرمه ورضاه ، فى هذه الحياة ويوم نلقاه .

عبر من سورة النور

أيها الأخ المؤمن :

شاءت رحمة الله بالناس : أن تبسط لهم يد العطاء بفيض من السماء ، يمد أبصارهم بنوره السماوى ، كما يمد بصائرهم بنوره الرحمانى القرآنى ، يجدون فيه على طريق السعادة خير دليل ، ويهتدون بأشعته القدسية سواء السبيل « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » ، وسبحان النور الذى أنزل النور القرآنى ، وفيه سورة النور على النور المحمدى ، فكان نورا على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ممن سجلت يد القدرة أسماءهم فى سجل البررة السعداء :

لله رجال قد صبروا   وبفوزهم سبق القدر
قاموا لله بأمر الله   ولولا الله لما قدزوا

أما عصبة الأشقياء ، فالويل لهم ثم الويل لهم ، « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق » جزاءهم العادل . «ويعلمون أن اللههوالحق المبين » الثابتة آيات ألوهيته ؛ الظاهرة دلائل عظمته ، وسبحان من وضع النظام العدل ليوم الفصل .

والآن أناشدكم باسم الدين يا جماهير المسلمين ، أن ترعونى أسماعكم وتحضرونى قلوبكم ، ألا تسمعون معى صوت العلم يهتف بالدين ، مرحى مرحى ، لقد تحدثت يا كتاب الله منذ نيف وثلاثة عشر قرنا ، هذا الحديث العجب ، حديث شهادة الأعضاء بما صنع صاحبها فى دنياه ، يوم يكلف تقديم الحساب فى أخراه ، على ما قدمت يداه — ولقد لبثت وأنا العلم طوال هذه القرون ، أستفتح مغاليق هذا العجب ، فما أظفرنى علماء التأويل بشىء ، أكثر من أن الله سبحانه قادر أن ينطق كل شىء ، وهذا حق وأبيكم لا يرتقى اليه الشك ، ولكن خبرونى أليس أدخل منه فى باب العجب ، أن

تقوم هذه الأعضاء نفسها يوم العرض بعرض أعمالها التى كانت منها فى حياتها الأولى : « ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » : ولأن تؤدى الأعمال هذه الشهادة على عين صاحبها ، أبلغ وألزم للحجة ، من أن تؤديها الأقوال ، ذلكم أن الأثير الذى لم نكتنه حقيقته بعد ، والذى تسلأمادته هذا الفراغ من الوجود ، يسجل فى لوحه السحرى غير المرئى ، كل الأصوات وكل الحركات ، وياله من لوح محفوظ عجب ، لا يقبل ما سطر فيه محوا بعد اثبات ، وها هو ذا لسان العلم يتحدث اليوم أن فى مكنته تكشيف ما سجل فى الأثير من أصوا تـفلم يعد بعيدا عنا ذلكم اليوم ، الذى نسمع فيه صوت رسول الله يخطب قومه ، أو صوت حسان ينشد شعره ، أو صوت نابليون يحتث جنده ، فاذا أمكن أن يكون ذلك فى طوق الانســان ، وهو المخلوق المحدود القدرة ، الذى لم يؤته مولاه من العلم الا قليلا ، فهل يعز على خالق الانسان ، ومكون الأكوان أن يعرض يوم الدين ، على صفحات هذا السجل الخالد أعمال المبعوثين ، من احسان المحسنين ، أو اساءة المسيئين ، حتى ليرى كل رأى العين فى أخراه ، ما كسبت يداه وسعت اليه رجلاه فى دنياه ، وهنالك لا تنفع مكابرا مكابرته ، ولا تغنى عن مجــادل محاورته — ذلكم والله العجب العاجب قد أخذ لسان العلم يفصل آياته ، ويجلو معمياته ، وكم فى ضمير الغيب وصدر المستقبل من عجب ، ومن يعش يره :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

أيها الاخوة المؤمنون : « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها خوفا من الله تعالى ، أعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته فى قلبه » هكذا يقول الرسول عليه الصلوات . وكذلكم يقــول : « لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الأولى وعليك الثانية » : فمن غض بصره ، أوصد باب الشر دونه ، وقطع على الشيطان سبيله ، ونساء المؤمنين مكلفات أن يسترن مفاتنهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها : لحاجة ماسة ، أو ضرورة ملحة : كاليد والوجه عند مزاولة عمل ، فحرام أن يرى مفاتن المرأة غير زوجها ومحارمها ، كالآباء والاخوة والأبناء ، وحرام أن تضرب المرأة برجلها ، ليعلم من لا يعلم ، ما تحت

ثيابها من حلي وزينة ، فهل لمؤمنات هذا العصر ، أن يسعن فيطعن الله ، ويطعن رسول الله . « وليضربن بخمرهن على جيوبهن : ليغطين مواضع الجيب من النحر والصدر ، ويسترن الشعر والأعناق والأقراط ، ويقلعن بذلك عن بدع الغرب وتقاليد الغرب ، فى أزيائه ومساخره . فذلكم قوله سبحانه : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

وها هى ذى سورة النور ، تشع علينا من اشعاعاتها الرحمانية قول الرحمن : « الله نور السموات والأرض » بسر نوره يهتدى أهل السماء والأرض . « مثل نوره » : هديه أو قرآنه ، أو رسوله « كمشكاة » : كوة فى جدار . « فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ضخم مضىء : يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية : بل تصافحها الشمس فى حالتى الشروق والغروب ، فان ذلكم أنضر لشكلها ، وأصفى لزيتها . « يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » وسبحان من قذف فى قلوب أحبائه نور هدايته ، فقاموا يسجدون له بالغدو والآصال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، واقام الصلاة ، بأدائها على خير وجوهها لتؤدى رسالتها التهذيبية فى أتم خشوع وأذل خضوع ، وايتاء الزكاة : للترفيه عن المحرومين ، والأخذ بيد المنكوبين ، فلوضن السراة على العفاة باخراج حقوقهم فى الزكاة لاختلت الأوضاع ، وانهد صرح الاجتماع ، وكيف لا تقبل هذه الطبقة الممتازة من عباد الله على طاعة الله . وانهم ليخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات : باسطات أجنحتها ، مستخدمة أذنابها فى بسط سلطانها على عرش الهواء ، ومملكة الجواء ، لتنظر أيها الانسان العاقل ، كمال قدرة الصانع المجيد ، وغاية حكمة المبدىء المعيد ، وما أبدع أن يروعك جمال الكون فتخاطبه بما خاطبه به الشاعر المتحنف :

يا جمال الكون حدث ... عن جمال الله فيكا
وقلوب قد سباها ... حبها الله وشيكا
فارفع الأستار تشهد ... مالك الملك يقيكا
قل لذى عينين لا ... تدع مع الله شريكا

عبر من سورة العنكبوت

أيها الاخوة المؤمنون :

هذه نفحة سماوية مباركة ، ودرس رباني جديد ، يلقيه الرحمن على طلاب مدرسة القرآن ، بلسان معلم المعلمين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ، عليه صلوات الله .

يهدف في هذا الدرس الرباني القرآني النافع ، الى أن العبادة الخالصة ، لا تنفك تعالج بيدها الرفيقة الصناع (١) ، قلب العبد العابد ، تصفيه من الأكدار ، وتخلصه من الأغيار ، حتى تستحيل دقات قلبه نغمات منغومة ، تسبح لله الواحد القهار ، وحتى يستحيل ماعون قلبه ، مشرقا لنور الأنوار ، ومجتلى لخالق الليل والنهار ، فالله سبحانه يقول في حديثه القدسي : ماوسعتني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن .

اذا بلغ العبد السعيد هذه الدرجة الممتازة من العبادة ، فني في الله ، ولم يعترف لنفسه ولا لغيره بوجود بجانب وجود الله ، بل لم تعد له حاجة تحوجه أن يطلبها من الله ، ثقة منه بأ ن الله يسرع في قضاء حاجة مولاه ، قبل أن يطلبها اليه مولاه .

هكذا كان شأن ابراهيم الجد الأعلى لمحمد عليهما الصلوات ، دعا قومه أن يهجروا عبادة الأصنام ، لعبادة خالق الأصنام ورب الأنام ، فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه ، فأنجاه الله من النار ، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون .

وهنا يا جماهير المؤمنين ، تتقاضاكم ملتكم الحنيفية ، التي هي ملة أبيكم ابراهيم ، أن ترعوه أسماعكم ، وتحضروه قلوبكم ، وقد أخذ يلقى

---

(١) الصناع : الماهرة .

على جبريل عليهما السلام ، درسا فى صدق الاعتماد ، وحسن التوكل على رب العباد ، عرض جبريل للخليل فى ساعة الهول المهول (١) وألسنة النيران تتناوشـــه من جميـــع نواحيه . وقال له : ألك حاجة ؟ ان أشـــد الناس ايمانا يا جماهير المؤمنين ، ليدفعه الفزع أن يسرع الى طلب النجدة من هول هذه النار المحرقة المهلكة ، ولكن أباكم وأبى ابراهيم خليل الله لم يفعلها ، وحاشا لمن كان فى مثل قربه من الله أن يفعلها ، بل كان جوابه لجبريل وقد سأله ألك حاجة ؟؟ ذلكم الجواب الخالد الحكيم : أما اليك فلا ، وأما الى الله فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى : ولا عجب بعد هذا الايمان المكين ، والتسليم السليم من أى تردد ، أن يأمر الله النار فتستحيل بردا وسلاما ، وجنة وأمانا ، : قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ، اذن فالنار التى خلقت للاحراق ، لا تحرق الا بأمر الخلاق ، ومن أودعها عنصر الاحراق ، قادر أن يسلبها اياه متى أراد .

وما أحوجنا أيها الأخوة فى الله ، بعد هذا الدرس السماوى النافع ، الى بصيرة نفاذة ، تلحظ أن سر الخلاق ، سار فى سائر المخلوقين والمخلوقات فالنار لا تحرق الا بأمر الله ، والماء لا يروى الا باذن الله ، والغذاء لا يشبع الا اذا شاء خالق الغذاء ، والهواء لا يؤدى رسالة الحياة الا بأمر واهب الحياة ويأما أشد حاجتنا الى لون ممتاز من ألوان العبادة المثمرة ، كعبادة ابراهيم ، نسى عند الشدة نفسه ، فذكره ربه ، وفنى فى الله ، فخلع عليه مولاه أسمى معانى الحياة ، وهذا ولى الله الشاذلى يعالج طـريق الوصول الى مثل هذه العبادة الممتازة فى حزب البر فيقول مخاطبا مولاه : اللهم انى أسألك الايمان بحفظك ايمانا يسكن به قلبى من هم الرزق وخوف الخلق ، واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك ، فلم يحتج لجبريل رسولك ، ولا لسؤاله منك ، وحجبته عن نار عدوه ، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء ، كلا انى اسألك أن تغيبنى بقربك منى ، حتى لا أرى ولا أحس بقرب شىء ولا ببعده عنى ، انك على كل شىء قدير : فلعلنا يا جماهير المؤمنين ، بعد الأخذ بأسباب التقوى ، والتوسل بهذه الدعوة الشاذلية ، أن نظفر بنعمة الوصول الى الله فى سلامة

(١) يقال هول هائل ومهول — تأكيد .

وعافية وأمان ، فانها والله النعمة كل النعمة ، ليس بعدها زيادة لمستزيد .
استأنف ابراهيم عليه الصلوات دعوته : فآمن له لوط : صدق برسالته ؛ وقال ابراهيم : اني مهاجر الى ربى : لأؤدى واجبات رسالتى على خير ما يتمناه كل مهاجر فى سبيل الله ، ابتغاء مرضاة الله ، اذ لا شىء أعز عند المؤمن من الهجرة فى سبيل الله ، ولا ألذ لديه من الوصول الى نعمة رضاه ؛ ولقد كان جزاء هذا النبى المهاجر الصابر ، ما فصله كتاب الله : ووهبنا له اسحق ويعقوب ، وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ، وآتيناه أجره فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين .

سنة الله التى لا تبديل لها ، ولا متحول عنها ، أن يجزى الصادقين بصدقهم ، ويهلك المشركين بشركهم ، كما حدث لقوم لوط وشعيب ، وعاد وثمود ، وقارون وفرعون وهامان : فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا : ريحا عاتية ، فيها حصباء قاتلة . ومنهم من أخذته الصيحة : كانت مظهرا لغضب السماء فأهلكتهم : ومنهم من خسفنا به الأرض : هو قارون ، الذى تتحدث عن كنوزه وطغيانه القرون : ومنهم من أغرقنا : هو فرعون ومن معه : وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون : وهل هناك ظلم هو أظلم للنفس من أن يشرك العبد مع ربه شيئا ، ليس فى وسعه أن يعطى أو يمنع ، أو ينفع أو يشفع .

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون : سبحانك ربى سبحانك ، ما أقوى بنيانك ، وأهدى تبيانك ، وأفصح قرآنك ، وهو الذى يقول أو كأنه يقول — مثل المشرك الذى يعبد الوثن ، اذا قيس بالموحد الذى يعبد الله ، كمثل عنكبوت اتخذت بيتا من الهواء أو من الهباء ، اذا قيست برجل بنى بيته بالآجر والجص ، فكان راسخ القواعد شامخ البناء ، كأنه فى صلابته ومتانته الصخرة الصماء ، وكما أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا ، بيت العنكبوت ، كذلكم أضعف الأديان اذا استقريتها دينا دينا ؛ عبادة الأوثان : وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون ، خلق الله السموات والأرض بالحق : أى محقا مراعيا للحكمة والصالح : ان فى

ذلك لآية للمؤمنين ، أتل ما أوحي اليك من الكتاب : خــذ نفسك بمداومة تلاوة آى الكتاب : تقربا الى من أنزل الكتاب ، وتذكر الما فى تضاعيفه من المعاني والأسرار ، وطلبا للتحلى بما يهدف اليه من نبيــل الصفات ومكارم الأخلاق — فمن سره أن يكلم الله فليقرأ قرآنه — بهذا حدثنا رسول الله ، وبمثله يحدثنــا كتاب الله : ان الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصــلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور : واقامة الصلاة أداؤها على خير وجوهها فى حدود أوقاتها ، مستوفية أركانها ، ان الصلاة على هذا الوجه : تنهى عن الفحشاء والمنكر ، بعد اذ توافر فيها ركنا التدبر لما يتلى ، والخشوع الخاشع للاله القاهر المعبود ، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ، ولا يزداد بها من الله الا بعدا ، بل ان صلاته ترد عليه ، اذ تلف هذه الصلاة المردودة كما يلف الثوب الخلق ، ويرمى بها وجه صاحبها فتقول له — ضيعك الله كما ضيعتنى — نعوذ بالله من أن ترد علينا صلاتنا أو تحذف بها وجوهنا ، بل نسأله سبحانه أن يرفعها عنده فى أعلى مكانه ، بما يعيننا عليه فى صلواتنا من خشوع وخضوع ، بهما تطهر القلوب ، وتغفر الذنوب ، فهذا رسول الله عليه صلوات الله يقول : أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول : أى ما تظن : ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئا يارسول الله ، قال فذلكم مثل الصلوات الخمس ، يمحــو الله بهــا الخطايا ولذكر الله آكبر : ولذكر العبد لله فى الصلاة وفى خارج الصلاة ، أكبر من كل ماتحتويه هذه الحياة ، فلنعتصم ياجماهير المؤمنين جميعا بحبل الله، ولنكثر من ذكر الله ، تكتب لنا ولكم النجاة ، يو م لا نجاة الا لمن نجى الله

بعض أسرار سورة يس

روى أئمة الرواة ، عن سيدنا رسول الله ، عليه صلوات الله حديثا يقول : يس قلب القرآن ، وعد ذلك أحد أسمائها ، ذلكم بأن الايمان وصحته يقومان على الاعتراف بالحشر والنشر ، وقد أوسعته السورة المكية كشفا وايضاحا ، ولهذا شبهت يس بالقلب ، الذى به يصح البدن ، هكذا يقول : حجة الاسلام الغزالى شملته الرحمات ، ووسعته الجنات — ولعل الاشارة النبوية السامية فى تسمية هذه السوة : قلبا وقلب كل شىء لبه واصله ، وما سواه اما من مقدماته ، واما من متمماته — أقول : لعل هذه الاشارة تهدف الى أن المقصود من ارسال الرسل ، وانزال الكتب ، ارشاد العباد الى غايتهم الكمالية فى المعاد يوم التناد ، وذلك لا يتم لهم الا بالتحقق والتخلق وسلوك الصراط المستقيم ، وقد خلعت السورة الكريمة على هذه الغاية السامية : ألوانا شتى من حلل التفصيل والبيان ، فلا عجب بعد هذا ، أن تروى لنا عائشة عليها الرضوان أن حضرة الرسول يقول : ان فى القرآن لسورة ، تدعى العظيمة عند الله تعالى : ويدعى صاحبها الشريف عند الله تعالى يشفع صاحبها يوم القيامة فى أكثر من ربيعة ومضر ، وهى سورة يس : ولعلنا أن نلمح بعد هذه اللفتة المحمدية الكريمة ، السر فى اقبال جماهير المؤمنين على قراءتها ، يطلبون « بها » قضاء الحاجات ، ونيل الرغبات ، فخواتيم يس ، توحى باتخاذها وسيلة للمتوسلين : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون : على أن هذه الوسيلة المباركة لا تؤدى رسالتها ، و لاترفع دعوتها الا اذا صحبها من القارىء المتوسل عمل صالح يرفعها ويرفعه ، فهذا رسول الله عليه الصلوات، يقول لصحابى سأله أن يدعو له : « أعني عليها بكثرة السجود » ، وقد يحاول بعض من لا بصر لهم بالدين ، أن يستخدموا أسرار « يس » فى انزال الشر بمن يخاصمون ومن يعادون ،

ألا فليريحوا أنفسهم وليريحوا « يس » من أنفسهم ، فلن يكون كتاب الله وهو مفيض كل خير ، ولا قضاء الله وهو مناط كل عدل ، لدعوات الشر من هؤلاء الأشرار ، سميعا ولا مجيبا ، « يس » : حروف مقطعة افتتحت بها السورة الكريمة ، كما افتتحت سور أخرى من كتاب الله بمثل هذه الحروف طسم : ألم : امعانا فى باب الايجاز ، واشعارا بأن كتاب الله الذى حير ألباب البلغاء ، وأخرس ألسنة الفصحاء ، لا تتركب كلماته الا من مثل حروف كلماتهم ولكنه صب فى قالب سماوى ، وهبط فى اطار نورانى على قلب النبى الأمى ، فكان المعجز المحير .

أنشأ الأمى يمليك فما خطك الكتاب الا ساجدين

« يس » : والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم » وهل ينزل الكتاب العزيز الحكيم الا العزيز الحكيم ، الذى يخاطب رسوله بقوله : « انما تنذر من اتبع الذكر » : القرآن بالتأمل فيه والعمل بما فيه « وخشى الرحمن بالغيب » : خاف عقابه قبل حلوله ، ومعاينة أهواله ، وهل يكمل بنيان الايمان ، الا بالنجاح فى هذا الامتحان ولن يكون للانذار أثره ، الا اذا هزت دواعيه جوانب قلب مؤمن شاعر ، تستجيب أحاسيسه الرفيعة لتوجيهات هذا الانذار ، يؤيد ذلك ما تقوله يس : فى أسلوب آخر من أساليبها العجب : لينذر من كان حيا : أى عاقلا مؤمنا ، فيا عجبا ، كأن كتاب الله لا يرى الكافر الا ميتا ، فليس أهلا للانذار ، ولا مناطا للعظة والاعتبار ، الا انما الكفر موت والايمان حياة ، ولا حول ولا قوة الا بالله « انا نحن نحيى الموتى » نبعثهم جميعا يوم القيامة ، « ونكتب ما قدموا » : نسجل ما صنعت أيديهم من الأعمال صالحها وطالحها :

« وآثارهم » : التى أبقوها بعدهم لمن بعدهم ، كعلم علموه ، أو كتاب ألفوه ، أو حبيس للخير وقفوه ، أو بناء فى سبيل الله رفعوه ، كما نسجل على الظالمين ظلمهم .

أيها الاخوة المؤمنون :

أرأيتم الى الجائع ، كيف يشتاق لقمة يسد بها جوعته ، أو الى الظمآن

كيف يهيم بجرعة ينقع بها غلته ، أو الى العريان كيف يجد فى طلب حلة يستر بهـا سوأته ؛ أو الى ذى علة كيف يحـاول أن يصيب دواء يقتـل به عاته ، أو الى نضو حروب ، ومعانى كروب ، كيف يحن الى دار سـلام يحمد فيها أوبته ، ويعانق سلامته ، اذا رأيتم كل أولئكم تمثل لكم بعض حال المؤمن حق المؤمن ، لا يرى فى الدنيا الا دار ابتـلاء وامتحان ، لا متعة فيها ولا استقرار ولا أمان ، فهو موصول الأنين ، دائم الحنين الى دار حلا عيشها ، ودردرها ، وامتد ظلها ، ودام نعيمها ، فما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ، وما الحياة الآخرة الا مباءة النعيم ومستقر السرور :

« أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا » « ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر »

وأى حسناء أحسن من الجنة الخضراء . فيها ما تشـتهيه الأنفس وتلذ الأعين . من أجل هذه الصفقة الرابحة وبعد اذ فضح الموت الدنيا ، أغضب المؤمن بالله نفسه ليرضى ربه ، وخالف هواه ، ليفوز بحب مولاه ، بل لقد باع نفسه لخير من يشـتريها ، وهو سبحانه يوم القيـامة جازيها ومرضيها « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » « ومن أوفى بعهـده من الله ، فاسـتبشروا ببيعكم الـذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

« ان أصحاب الجنة اليوم فى شـغل » بما هم فيـه من اللذائذ : فاكهون : « هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيهـا فاكهة ولهم ما يدعون » : يطلبون « سلام قولا من رب رحيم » وفى ذلك النعيم المقيم يقول الرسول الكريم : ينادى مناد يأهل الجنة : ان لـكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا ، فذلكم قول الله عز وجل : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » ، وكذلكم يقول الرسول عليه الصلوات : « من يدخل الجنة ينعم لا ييأس ، لا تبـلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، فى الجنة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر : واذا كانت قدرة المخلوقين قد أبدعت فى عصر الناس هذا ، وفى هذه الحياة الباطلة من ألوان الترفيه والتنعيم ، مالم يخطر بعقول الأجيال

السابقين ، فكيف بقدرة خالق المخلوقين ، وهى تبدع للحيــاة الخالدة كل ألوان التكريم ، لجماهير المؤمنين فى جنات النعيم .

أيها الاخوة المؤمنون : الانسان مخلوق عجب ، جمع فى هيكله بين ظلمة الأرض ونور السماء ، فهو حيوانى ملائكى وقد حمله مولاه اللطيف ، أمانة التكليف : « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » فما أجهل الانسان ، وما أظلمه لنفسه ، يشخص هــذا المخلوق المكابر يوم القيامة ، ليحاسبه مولاه ، على ما قدمت يــداه ، فيغريه جهله الجهــول أن المغالطة والمكابرة ، يمهدان له أسباب المعذرة ، قبل أن تتهيأ له أسباب المغفرة ، فى الدار الآخرة .

أيها الغر المفتون ، الذى لا يكاد يخجل ، بل لا يكاد يعقل ، أو تظن أن أساليب المغالطة والمكابرة والحوار ، ان جازت على مخلوق مثلك ، تجوز على عالم الأسرار الجبار ، وهو من هو سبحانه « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » : « اليوم نختم على أفواههم » : فلا يستطيعون الكلام « وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » قال أنس عليه الرضوان : كنا عند رسول الله عليه صلوات الله ، فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : أتدرون مم ضحكت قلنا لا يا رسول الله ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارب : ألم تجرنى من الظلم ؟ فيقول بلى ، فيقول : انى لا أجيز على الا شاهدا منى ، فيقــول : كفى بنفسك شــهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهودا ، فيختم على فيه ويقول لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينــه وبين الكلام ، فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل .

ولو علمت أيها العاصى المذنب ، وعلمنا معك نحن العصاة المذنبين ، أن يد العلم الحديث الذى أفاضه الله على بعض عباده ، قد ألقت أمامنا ضوءا كاشفا على بعض جوانب المستور من حساب يوم النشور ، لأسرعت وأسرعنا معك ، الى غسل الحوبة بطهور التوبة ، ان كل ما يصنعه العبد ، وما ينطق به مسجل فى لوح الأثير الذى برهن العلم ، أنه يسجل أصوات العباد وأفعالهم الى يوم المعاد ، ولسوف تعرض قدرة الله القادرة على كل امرىء عند حسابه

سجل هذا اللوح الأثيرى العجب ، يرى فيه العبد بعينيه كما يرى على سبيبة الخيالة : شريط السينما : جميع حركاته وسكناته ، من فجر حياته الى يوم وفاته : وعندها وربك لا يسعه انكار ولا عناد أو اصرار ، بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره : ولله الحجة البالغة : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفه » : من ماء مهين : « فاذا هو خصيم مبين » : ظاهر مجاهر بالخصومة : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » : قال من يحيى العظام وهى رميم » : بالية أشد البلى : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » ولا شك أن القادر على الابداع والانشاء ، قادر على اعادة الحياة بعد الافناء ، « وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » وسبحان من لا يعجز قدرته شىء ، فيخرج اللهب المتوقد الأحمر ، من الشجر المورق الأخضر « فاذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » : فيعيد خلقهم يوم حسابهم ، لانجاز وعده بثوابهم أو عقابهم « بلى وهو الخلاق العليم » . « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » .

عبر من سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم « حم عسق ، كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » .

خبرونى بربكم أيها الاخوة المؤمنون — عن قول ربكم « حم عسق » أهي حروف هجاء ، أم أشعة ضياء ، أم كواكب سماء ، يلتقي نورها السماوى بنور الايمان القوى ، في قلوب المؤمنين ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، — وكأنما كل حرف من هذه الحروف القرآنية المتقطعة : حم عسق : يتمثل للناس لسانا فصيحا ، ينطق بالدليل بعد الدليل ، مخاطبا عقول ذوى العقول ، ان كتابا ركبت كلماته من معدن حروف كلماتكم ، ثم أعجز الفصحاء ، وأخرس البلغاء ، لجدير أن يتعالى عن مستوى المخلوقين ، ولو كانوا من طبقة الأنبياء والمرسلين ، لأنه كلام خالق الأنبياء ومرسل المرسلين ، فبأى منطق بعد هذا ، يجرؤ المكابرون على تكذيب محمد سيد الانبياء في خبر السماء .

ولا عجب ، فان منزل هذا الكتاب العجيب الآيات ، هو صاحب الابداع والآيات فى خلق الأرض والسموات : « تكاد السموات يتفطرن » أى يتشققن من فوقهن : غضبا على من ينكر آيات هذا الكتاب ، ومن يدعى الشريك لرب الأرباب ، ولكن الرحمن الرحيم ، الذى كتب على نفسه الرحمه . تأبى رحمته الواسعة ، الا أن يمنح الناس الفرصة بعد الفرصة ، ويشاء ألا يتعجلهم بالعقوبة ، فلعلهم أن يتوبوا ويئوبوا : « والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا ان الله هو الغفور الرحيم .

أيها الانسان العاقل الموهوب ، انك لمحاسب على جوهرة العقل : ان أنت عطلتها أو كدرتها أو زيفتها ، محاسب على منحة الحياة ان أنت فى غير

طائل ضيعمه ، ان أدنى تفكير من جوهرة عقلك البصير ، فى آثار هذا الخلاق البديع ، الذى تتواكب عرائس أنجمه ، كما تتواكب عرائس أنعمه ، أقول ان أدنى تفكير فى كل أولئك لواصل بسفينة الفكر الى شاطىء الايمان والاطمئنان ، بأنه الاله الجليل القدير : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » فكيف لا يقر بوحدانيته ولا يسجد لعظمته و : « له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . انه بكل شيء عليم » « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه » : من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة نضاعف له الثواب ، بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ، ومن كان يريد بأعماله « حرث الدنيا » : متاعها ولذاذتها : « نؤته منها » أى شيئا منها بحسب ما قدرناه له لا بطلبه وارادته .

« وما له فى الآخرة من نصيب » : الا نصيب الشقاء المقيم والعذاب الأليم . اذا : فما أعدل قضاء الله يعطى الدنيا من طلبها وهو فى الآخرة المعذب المحروم ، ويزف الآخرة لمن خطبها ، بعد اذ قدم بالطاعات فى الدنيا مهرها ، فكان نعم الزوج لها ، وكان بنعمة المنعم أحق بها وأهلها ، « والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات ، لهم ما يشاءون عند ربهم . قال أبو طيبة : ان السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول : ما أمطركم ؟ فما يدعو داع من القوم الا أمطرته بما طلب ، حتى ان القائل منهم يقول : ياسحابة أمطرينا كواعب أترابا : الله أكبر . الله أكبر ، لا فضل أكبر من فضل الله ، ذلك هو الفضل الكبير .

أيها الأخ المؤمن : لقد كشفت لنا هذه الآيات الكريمة الغطاء ، عن بعض ما أعد الله للعصاة المذنبين من عقوبة ، وما أعد للبررة المتقين من مثوبة ، فما أحرانا أن نسرع ونستجيب الى دعوة الحق على لسان الحق . ورحمة الله التى وسعت كل شيء قد أمرت أن تفتح أبواب التوبة على مصاريعها ، وألا توصد فى وجوه طراقها أبواب التوبة والمغفرة الا عند الغرغرة . أيها المعرض عنا : حسبك الله تعالى .

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما» « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون »

ولن تقبل التوبة الا ممن وفاها مقوماتها ، واستكمل لها أدواتها ، لتكون توبة صادقة ، مكن لها فى صميم القلب ؛ قبل أن يعلنها اللسان ، وصحبتها دموع الندم تغسل بها وبغسول الاستغفار ، ما تقدم من خطايا وأوزار ، لا يشوب ذلك غفلة ولا ظل اصرار ، — الا يكن — فأعجب بها من توبة تحتاج الى توبة ، ومن استغفار يحتاج الى استغفار . دخل أعرابى مسجد رسول الله عليه صلوات الله وقال : اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك، وكرر فى سرعة ، فلما فرغ من صلاته ، قال له على كرم الله وجهه : ان سرعة اللسان بالاستغفار ، توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج الى توبة ، فقال يا أمير المؤمنين : ما التوبة ؟ قال اسم يقع على ستة معان : ، على الماضى من الذنوب الندامة ، وتضييع الفرائض الاعادة ، ورد المظالم ، واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية ، واذاقة النفس مرارة الطاعة ، كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته . أسأل الله لى ولكم أن يجعلنا من التوابين المتطهرين ، الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم .

ولقد جاء فى النظم الكريم بصدد نعوت المؤمنين المتوكلين : « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » فما فشل قوم طلقوا أساليب الاستبداد وصدرت حكومتهم عن الشورى ؛ واتخذوها فيما بينهم دستورا ، ولا ضيم قوم ، بدءوا باعطاء حقوق الله ؛ للفقراء من اخوانهم عباد الله ، قبل أن يعطوا أنفسهم رغباتها من مال الله ، الذى خولهم اياه ؛ « والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون » « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » ـــ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم »

وهكذا يا جماهير المسلمين ؛ يلقى علينا الرحمن فى مدرسة القرآن ؛ دروسا سماوية عالية يفقهنا بها معانى الكرامة والعزة والاباء — لنرد

الظلم عنا — فنلطم به وجوه الظالمين ، ونقصم بالعزم والحزم وعـون الله ظهور الغاصبين المستبدين ، « أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين » ، فمن لا كرامة له ، لا وطن له ، ومن لا وطن له ، لا دين له ، ومن لادين له فلا دنيا ولا آخرة له .

والمجاهد فى سبيل الوطن ، مجاهد فى سبيل الدين ، ولن يهولنا بقوة الله ما يتهددنا به أعداؤنا ، أعداء الانسانية من أساطيل وأباطيل وتهاويل ، فان الباطل كسيح ، والحق رجيح ، ودولة الظلم ساعة ، والحق الى قيام السـاعة .

غضب الخصم واستحر الوعيد — وصبرنا فهـل لديهم جـديد
فنيـت نار ظلمهـم وبقينـا — أى نار تفنى ويبقى الـوقود
ان هذى القلـوب وهى دماء — قد تفل الأسياف وهى حديد

فلنستخر الله ولنستعن به ، ولنبن من قلـوبنا — فى سـخاء الباذلين ، حصـونا نصون بها كرامة وطنية هى أعز علينا من دماء القلـوب ، وعزة قومية هى أغلى فى ميدان الجلاد والكفاح ، من المهج والأرواح .

وسلام الله وظلال الخلد على أرواح الشهداء الأبرياء ، الذين يحسبهم الجاهلون أمواتا وهم أحياء ، بعد اذ اشتروا بأغلى ثمن ، كرامة مصر وحرية الـوطن :

لذ طعـم الحمام فى طاعة الله — شـهيد قد كفنتـه الدمـاء
لو يرد القتلى الى الحرب يوما — لتمنت أن تقتـل الشـهداء

عبر من سورة الحجرات

أيها الأخ المؤمن : ان مدرسة القرآن قد فتحت أبوابها ، ونادت باسم الله طلابها ، فطوبى لمن أسرع فأجابها ، وأقبل على دروسها السماوية يتفهم آدابها ، ويدرس كتابها ، وما ظنكم بمدرسة مؤسسها الله ، ومعلمها الأول رسول الله ، لا تتقاضاكم على تعاليمها أجرا ، قل لا أسألكم عليه أجرا :

وانما تتقاضاكم عملا صالحا ينفعكم وصبرا وشكرا ، مدرسة أسست على التقوى من أول يوم ، تخرج فيها ألوف الألوف من طلابها الناجحين الصالحين ، فكانوا الغزاة فى سبيل الله الفاتحين ، والهداة المؤدبين ، والساسة البررة الصادقين القادرين .

وسورة الحجرات احدى حجرات هذه المدرسة الالهية المقدسة ، ينبعث من نوافذها المباركة ، نور سماوى محمدى يؤدى على خير وجه رسالة الهداية للناس ، حتى يصبحوا بحق خير أمة أخرجت للناس :

« يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » : لا تقدموا على أمر من الأمور تفعلونه ، دون أن تحتذوا مثالا من الكتاب والسنة ، فانهما الكوكبان يكشفان لكم ظلمات الحياة ، ويصلان بكم الى سفينة النجاة . « واتقوا الله » فى كل ما تأتون وتذرون من الأقوال والأفعال : « ان الله سميع » : لكل مسموع ومنه أقوالكم : عليم بكل معلوم ومنه أفعالكم ، فكان من حقه سبحانه ، وهو السميع العليم ، أن يتقى ويراقب ، وأن يؤمن كل عبد أنه لديه محاسب .

« يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » : بل غضوا أصواتكم وتحروا فى خطاب نبيكم ، اللين القريب من الهمس ، كدأب من يخاطب المهيب العظيم ، حافظوا بذلكم على مقام النبوة وجلاله مقدارها ، خشية « أن تحبط

أعمالكم » : تبطل ولا تقبل : « وأنتم لا تشعرون » ومن هنا قال أبو بكر عليه الرضوان : يا رسول الله ، والله لا أكلمك الا أخا السرار : يعنى مسارة حتى ألقى الله تعالى .

(أيها الأخ المؤمن) قدم وفد بنى تميم فى نحو سبعين ، وكان فيهم الأقرع بن حابس ، حتى أتوا منزل الرسول ، فنادوه من وراء الحجرات ، بصوت جهير جاف : يا محمد اخرج الينا : قالوها ثلاثا ، فخرج اليهم عليه الصلوات ، فقالوا : يا محمد : ان مدحنا زين ، وان شتمنا شين ، نحن أكرم العرب ، فقال الرسول : كذبتم : بل مدح الله تعالى الزين ، وشتمه الشين ، فقالوا : انا أتيناك لنفاخرك ، فقام خطيبهم وتلاه خطيب رسول الله ، ثم أنشد شاعرهم ، ورد عليه حسان شاعر رسول الله ، فلما فرغوا قال الأقرع بن حابس : ان هذا الرجل لمؤتى له : مؤيد : والله ما أدرى ما هذا الأمر ؟ لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ثم دنا من رسول الله عليه الصلوات فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله ، فقال له الرسول عليه الصلوات ، ما يضرك ما كان قبل هذا — ذلكم يا جماهير المؤمنين : بأن الاسلام يجب : يقطع : ماقبله ، فلا يحاسب من أسلم على شىء جنته يداه قبل الاسلام ، وما أسلم الأقرع بن حابس ، حتى أسلم رجال الوفد جميعا ، وجوزهم رسول الله فأحسن جوائزهم ، فذلكم قول الله سبحانه ، مخاطبا رسوله : « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ، والله غفور رحيم : « انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم » : ان تخاصما أو اقتتلا لعلكم ترحمون : فالمؤمنون حق المؤمنين ، تجمع بين قلوبهم المحبة والمودة والولاء . قبل أن يجمع بين أجسامهم وأنسابهم آدم وحواء ، وهم كما حدث الرسول . كأعضاء الجسد الواحد ، اذا اشتكى عضوا تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وما أحسن ماجاء به الأثر — : سر ميلا عد مريضا ، سر ميلين أصلح بين متخاصمين ، سر ثلاثة أميال زر أخا فى الله — وليس أكرم على الله من أخوين تحابا فى الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ولا عجب ، فسر نجاح

المؤمنين فى دنياهم وأخراهم ، قلوب طاهرة مخلصة ، أشربت الأخوة خالصة ، وتساقت الحب صافيا لله وفى الله .

أيها الاخوة المؤمنون : أعاذنا الله واياكم من داء السخرية بالناس ، والغيبة للناس ، فانه داء عياء ، وشغلنا واياكم بعيوبنا عن عيوب غيرنا ، فانه نعم الدواء .

لو فتش الانسان عن عيبه   ما عاب انسان على الناس

اذن لاهتدينا بهدى الرسول الكريم : طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، ولنزلنا على حكم الشارع الحكيم : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم» : لايعب بعضكم بعضا بقول أو اشارة ، لأن المؤمنين جميعهم كنفس واحدة ، فاذا عاب المؤمن المؤمن ، فانما عاب نفسه ، بل واجب المؤمن : أن يتعاون مع أخيه على اصلاح عيبه ، فى رفق وحسن تأت وحزم وأناة .

« يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم : ذنب يستحق العقاب ، والحديث الشريف يقول : ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء » : وعن عائشة عليها الرضوان : من أساء بأخيه الظن ، فقد أساء بربه الظن ، ان الله تعالى يقول : اجتنبوا كثيرا من الظن : – هذا ما لم يجاهر المؤمن بالعصيان ، فان جاهر به ، فقد أحل للناس سوء الظن ، — قال سعيد بن المسيب : كتب الى بعض اخوانى من أصحاب رسول الله ، أن ضع أمر أخيك على أحسنه ، ما لم يأتك ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا ، وأنت تجد لها فى الخير محملا ، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن الا نفسه ، وما كافيت من عصى الله تعالى فيك ، بمثل أن تطيع الله تعالى فيه — ولا تجسسوا : لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم ، فهذا رسول الله يقول : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الايمان قلبه ، لا تتبعوا عورات المسلمين ، فان من تتبع عورات المسلمين ، فضحه الله تعالى فى عقر بيته » .

ومن طريف ما يروى فى هذا المقام : يأيها الاخوة المؤمنون : ان عمر عليه الرضوان ، كان يعس بالمدينة : يطوف بالليل ينفض الليل عن أهل الريبة : فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى ، فتسور عليه ، فوجد عنده امرأة وبين يديه خمر فقال : يا عدو الله : أظننت أن الله تعالى يسترك وأنت على معصية ؟ فقال وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل على : ان كنت عصيت الله واحدة ، فقد عصيت الله تعالى فى ثلاث ، — قال سبحانه : ولا تجسسوا : وقد تجسست ، وقال تعالى : وأتوا البيوت من أبوابها ، وقد تسورت على ، وقال جل شأنه : لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها : ودخلت على بغير اذن ، قال عمر فهل عندكم من خير ان عفوت عنك ؟ قال نعم — فعفا عنه وخرج وتركه .

حدثونى يا علماء الاجتماع بعد اذ سمعتم ، هل يمكن أن تساس أمور الناس ، أو تعالج مشاكل الناس بأحكم مما أنزل رب الناس . ؟

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » : فتتعاونوا ، لا لتتفاخروا — فالحديث الشريف يقول : يقول الله يوم القيامة — أيها الناس ، انى جعلت نسبا ، وجعلتم نسبا ، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم ، فأبيتم الا أن تقولوا : فلان ابن فلان ، وفلان أكرم من فلان — وانى اليوم أرفع نسبى ، وأضع نسبكم ، ألا ان أوليائى المتقون :

عبر من سورتي النازعات وعبس

أيها الأخ المؤمن : ان للقرآن الكريم لأسلوبا عجبا ، أى عجب ، يسحر قلوب السامعيه ، وما هو بالسحر ، ولكنه السحر الحلال ويهز مشاعر الفاهمية ، وما هو بالشعر ، ولكنه موقظ الشعور الرفيع بمواطن الجمال والجلال ، يقسم الله سبحانه في بعض آياته ، بألوان شتى من مخلوقاته ، وما كان جل جلاله ، بمحتاج في تأكيد أخباره ، الى القسم بما هو صنع قدرته ، ومجلى عظمته ، فليس لشيء في الوجود قدر اذا نسب الى قدره الذى لا يقدره القادرون ، ولكنه التوجيه السماوى ، والتعليم الربانى ، يوقظ به عيون النائمين ، ويسترعى به انتباه الغافلين ، الى ماأودعت يد قدرته القادرة من أسرار عظمة ما أقسم به من ألوان المخلوقات ، لتكون عنوانا لكتاب ضخم فى عظمة الخلاق : فمن بين هذه الآيات الكريمة قوله سبحانه : فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم : ومن بينها قوله سبحانه في وصف النجوم : والنازعات غرقا : هى الكواكب تنزع عن قسي دوائرها ما نراه شهبا ساقطة : والناشطات نشطا : هى الكواكب تفارق مداراتها ، متنقلة من برج الى برج ، والسابحات سبحا : هى الكواكب تتحرك فى الهواء وتسير سيرا سريعا فى الجواء : فالسابقات سبقا : هى السابقات فى سبحها فتتم دورتها قبل غيرها — كالقمر يتم دورته فى شهر قمري ، وكالأرض تتم دورتها فى سنة شمسية ، ومنها ما لا يتم دورته الا فى سنين قد تبلغ السبعين وما فوق السبعين ، وسبحان مدبر أمر السموات والأرض ، ومدبر أمور الناس أجمعين : فالمدبرات أمرا : وصف لهذه الكواكب السائرة الدائرة ، ونسبة التدبير الى هذه الكواكب معناها : ظهور الأثر منها ، فسبق القمر علمنا حساب شهوره ، ووقفنا على ما له من أثر ، في السحاب والمطر ، والمد والجزر ، وما اليهما ، وسبق الشمس علمنا حساب السنين ، وخالف بين الفصول ، وفى ذلكم من أسباب حياة النبات

والحيوان ، ما تدركه عقول ذوى العقول ، والحق كل الحق : أن تدبير أمر الخلق ، ليس الا بيد الحق ، أقسم المولى سبحانه بما أقسم ليقول للناس : انكم لمبعوثون ليـوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العـالمين ، يوم ترجف الراجفة : تضطرب الأرض وما عليها ومن عليها : تتبعها الرادفة : السماء وما فيها ، فتنشق وتنتثر كواكبها : قلوب يومئذ واجفة : شديدة الاضطراب : أبصارها خاشعة : ذليلة خاضعة ، وياما أشد هول هذا اليوم المهول الذى لا يقبل فيه عذر المعتذرين ، ولا تنفع فيه شفاعة الشافعين ، نسأل الله العافية من أهوال يوم الدين — والعجبالعاجب : يأيها السادة : فىأمر هذا الانسان الضعيف المسكين المخلوق من ماء مهين أو من ماء وطين ، أن يتمرد على خالقه فيعصيه ، وقد يشتد فى تمرده فلا يعترف له بوجود .

وأعجب العجب ، أن يتغالى فى غلوه ، ويشتد فى عتوه ، ويخادع نفسه بكاذب الأمانى وهو المخدوع ، ويوهمها ويوهم السـذج أنه الصانع وهو المصنوع ، ألم تروا الى فرعون وخبله ، واضطراب عقله ، انه والله دعلها ، وان كانت تخر لها الجبال هـدا ، اذ قال : أنا ربكم الأعلى ، وكأنما نسى المغرور المفلوك أنه المخلوق المضعوف ، تضجره ذبابة ، وتغرقه سـحابة : فأخذه الله نكال الآخرة والأولى : اذ نكل به فى الدنيا بالاغراق ، وفى الآخرة بالاحراق : ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى : والخشية غاية للهداية ، فمن خشى الله سبحانه ، أتى منـه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر ، وينزع الى هذا المعنى قوله عليه الصلوات « من خاف أدلج : استأنف السير ليلا : ومن أدلج بلغ المنزل :

أأنتم أشـد خلقا أم السماء : اذا نحن والأرض والسماء فى الدلالة على عظمتك أيها الخلاق المعبود سواء :

وأسـلمت وجهى لمـن أسـلمت	له الأرض تحمل صـخرا ثقـالا
دحاها فلمـا اسـتوت شـدها	بأيد وأرسى عليهـا الجبـالا

دحاها : بسطها ، يسألونك عن الساعة :

القيامة . أيان مرساها : متى تقوم القيامة ؟ فيم : فيم هذا السؤال الذى لا محل له ولا جواب له . أنت من ذكراها : اذ أن ارسالك وأنت خاتم الأنبياء ،

المبعوث فى نسم الساعة دليـل على قرب وقوعها ، وفى هـذا يقول عليه الصلوات : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ان كانت لتسبقني : وأشار باصبعيه الوسطي والسبابة ، ألا فليتق الله أرباب العقول ، ويقوا أنفسهم هذا الهول المهول .

أيها الأخ المؤمن : تعرض ابن أم مكتوم وهو صحابي أعمى : لرسول الله ، وهو مقبل على الصناديد من قريش ، يدعوهم الى الاسلام ، رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم ، فقال ابن أم مكتوم : يا رسول الله : أقرئني وعلمني مما علمك الله ، وكرر ذلك ، وهو لا يعلم تشاغل رسول الله بالقوم ، فكره الرسول قطعه لكلامه وظهـرت الكراهية فى وجهه ، فعبس وأعرض عنه ، فنزل قول المولى سبحانه يعاتب رسوله :

« عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعـله يزكى : يتطهر من آثار الجاهلية . أو يذكر : يتعظ ، فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدي : تتعرض ، وما عليك ألا يزكى : ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى : ولقد كان الرسول الكريم بعد هذا العتاب السماوى الرفيق اذا لقى ابن أم مكتوم ، قال له متلطفا : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى ، كما كان الفقراء فى مجلسه هم الأمراء ثم عرضت السورة الكريمة لوصف أهوال يوم القيامة فقالت : يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته : زوجته ، وبنيه : لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه : أخرج ابن المنذر عن قتادة قال . ليس شيء أشد على الانسان يوم القيامة ، من أن يرى من يعرفه مخافة أن يكون مطالبا اياه بمظلمة : ثم قـرأ : يـوم يفـر المرء من أخيه .. الخ الآية الكريمة .

أما بعد : يأيها الاخوة المؤمنون : فاسألوا الله لى ولكم الأمن والسلامة ، فى هذه الدار وفى دار الكرامة ، وادعوه بما كان يدعوه الرسول الكريم ، اللهم أغننى بالافتقار اليك ، ولا تفقرنى بالاستغناء عنك .

عبر من سورة العصر

ان هذا النور السماوى القرآنى ، الذى أنزله مصدر النور سبحانه على مهبط وحيه ومصطفاه ، محمد بن عبد الله ، ليحمل فى ثنايا أشعته القدسية ، أسرار آياته البينـات التى لا تبلى جـدتها ، ولا تدمغ حجتها ، فى ميدان الاعجاز والايجاز ، فيما يتطلب الايجاز أو الاعجاز ، والتطويل فيما يقتضى التوضيح والتفصيل ، فهذه سورة البقرة وأخواتها من طوال السور ، تقطع أنفاس المعارضين ، وهذه تبارك وما ينزعها مما قبلها ، وما بعدها من قصار السور ، تسمى المفصل ، لكثرة الفصول بين سورها ، وهى تنادى بلسان ايجازها واعجازها السماوى : جماهير البلغاء الموجزين : انكم مهما وعدتم أن تبلغوا الشأو فى ميدان هذا البيان المبين ، فما أنتم بالمنجزين ولا بالموجزين ، بل ستظلون الأعبياء العاجزين .

خبرونى ، أين أنتم من أسلوب كتاب كريم :

أنشـــأ الأمى يمليـــــه فمـــا خطـــه الـــكتاب الا ســاجدين

بل أين أنتم :

من حسن لفظ سنى الأذن جوهره قرطا ويعشـــقه القـــرطاس والقلم

وهل لمخلوق عاجز أن يحلم بمحاكاة شىء مما أبدعته قدرة اله قادر ، فى حلاوة سورة الكوثر ، أو جمال سورة النصر ، أو روعة سورة العصر : « والعصر ان الانســـان لفى خسر ، الا الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

يقسم رب الناس للناس ، بالعصر : وهو الزمان الذى تقع فيه حركات الناس وأعمال الناس ، ان الانسان لفى خسر .. الخ السورة الكريمة : ليؤكد بالقسم العظيم : أن ألوانا كثيرة من بنى الانسان ممتحنة فى أعمالها بضرب

من ضروب الخسران ، الا من استثناهم منزل القرآن — فأعمال الانسان هي مصدر شقائه وبلائه ، ان لم يلازمها التوفيق من الرحمن ، فلا ينبغي أن يتهم بذلك الزمان الذي يحتويه ، ولا المكان الذي هو مقيم فيه .

نجني الظـــالمون عـــلى زمـــان وقد فســـدوا وما فســـد الزمان

من أجل هذه البراءة البريئة التي برأت الزمان ، واتهمت بني الانسان ، كان الزمان الطاهر البرىء جديرا أن يقسم به الرحمن : والعصر ان الانسان لفي خسر : ثم يستثني من قضاء هذه القضية التي يجب أن تحول بين الأعين والرقاد ، وبين أماني الراحة والفؤاد ، صنفا ممتازا من عباد الله ، هم المؤمنون الأبرار ، والمصطفون الأخيار : الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصـــوا بالصبر : فالذين آمنوا هم الذين صـــدقوا بأصل الخير والشر ، واعتقدوا اعتقادا راسخا : تزول الجبال ولا يزول بالفرق الفارق بين الفضيلة والرذيلة وبأن لأنفسهم ولهذا العالم الذي يحتويهم حاكـــا قادرا قاهرا عادلا ، يرضى ويغضب ، ويثيب ويعاقب ، وبأنه أرصـــد لهم الجزاء العادل على أعمالهم ، الخير بالخير ، والشر بالشر ، ثم كان تصديقهم بكل أولئك بالغا مبلغه من نفوسهم ، باسطا سلطانه على ارادتهم ، فلا تتعلق هذه الارادات الا بالأعمال الصالحة التي فصلها كتاب الله ؛ ودستورها أن يعيش الانسان ما يعيش نافعا لنفسه ، ولأهله ، ولقومه ، وللناس جميعا ، متحاميا أن يضر أحدا الا لكف ضرر أعظم منه .

فهذا رسول الله عليه صلوات الله يقـــول : خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، ويقول : ان لله عبادا حبب اليهم الخير ، وحببهم الى الخير ، اختصهم بنفسه لقضاء حاجات الناس ، فاذا كان يوم القيامة ، جلسوا على منابر من نور ، يحادثون الله ، والناس في الحساب .

ألا وان من بين تلك الأعمال الصالحة ، الدعوة الى الحق ، والوصية بالصبر ، وانهما في الحق حفاظ كل خير ، ورأس كل أمر ، فمن سره أن تكتب له النجاة من شر الخسران ، الذي يمتحـــن به بنو الانســـان فليعش طالبا للحق ، ليدرس الحق ويعرف الحق ، ويلزم نفسه دساتير الحق ، وخير مدرسة يتخرج فيها المؤمن في مادة الحق ، هي مدرسة السنة ومدرسة القرآن ، ففي

غيرهما يخطئه النجاح في هذا الامتحان . وجدير بالمؤمنين بعد اذ يتخرجون في مادة الحق ، أن يأخذ بعضهم بعضا بالتزامه ، فمن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد اذ يتخرج فيه فهو من الخاسرين .

بهذا وفي سورة العصر ، نطق كتاب الله الكريم يا جماهير المؤمنين .

والصبر : قوة النفس على احتمال المشقة في العمل الطيب ، واحتمال المكروه في سبيل الحرمان من اللذة ، ان كان في نيلها ما يخالف حقا ، واحتمال الآلام اذا عرض المصاب ، بدون جزع ولا خروج في دفعها عن حدود الحق والشرع .

أيها المؤمن الرابح في تجارة التقوى والايمان : هذا شرط آخر للنجاة من الخسران : أن تصبر وأن توصي غيرك بالصبر الجميل ، فالصبر عماد الفضائل كلها ، ولن يعد من المؤمنين من لم ينتظم قلبه في سلك الصابرين .

ولجليل ما انتظمت سورة العصر على ايجازها من أسباب النجاح والفلاح في أمور الدنيا والآخرة قال الشافعي عليه الرضوان : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم . وقال لو لم ينزل من القرآن سواها لكفت الناس روى أنه كان الرجلان من أصحاب رسول الله ، اذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلم أحدهما على الآخر ، ذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما يجب أن يكون عليه ، فاذا رأى منه شيئا ينبغي أن ينبه اليه ، فعليه أن يذكره له ، وهذا في الحق ، هو روح التواصي بالحق والتواصي بالصبر .

هذا ويا ما أشد حاجتنا يأيها المواطنون : في هذه النهضة الوطنية المتوثبة ، والثورة الرائدة المباركة ، وفي عهد هذا البعث الجديد السعيد ، أن نأخذ أنفسنا بتعاليم سورة العصر ، فنتواصى جميعا في ميدان جهادنا بمبادىء الحق ومبادىء الصبر ، حتى نصل تحت عين الله ، وبمشيئة الله من نصر الى نصر . والسلام عليكم ورحمة الله .

الله وراء كل شيء (١)

شــقيت نفســـه فضلت هـداها   وتجـلى إلهـــا فى هـــواها
زعمت ان طينهـــــــا أزلى   كذبتنــا وحـــق من ســـواها
واماء النفوس ان تلف مولاهـــــاحفيـــــا بها عصت مولاهــا (٢)
ضـــلة للعقــول لم تــك شـيئا   ثم كانت فأنــكرت من براهــا (٣)

قف حيــال الســماء ليلا وسائل   سـفن النـــيرات من أجــراها
ســفن موجهــا الأثــير ولا يعـــــــلم الا ربانهـــا مرســـــاها
جاوزت ذى العيــون حـد التقصى : فنــراها ولا تــكاد تراهــا
ان تطــالع أبصــارنا مبتــداها   فالى الله ربهـــــا منتهــــاها

واســـأل الوردة اكتست كل لون   من كســاها ومن حباها شذاها (٤)
ألبســـتها الأوراق كف قـــدير   فأرتنــا لثم الشـــفاه الشـــفاها
أبرزتهــا عــذراء من خـدركم   فى حيـــاء توردت وجنتــاها (٥)
ودعتهـــا مليكــة الزهـــــر لما   ألبســـتها الريـــاض تاج نـداها
فأصخ للجــواب منهــا تجــدها   باســـم من حاكها تحــرك فاها (٦)

شــجرات فى الروض مشـتبهات   شـــــهوة الآكلين فاطعم جنــاها
ذقت هــذى فمــا أمـــر جنــاها   ثم هـــــذى فقلت ما أحـــلاها
جملت منظــرا وطابت مذاقـــا   لتــروق العيـــون والأفــواها
ما اختــلاف الطعــوم والماء فيها   واحــد والتراب أصــل غذاها
صــاغها مثلمـــا أراد بـــديع   قد تفينـــا عن ذاته الأشـــباها

---

(١) قيلت هذه القصيدة ردا على بعض الشعراء العصريين المدعين الملاحدة .
(٢) اى ان النفوس الحبيبه اذا اكرمت تمردت .
(٣) براها : خلقها .
(٤) حباها شذاها : منحها عطرها .
(٥) الكم ــ بالكسر ــ وعاء الطلع ، وغطاء النور .
(٦) اصخ : استمع .

ثم سائل بلابل الأيك تشدو ... فيهز الأملاك لحن غناها (١)
وتناجي القلوب وهي تغني ... فتذيب القلوب في نجواها
علمت ساكن الغصون التثني ... وعليل النسيم ترجيع واها (٢)
من برا هذه الحناجر عيدا ... نا وانشا قيثارة في لهاها
انه مبدع كسا الطير ريشا ... وحباها في الجو ملكا وجاها

هذه النملة الدقيقة خلقا ... كيف تسعى وكيف تبني قراها
هذه النحلة اكتست حبرات ... من طلها شهدها وسل حماها (٣)
قل لشمس النهار من جلاها ... واسأل الأرض من أدار رحاها
واسأل الريح كيف تزجي سحابا ... واسأل السحب كيف يهمي حياها (٤)
ثم سائل بروقها مشرعات ... هل تضج الرعود خوف أذاها (٥)
واسأل الدوح كيف شب لظاه ... واسأل الراسيات من أرساها (٦)
مدها في الثرى وأعلى ذراها ... قادر في غد يحل حباها (٧)

ضل في التيه من أبى الرشد تيها ... يا أخا العقل لا تكن تياها (٨)
يجهل العقل كنهه وهو عقل ... وجدير أن يدرك الأكناها (٩)
قل له ما الأثير وهو فضاء ... ان يحمل رسالة أداها
ثم ما الكهرباء وهي قريب ... منه وهو البعيد عن معناها
قل له ما ارتباط جسم بروح ... ضل فيها دراسة واكتناها (١٠)
هل أعنا الأعصاب حين أصاخت ... أذناها واذ رنت مقلتاها (١١)
أو أعنا للقلب نبضا ضعيفا ... تستمد الأبدان منه قواها

---

(١) الأيك : الشجر الملتف الكثير . تشدو : تغني .
(٢) واها : كلمة تعجب من طيب كل شيء وكلمة تلهف أيضا .
(٣) الحبرات : البرود اليمانية الموشاة .
(٤) تزجي : تدفع . يهمي حياها : يصب مطرها .
(٥) مشرعات : مرفوعات .
(٦) الدوح : الشجر العظيم . شب لظاه : اتقدت ناره .
(٧) الحبا : جمع حبوة وهي ان يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة او نحوها .
(٨) التيه : المفازة يتاه فيها . تياها : متكبرا .
(٩) الأكناها : الحقائق .
(١٠) اكتنه الشيء : بلغ كنهه .
(١١) أعنا : ساعدنا . أصاخت : سمعت . رنت مقلتاها : طرفت عيناها : يعني بذلك أن حركتها غير ارادية

أو أعنـــا الأنفـــاس مطـــردات ... وهي في النـــوم لاتني رئتـــاها
ان خلف العقـــول ربـــا حـــكيما ... أودع الكائنـــات سر بقـــاها

أيها الحـــائرون تحت غطـــاء ... عالجـــوا كشـــفه ترون الالها
آين نفس في الله بـــين ركوع ... وسجـــود تورمـــت قدمـــاها (١)
فاقـــدروا ذاتـــه وبين يديه ... عفروا في التراب تلك الجباها (٢)
يا عـــذولي اليـــك عنى فاني ... في جمـــال الورى عشقت الله

---

(١) اشارة الى تهجده صلى الله عليه وسلم .
(٢) اقدروا ذاته : عظموها .

كن مع الله

كن مع الله يكن معك الاله ... وتزود فالتقى فلك النجاه
واقض كل العمر فى مرضاته ... فلهذا وحده جئنا الحياه
واستمد العز من عزته ... ذل من يطلب عزا من سواه
واقرأ الدنيا ففيها سطرت ... آية التوحيد لله يداه

طر مع الشمس وسر فى فلك ... قصر الظن فلم يبلغ مداه
ثم سل كيف اهتدت أضواؤها ... فى فضاء حير العقل فتاه
فى ثوان تشرق الأرض بها ... ويرى البدر فيسرى فى سناه
روح دنيانا وتفنى ان دنت ... يا لها مصدر موت وحياه

كم ألوف من شموس مثلها ... كل شمس ضوء كون لا نراه
فاعشق المبدع فى ابداعه ... واملأ الدنيا بألحان هواه
واسأل الفجر وقد شق الدجى ... ماسنا تفتر عنه شفتاه
قدمته الشمس فى موكبها ... حبشيا فى يديه شعلتاه

وأطلت بعده من خدرها ... تغمر الدنيا بأنوار الاله
توقظ الأطيار من أوكارها ... فيسبحن على لحن المياه
هزها فاصطفقت أجنحة ... شاركت نجم الثريا فى علاه
والغصون الملد (١) تحنى رأسها ... لركوع فى خشوع وأناه

وترى الأنداء تهوى سجدا ... تعبد الله بتعفير الجباه
وورود الروض خطت أحرفا ... لبديع مسها نفح شذاه
يشكر الورد يدى خلاقه ... بلسان ترجم الحسن لغاه (٢)

---

(١) الملد : جمع أملد وهو الناعم اللين منا ومن الغصون .
(٢) لغاه : جمع لغة .

ويشـف الـورد فى أوراقـه | عـن لطيف من سـنا اللطف براه
خصـه بالحسـن مـن سـلحه | بسـلاح الشوك كى يحمى حمـاه
آيـة التوحيـد باتت شـغله | وبغيـر الله مـا حـرك فـاه
ورد الخـدين منـه خجـلا | بغى باغ حدقتـه مقلتـاه (١)
ظـلم الانسـان حتى نفسـه | فاسـألوا قابيل من أردى أخـاه ؟
مـولع بالذنب يجنيـه فهل | ظـن حسـن الورد ذنبـا فجنـاه
قتـل الانسـان مـا أكفـره | مـا عصى الخلاق فى الخلق سـواه
فالسـموات أتت طائعـة | هي والأرض يلبـين نـداه
سبحـت لله فى أفلاكهـا | واستجـارت في عـلاها بعـلاه
هل رأيت الطـور يهـوى خشـية | للذى مـن عنصـر الصـخر بناه
ورأيت البحـر يمسى طـرقا | ما عصى فى الله موسى وعصاه (٢)
ورأيت الريح تجـرى بسـطا | لسـليمان بتسـخير الالـه
ورأيـت الميـت باسـم الله فى | طب عيسى قد مسّ فيـه الحياه
أيطيـع الله ميت عاجـز | وأخـوه الحى ما عاش عصـاه

أيهـا العبـد المعـادى ربـه | ويك قـل لى هل ترى ربا عـداه
فاحذر الشـيطان واخـذل جنده | فأخو الخسران من يهـوى هواه
عجـل التـوبة واعمـل صـالحا | انـه من يغـرس الورد جنـاه
وابـغ من دنيـاك أخـراك تنـل | خير ما يجـزى بـه الله ، رضـاه
زك عن عينيـك واغضـض منهما | ضـل من لـم يهـده الا عمـاه
زك عـن كفيـك بالـكف وقـل | انمـا المؤمـن مـن كف أذاه
زك عـن رجليـك أو غيرهمـا | فى سـبيل الله يدخـلك حمـاه
زك عـن نطقك بالقـول الذى | تنصت الدنيـا لمـأثور حـكاه
زك عـن عقـلك بالرأى انجـلى | فيـه للسـارى هـداه فى رجـاه
زك أمـوالك بالمـال فمـا | حصن الأموال شيء كالزكاه

(١) حدقته : شدد النظر اليه .
(٢) وعصاه : يعنى أن البحر أطاع موسى وأطاع عصا موسى .

صـل خمسـا تحرس الدين فمـا — لحمـاه ديدبـان كالصـلاه
حـج بيـت الله تصـبح ضيفه — ياهنـا ضـيف عـلى الله قـراه
آس كـل النـاس فى الله تفـز — فهـو عـون العبـد ما آسى أخاه
واشـق للرحمـن فى اسـعادهم — فالسـعيد الحـق من جادت يداه
اعبـد الله كمـن يبصـره — فـاذا لـم يـره فهـو يـراه

واستشـف الـكون وارفع حجبا — لتـرى فيـه بعينيـك الالـه
قـم وفتش ثـم فتش جاهـدا — لـن ترى فى هذه الدنيـا سـواه
صـاح بع نفسـك لله الذى — وهب العيـش لنـا ثـم اشـتراه
من يبـع بالخـلد عيشـا زائـلا — سـره الاخـذ ولو أعطى الحيـاه

فاصطنع خيـرا تجـد خيـرا فمن — يزرع الخيـر أو الشـر جنـاه
زك أنفاسـك بالذكـر تـكن — ضـيف من تذكـره يوم لقـاه
ثـم زك القـلب يهتـف دقـه — للذى سـوى وللحـق دعـاه
يا بسـاط الأرض يا سـمك السما — مـا وسـعت الله والقلب احتـواه

قـدر الدنيـا فـكانت سـاعة — فاتتهزهـا طاعـة تدخل حمـاه
واتخـذ طـه اليـه سـببا — فهـو قطب الكون والـكون رحاه
يـا محـب الله زر محبـوبه — فهـو باب الله مـن يفتـح رآه
وامـلأ العينـين مـن أنـواره — واسف ما فى القلب من نار هواه

قـم وغـن الدهـر فى أوصـافه — تهتف الدنيـا بألحـان عـلاه
وانثـر الأيـام فـى اشـراقه — تغن عن شمس الضحا شـمس بهاه
والتمـس وردك مـن شـرعته — تـس در الثغـر فى عـذب لمـاه
ثـم صـل روحـك بالروح الذى — نظـم الدنيـا شـعورا وحيـاه

فهـو مـن أنفسـنا لـكنه — قـد سـما فارتد بدرا فى سـماه
بدرتـم زانـه بارئـه — نور الأرض فأرضى مـن براه
نعمـة الله عـلى النـاس اسـمها — أحمـد المختـار للدين اصـطفاه
أيـد الحـق وقـد خـارت لـه — قـوة الشـرك وما خارت قـواه

قـــرة العــــين لـــه ألا تــرى عينـــــــه فى الأرض لله عصـــــاه
لـــو تـــدوم الـــروح فى خدمتـــه لم تـــكافىء بعض ما أســـدت يداه
تعجــــــز الأرواح أن تجـــزيه والحبيب الله عنـــــا قـــد جـــزاه
فســـــــلام الله فى جنـــــاته لنبى حســــنها رمـــــز حـــلاه
وصـــــلاة الله يهـــــدى غيثهـــــا لثـــراك الطهـــر يا خيـــر الهـــداه

لفتة روحية

ما أنس لا أنس اذ نغـــذو بمائدة ... أجســامنا وغذاء القلب (نعماه)
قالت لقط لنا أوسعته شـبعا ... وجاءها بعد هـذا فاغرا فاه (١)
انا منحناك ما تهـوى بمـائدة ... لو بعضــه بفم المنهوم أغناه (٢)
فأجحظ القــط عينيــه كأنهمـا ... تحـدثان حديثـا جــل معنـاه

أأنتمـا تعسـان الخلق من سغب ... لو كان هذا فماذا يصنع الله (٣) ؟
فاستشعرا خجلة من قولة فضـحت ... مسـتور بطل لسـان الحـق يأباه
ما أنتما غيـر مأجـورين قد حملا ... رزقا لمـن عاش لا ينسـاه مـولاه
انا واياكمــو فى ضـعف حيلتنـا ... والفقــر لله أشــباه وأشــباه

نسـنا ولسـتم لمن تعطون سادته ... فسـيد الـكل أعطـانا وأعطـاه
ان الجـواد يمـين الله يبســطها ... للسـائلين فـكن فى الأرض يمناه
ولا يمـن ولـو بالـروح يبذلهـا! ... ما تعط يمنـاه لا تعـرفه يسـراه

---

(١) فاغرا فاه : فاتحا فمه .
(٢) المنهوم : الذى لا يكاد يشبع .
(٣) سغب : جوع .

مولد كان للحياتين بشرى

رحمة الله والهدى والبهاء في نبي تزهى به الأنبياء
صاغك الله يا محمد نورا شف عنه الأفعال والأسماء
لست من طيننا وان تك منا نحن أرض وأنت أنت السماء

عند بدء الوجود أشرقت نجما منه كل الوجود بات يضاء
فهدى الرسل من سناك شعاع يا كتابا وكلهم أجزاء
بشروا باجتلاء أحمد والأنوار تبدو في أثرهن ذكاء
سبقوا موكب الجلال كما تسعى تحيي مليكها الأمراء

***

مولد كان للحياتين بشرى أسمعتنا ألحانها الأنباء
ولد النور فالعوالم نشوى أسكرتها الأنوار لا الصهباء
ولد الفضل فالحياة صفاء ولد العدل فالجميع سواء
ولد السعد يوم مولد طه فتهنوا يأيها السعداء

***

مصطفى ينشر المكارم دينا دينه الصدق والوفا والحياء
ما يضير اليتيم طيب سجايا ه هي الأمهات والآباء
خطبت ودها خديجة لما باركت مالها وزاد الثراء
عشت ما عشت رأس مالك تقوى والمعالي اكفاؤها الأتقياء

***

يا صدوقا منذ الصبا وأمينا جندك الصادقون والأمناء
لم تعفر لغير ربك وجها من رموز عبادها أشقياء
تجد الأنس عند وحدة نسك قم فحدث عن نسكه ياحراء
قبل وحي السماء أوحى لك القلب بدين له تدين السماء
ترهف السمع للكواكب باتت من جمال التسبيح وهي وضاء

وتخال النجوم تهوى سجودا لبديع من آيه الأضواء
في جميع الأشياء تعبد ربا سبحته بصنعها الأشياء
قمت تبنى التوحيد لله دينا وتهد الأصنام فهى هباء
روع الشرك أن رأى لك قلبا ند عنه الأنداد والشركاء

***

ما لنيران فارس قدسوها وعراها على يديك انطفاء ؟
علها اذ قرأت : يا نار كوني قد تساوى شواظها والماء
وكأن النيران اذ عبدوها أدركتها خزاية وحياء
نسى القوم خلقها وقديما أنست الناس ربها الأهواء

***

زعموا دينك السفاهة يا ها دي ألا انهم هم السفهاء
ان يكنها فلم تحدى نهاكم أين أين الحلوم يا حلماء
أمن الحلم أن يضيق أخو الحلم بنور وعيشه الظلماء
أمن الحزم أن يرد أخو الحزم دواء وكله أدواء
أم من العقل أن تؤله أصنام وهن الحجارة الخرساء
كل من يرتضى الحجارة ربا عقله والذى ارتضاه سواء

***

يا أبا طالب رجيت لأمر ليس في مثله يكون الرجاء
تسأل المصطفى سكوتا فترتد برد يمشى لديه القضاء
لو أتونى بالنيرين جزاء لسكوتى لقلت بئس الجزاء
ان دينا أنشاه ربى حياة للبرايا له حياتى الفداء

***

سنة الله أن يدين بدين الله قبل الأعزة الضعفاء
أقوياء عدوا عليه ضعاف وضعاف عدوا له أقوياء

***

يا رسولا لدعوة الحق يحيا وينادى حتى يلبى النداء
دع (ثقيفا) وهديها كل هدى غير مجد ما لم يجبه اهتداء
أوسعوا آى هديك استهزاء والضلالات أصلها استهزاء

أمعنوا في الأذى وأغضيت صفحا ... والنبوات دأبها الاغضاء
جرحوا بالحصى أديما مفدى ... والحصى هده الأسى والحياء
بذلت الدماء وحدك لكن ... جرحت من جراحك الحصباء
عجب الصفح أن يراك صفوحا ... وبظلم الباغي تصيح الدماء
هي تشكو وأنت تدعو بخير ... وجزاء العدوان منك الدعاء

***

يا طبيب النفوس طب لنفسي ... ولأهلي فأنت نعم الدواء
مسخت قبلك الديانات أيد ... فهي من بعد حسنها شوهاء
نزلتها السماء للناس نورا ... حجبته بمكرها العرفاء
اتخذوا الدين مركبا لهواهم ... ساء صنعا وساءت الأهواء
أكلوا باسم دينهم دنياهم ... وهي نار اطفاؤها اذكاء
اتخذوا من هوى النفوس الها ... خاسر من الهه الأهواء
أوهموا الطامعين في غفر ذنب ... أنهم عن الههم وكلاء
ثم باعوا الغفران والجنة الخضرا ومأوا هم لظى الحمراء
هكذا باتت الديانات سوقا ... خسرتها التجار والحرفاء
ثم شن الاسلام حربا على الزيغ ... وجند الهدى هي الغلباء

***

بيد الله يا رسالة طه ... تم للحق والهدى لألاء
وتداعى بنيان شرك خفي ... شاده بالوساطة الوسطاء
طالما حال بين عبد ورب ... عنده الصيد والعبيد سواء
وتسامت أرواحنا بتقاها ... للمليك ما ان له وزراء
فتح الباب للجميع وناداهم تعالوا يأيها الأتقياء
فاخلدي في النعيم يا نفس فان ... في اسمه فالفناء فيه بقاء

***

وعن الصابرين حي بلالا ... فلدى صبره يحار البلاء
أسكنوه الرمضاء كي يفتنوه ... وهو في الخطب صخرة صماء
(أحد) وهي شغله شغلته ... فاذا النار جنة خضراء
وكأن الرمضاء اذ سمعتها ... بردت حرها له الرمضاء

جسم عبد قد زانه نفس حر يتمنى أمثالها العظماء

***

قد شراه من العذاب أبو بكر ولله كان هذا الشراء
فارفع الصوت يا بلال وأذن بصلاة تصغى اليك السماء
واسمع المصطفى يقول أرحنى يا بلال بها فنعم الدعاء
قصر الجاهلون فهى صلاة وارتقى العارفون فهى لقاء
همزة الوصل بين عبد ورب سرها لو علمت حاء وباء

***

أيهذا المسرى به وهو يقظان هناك المعراج والاسراء
خبط القوم منهما فى دياج من شكوك تعمى بها الزرقاء
وأبان الصديق من أضرب التصديق ما أعجبت به الأصدقاء
ليس يطفى نور النبوة ألا تبصر النور مقلة عمياء
لسليمان قبل رد لطرف عرش بلقيس من (سبا) بك جاءو
وله الجن والطيور وبسط الريح تجرى بالأمر وهى رخاء
ولموسى تفلق البحر وازدانت بأنوار ربها سيناء
وعصاه وارت بجوف عصيا وحبالا وشى العصا الصماء
فهوى السحر ساجدا يشترى الجنة مهما يصلب الأبرياء

***

وبعيسى لله آى تجلت فى وليد وأمه العذراء
اذن الله فهو يخلق طيرا ويرد الموتى وهم أحياء
كل يوم يجلو لنا الله سرا من أعاجيب ما لهن انتهاء
معجزات الأثير أو قسمة الذرة فتح تعنو له العلماء
لا تقل فى سرى الحبيب لهذا كيف تدنو أرض وتطوى سماء
شيئة الله أن تلاقى حبيب بحبيب والعرش تحت وطاء
فى مقام ما ان يدانيه ضن لا . ولا يرتقى اليه علاء
يعجز العقل أن يحيط بغيب فاحذروه يأيها العقلاء
ان دستور أخلص الناس دينا يفعل الله ربنا ما يشاء

***

كتب السعد اذ دعوت لأبرار اجاباتهم هى الأصداء

صابروا رابطوا وفى الله أوذوا　　فى رضا الله حبذا الايذاء
كيف ترجو الأرحام وصل قساة　　رحم الدين بينهم قطعاء
بيتوا قتله بليل أتاه　　فى دجاه بالهجرة الايحاء
نام فى بردة النبى على　　كى يضل الأرصاد والرقباء
ومشى المصطفى يخوض المنايا　　والمنايا مشلولة عمياء
والصديق الصديق فى لهفة الأم أصابت وحيدها الأعداء
فاسألوا عنه ظهر مكة يشهد　　أنه الحب خالصا والوفاء

***

هاجر الكوكبان من وطن جار الى جيرة هم الحنفاء
فكأن الرسول قد قال لما　　جاذبته من شوقها البطحاء
وطن المرء دينه فدعينى　　دون دينى الآباء والأبناء

***

اشرقا نيرين يا غار ثور　　ضم نوريهما اليك ثواء
وأتى القوم يرصدون سرى النجم فأعماهمو سنا وسناء
بنت العنكبوت بالباب بيتا　　وعلى الباب باضت الورقاء
أعلى قيد خطوة من رسول الله لا يبهر العيون ضياء
ويظل الأرصاد فيه حيارى　　وبأنواره يضاء الفضاء
ولو ان الردى تسامى اليه　　لأمات الردى لديه القضاء

***

حسبك الله لا تروع يا أبا بكر فمن قال حسبنا لا يساء
آية الله أن تموت المنايا　　لتعيشا والله نعم الوقاء

***

يا رسولا صابرت فى الله حتى　　طامنت ظهرها لك اللأواء
أنت علمتنا دروس ثناء　　أوجبتها السراء والضراء
قد وجدنا بك العذاب نعيما　　وكثير نعماؤهم بأساء
كيف ننسى لربنا آلاء　　أنت والله هذه الآلاء

***

فى قباء أسست مسجد تقوى　　فاهنئى ثمت اهنئى يا قباء
حرجت يثرب لتشهد بدرا　　لم تزين بمثله العلياء

هز أوتار قلبها فتغنت ... في جمال النبي يحلو الغناء
طلع البدر والصفاء علينا ... دمت يابدرنا ودام الصفاء
وجب الشكر والثناء علينا ... وقليل في مثل ذاك الثناء
أيهذا المبعوث بالأمر فينا ... لك في الله طاعة عمياء

***

بارك الله يوم هل فصلى ... عيد لقياه جمعة جمعاء
جئت والخلف علة لقلوب ... أكلتها الأحقاد والبغضاء
فوصفت الدواء أكسير حب ... عنصراه تناصر واخاء
أنت يا هجرة المدينة هجر ... للمخازي وللمعالي بناء
سكن الدين من أياديك عزا ... شاده الوافدون والنصراء
بشبا العزم غيل غول العوادي ... وبكفيه صيدت العنقاء
وبروح النبي ساد ولاء ... وبهدى النبي عم اهتداء
شاد حرية العقيدة صرحا ... أسسته الحرية الحمراء

***

يا لدين دستوره اقناع ... ودفاع عن نفسه لا اعتداء
لم تكن غير ذاك غزوة بدر ... شنها جاهلية جهلاء
يا عزازا في قلة لا ترعكم ... ترهات وكثرة جوفاء
حسب المصطفى الجموع ولكن ... بيد الله كانت الحصباء
ودعا شاهت الوجوه فشاهت ... واستحالت كأنها أقفاء

***

يا جنود السماء أديت عنها ... نصر دين له تدين السماء
وبتأييدكم ملائكة الأرض تلاشت من خوفها الأعداء
واذا خاصم الملائك في الله فيا خصمهم عليك العفاء
لذ طعم الحمام في طاعة الله شهيد قد كفنته الدماء
لو يعود القتلى الى الحرب يوما ... لتمنت أن تقتل الشهداء

***

هم سيوف آساد حرب على الخصم أشداء بينهم رحماء
أثخنوا خصمهم وشدوا وثاقا ... والأسارى في شرعهم نزلاء
من يرى حسن رعيهم للأسارى ... يتمنى أن يؤسر الطلقاء

يالها غزوة أثارت سيوف العدل فالظلم بعدها أشلاء
وعلى أس عدلهم بنت الدنيا فقامت حضارة وارتقاء

***

يا غزاة الأحزاب ماذا غزاكم ففررتم وأنتم الأقوياء
ذهبت ريحكم بريح أتتكم نكبتكم بشرها النكباء
وجنود من السما لم تروها مات رعبا من حاربته السماء
انه الله وحده هزم الأحزاب سبحان من له الكبرياء
سورة الفتح بشرينا بفتح هو للصابرين نعم الجزاء
فتح الله مكة لرسول الله قهرا وما أريقت دماء
فنجوم الاسلام بالفتح باتت تتلالا والكعبة الزهراء
لمقام الخليل جاءت من القبر تهنيه بابنه حواء
طهر البيت من تهاويل شرك أنكرتها جدرانه الغراء
واستوى فى سمائه الدين شمسا تتمنى شعاعها الجوزاء
أسمح الرسل ضم أسمح دين عن حنيف أتباعه سمحاء
ما سمعتم نداءه فى قريش وهى حيرى اطراقها استخذاء ؟
ما تظنون بى فقالوا أمانا من كريم آباؤه كرماء
فتعالى صوت النبوة فيهم قد أمنتم فأنتم الطلقاء

***

ذاك خلق القرآن صفح جميل ليس من به ولا خيلاء
أحكمت آيه فلما تلتها وقعت سجدا لها الحكماء

***

كتب الله باركت هذه الدنيا نجوما ضاءت بها الغبراء
جاء بالفرقدين موسى وعيسى وأضاءت عن هدى طه ذكاء
شرعة الله للأنام ونور هنأ المصطفى به الأنبياء
من تلا آيه ونال هداها — فهى والمصطفى له شفعاء

***

ان هذا القرآن خلق عظيم لنبى دانت له العظماء
يا جوادا تعلم الجود منه أن أرباب ماله الفقراء
ينفق البحر وهو ملح وتعطى وهى تبكى السحابة الوطفاء

وعطاء النبى عذب ضحوك فكأن المعطى هو الزهراء

***

يا حسام الحروب فى غير بغى قدست عدل سيفك الأعداء
رعت فى الله من يعاديك حتى خشيتك المنية الحمراء
يا عطوفا تعلمت منه أسمى عطفها الأمهات والآباء
ترحم البائسين حتى الأعادى فتنادى بعجزها الرحماء

***

يا حليما داويت بالحلم حمقا فارتدى فضل حلمك السفهاء
يا صفوحا ملكت بالصفح أحرا را نفوس الورى لديهم اماء
يا وفيا بوعده لا يبالى بحياة لو يقتضيها الوفاء
لك فينا تواضع ظن منه مستميحوك أنهم عظماء
لك زهد قد باع بالدين دنيا هى للناس فتنة وبلاء
تبرها لا تراه الا ترابا واللآلى فى شرعك الحصباء

***

كان من قبلك النساء متاعا فضلته عند الشراء الاماء
تورث الزوج باسمه وهى انسان كأن النساء بهم وشاء
لو درت ظلم نسلها حواء وأدته ولم تلد حواء
فجعلت النساء فى الناس ناسا هن بالدين والرجال سواء
ما بغير النساء كان رجال ما بغير الرجال كانت نساء
يا معير الضعيف عزا وجاها حسدت عز جاهه الأقوياء

***

زعموا باطلا زواجك تسعا لهو فلا قد تيمته النساء
كذبتهم خديجة زوجة العمر وما راع عيشها شركاء
لم تزوج لشهوة النفس لابل لتزيد الأشياع والنصراء
أو لشرع من السماء جديد فيه للناس رحمة واهتداء
ما خطبت الجمال والمال لكن نصرة الدين خطبة وبناء
بعد سن الخمسين والله واق كيف تلهو بقلبك الأهواء
يا زعيم الأخلاق حاشاك تهفو طأطأت رأسها لك الزعماء

***

أنت كنز من القداسات طهر ولو ان الأنام طين وماء

عشت ما عشت أشتهي لك مدحا ما نعتنيه هيبة وحياء
ياجمالا عن جانبيه جلال ما يقول الثناء والاطراء ؟
عند باب المولى وبابك لا ييأس راج ولا يرد دعاء
كل شعر لوجه هذين حق وسوى ذاك باطل وهراء

***

ما لشعرى ولم يكن أخيليا مسه عند مدحك الخيلاء
شرف الشعر طرق بابك حتى حسدت فيك شعرها الشعراء
تحفة من سواد عينى وقلبى وقليل منه لك الاهداء
ما تشكيت طول سقمى وأهلى فالتشكى كالكفر داء عياء
بل سألت المولى بمدحك برءا فجرى مسرعا الينا الشفاء

***

جئت يا مصطفى وكلى ذنوب وعيوب قد شال عنها الغطاء
كلنا يا رضا الاله اليه فقراء عن غيره أغنياء
فاسأل الله لى رضا ولأهلى فمن المصطفى يجاب الدعاء
وادع للمؤمنين يحيوا حياة لم ينلها من قبلهم أحياء
وتشفع فى والدى وفيهم يا شفيعا ما بعده شفعاء
وسلام عليك فى صلوات ذات بدء وما لهن انتهاء

القرآن الكريم

ذاك نور البدر هادي المدلجين وجلاء الشك أم نور اليقين
أو ضياء الشمس فى جلوتها قد تبدت فتنة للناظرين
أو صفاء الروح يحيى سرها ذلك المخلوق من ماء وطين
أومنى الأنفس فى محنتها أمل اليائس سلوان الحزين
أو طبيب سل فى مبضعه علل الأحقاد فى رفق ولين
بل كتاب الله فاستوصوا به أنه تنزيل رب العالمين

***

كان خلق المصطفى أصدق به من أمين جاءه الروح الأمين
خلفه المصحف فينا هاديا أين منه فلق الصبح المبين
أنجما نقرؤها أم أحرفا قد أضاءت فى وجوه القارئين

***

ياشفاء القلب من أوصابه وخدين النفس ان عز الخدين
قد نظمت الروح والقلب معا فيك ألحانا بها أنت القمين
عل هذى النفس تجلو ساعة بعض أسرار تحامتها الظنون
فترى القرآن فى ألواحه وترى ثم الكرام الكاتبين
وترى جبريل فى تبيانه يقرىء التنزيل خير المرسلين
ذاك صوت الله يا نفس سرى فشجا هذا الورى هل تسمعين ؟

***

أيها الشعر تقدم خاشعا وانظم الشعرى لهاجى الشاعرين
أوسع اللاهين ذما وكسا طيلسان الحمد شعر الذاكرين
مرحبا بالشعر يغدو بحره منبع الحكمة والسحر المبين
ورد الذكر معينا صافيا فشفى الغلة من هذا المعين

---

(١) رضخ له : اعطاه .

وانثنى ينضح مسكا عجبا   عرفه الايمان والخلق المتين
يا كتاب الله يا وحي السما   هاك من شعرى وحى الأربعين
كيف يقوى الشعر أن يرقى الى   كنهك المعجز أم كيف يبين ؟
كان سحبان فأمسى باقلا   رب عجز جاز جهد القادرين
أقفرت أبياته فارضخ (١) له   بالمعانى الصدق والقول الرصين ،

***

يا خطيبا بهتت حجته   بلسان الحق زور المشركين
فهت بالفصحى بيانا عجبا   فتألوا أنك السحر المبين (٢)
ثم خالوك جنونا ما لهم   كيف يقضون أسحر وجنون !
ثم قالوا بل حديث مفترى   أفترى مثلك رهط المفترين

***

هزىء الحمقى فحاكوا سورا   جعلتهم هزأة للهازئين
ودهى المفصح فيهم خرس   يا لخزى المفصحين المخرسين

***

أنشأ الأمى يمليك فما   خطك الكتاب الا ساجدين
شاه وجه الظن لا يحلم به   ما أمين الغيب فيه بظنين (٣)
آية الجبار من بدلها   أخذ الجبار منه باليمين

***

سائل الأنصاب ماذا كبها   هل تلت آيا فتلت للجبين (٤)
واسأل الاداب من شادلها   غيرك المعقل والحصن الحصين
واسأل الألباب من صرفها   فى السموات العلا والأرضين
صفدت فى السجن حتى حطمت   يدك البيضاء أصفاد السجين

***

تضرب الأمثال ضربا معجزا   يكشف الريبة عن وجه اليقين
فنرى الدنيا متاعا هينا   ينقضى فى مثل عمر الياسمين
ونرى الجنات فى روضاتها   تخطر الأبكار من حور وعين
برزت أشجارها مزهوة   بجناها الغض تغرى الآكلين

---

(١) ارضخ له : أعطه .
(٢) تألوا : حلفوا .
(٣) الظنين : المتهم .
(٤) فتلت للجبين : صرعت على جبينها .

ويكاد الحس يسقينا بها ... كأس خمر لذة للشاربين

***

جل أمثالك أن يوهنها ... ضربك المضعوف أو ضرب المهين
من بعوض أو ذباب قرنه ... كذباب السيف قطاع الوتين
أمرك الشورى فهل من جاحد ... أن شوراك أداة المصلحين
تهتف الدنيا بها فى نشوة ... أنت عيد الشعب عيد المالكين
شرعك الخالد قد سطره ... مرقم الدهر على رق السنين (١)
شاهدت عيناه دنيا فضله ... فى قرون آه لورد القرون

***

أين شرع الناس من شرع الذى ... خلق الناس وسوى العالمين !
شرعهم يمليه بغض وهوى ... والهوى والبغض غل الشارعين
شرعوا ظلما وسنوا غرضا ... ساء شرع الظالمين المغرضين
شأنهم فى كل يوم بدعة ... ألبسوها الدين والحق اليقين

***

عصبة الغى أغيا بعد ما ... بين الرشد الكتاب المستبين
جل دين الحق عن بهتانكم ... وتعالى الحق أن يرضاه دين
فطرة الخلاق ما أنصفها ... مشترى الحصباء بالدر الثمين
عالم الأسرار منذا بعده ... يصف الترياق للداء الدفين

***

لك فى القصة فن عجب ... تبرز الغائب فى زى الرهين
طفق التاريخ يعدو خلفه ... مسرف الظن فخانته الظنون
واستبانا موجزا أو مطنبا ... يا لعى الموجزين المطنبين
تقطع الدنيا به فى وثبة ... ونرى باللمح آلاف السنين
ونعيد الدهر طفلا لاهيا ... يتنزى فى حجور الأولين
قصص يروى لنا أم مشهد ... سحره قيد عيون الناظرين
ينفض الأكفان عمن ذهبوا ... لنرى بالعين دنيا الذاهبين
فنرى آدم من جنته ... خارجا يلعن ابليس اللعين

---

(١) المرقم : العلم .

ونرى نوحـــا طغى طـــــوفانه فطـوى عمـر الطغاة الســاخرين
ونرى يعقــــوب فى محنتـــه راجيـا بالصـبر عقبى الصـابرين
ونـرى فرعـــون فى طغيــانه ونرى مـوسى وسـحر الساحرين
سـحر السحر فأهـوى ساجدا واحتوى فرعـــون قبر المغـرقين

***

كم قرون أصـبحت أجيالهــا ثم أمســت مثــلا للآخـرين
صـــور الفـرقان منهـا عبـرا كـدن يلمســن بأيدى اللامســين
صـــدق الله فهـــذا ذكـره فيـــه نور وهـدى للمتقـــين
هـو ركن الدين والدنيــا معـا فاخطبوا شـوراه فى دنيـا ودين

***

حوطـــوا للــدين عريســته وازجروا الأكلب أن تغشى العـرين
أحفظـــوا القــرآن أبنـاءكم يحفظ القـرآن ديـن الحافظـين

***

أيهـــا المشـتاق نجـوى ربه خاطب الله بـــه فى كـل حـين
واعبـــد الرحمــن فى قـرآنه تعـــد بالقرآن زين العـــابدين

سيرة صلاح الدين
يوسف بن أيوب

(١)

هذا مقام العلا والفخر والطرب   فغننا الشعر يا صناجة العرب
طرب لنا واملأ الدنيا به نغما   وحل منه صدور الصحف والكتب
وهز بالفخر عطف الشرق فى عجب   كم فى حياة صلاح الدين من عجب
يا طالما امتحنت بالهم همته   فما اشتكى فى سبيل الله من نصب
الصبر ميراثه والصبر عنصره   صبر ابن أيوب فى لحم وفى عصب

***

أخلاقه نبع طهر بالتقى غدق   مسك كرحيق الخلد منسكب (٢)
مد الحديث مع القرآن كوثره   يا طيب ما فجر التنزيل من أدب
الحلم عدته والعدل سدته   والجود شرعته عفوا بلا طلب
والزهد فى المال والاموال قبضته   يريك نفسا لغير الله لم تثب
زهادة تحقر الدنيا وزينتها   حتى تسوى بين التبر والترب

***

وخشية علمت عينيه أن تكفا   تقول يا قلب فى حر الدموع ذب
قلب لدى الله قد ذابت صلابته   وفى لقاء الاعادى قد من صلب

***

لو لم يتح مجدك الموروث خيراب   وجدت فى مجدك المكسوب خيراب
أباحك الدين لما صنته لقبا   فاهنأ وته يا صلاح الدين باللقب

***

الفاطمية سامته تشيعها   وألبسته لبوس الشك والريب (٣)
أضحى المعز لدين الله خاذله   يا ضلة الناس فى عنوانه الكذب

---

(١) قيلت هذه القصيدة اثر محاضرة فى صلاح الدين الايوبى بمدرج دار العلوم .
٢) يشير الى كمال أخلاقه العالية .
(٣) يشير الى احيائه مذهب أهل السنة ، وقضائه على مذهب الشيعة الذى اتخذ الفاطميون بناء الازهر اداة لنشره .

قام الدعي الى الزهـــراء منتسبـا   هـل ظن أزهـــره زكاه فى النسب
هم جادلوهفلم يلحن بحجتـــــه   لدىالخصومةغيرالسيف والذهب(١)
قال اشهدوا أن هذا فى الوغىنسبي   وأن هذا وهذا فى العلا حسـبي
ما زالت الشرعة الغراء تطمســـها   يد الفواطم فى صدر وفى كتب (٢)
حتى أجد صـــلاح الدين دارسها   وألقم الشيعة الحمـقا فم العـطب

***

روى الحديث وخيل الحرب مصغية   تلتـذ قول رسول الله عن كثب (٣)
يروى لها وسيوف الحق شـــاهدة   يعجبن من ساحة التأديب والأدب
ما ضر لو ســار دون الزحف منفردا   قد كان من عزمه فى جحفل لجب (٤)

***

سيف من الله يخشى السيف بطشـته   موفق الضرب لم يفلل ولـم يخب
قد جـــردته يد المولى على عصب   يبتن للدين نهش اللحـم والعصـب
جنت ضريبتـــه من هوله فأتت   مجنونة وهى تبغى الجد فى الهرب
يذيقـــــها نار حـــديه ورونقه   فتســـلم الروح بين الماء واللـهب

***

بيضت بالكـــرد وجه الكرد فأتلقوا   كواكبا فى سماء المجد والحسب (٥)
ردوا الحياة على الاســلام وابتهجوا   بالموت محتســـــبا فى اثر محتسب
أعيا جهادك قوما أبطنوا حســــدا   وأظهروا عجـــبا أدعى الى العجب
أينصر الدين كردى فقـــــل لهم   الدين لله لا للكـــرد والعـــرب

***

يا يوم حطين ما بدر بناســـية   أنباء فتح روتها ألسن القضب (٦)
فيها وفيـــك بنى التـــوحيد دولته   وقوضت دولة الأصنام والصلب
يوم دجا وصلاح الدين مبتســـم   للحرب فعل رســـول الله فى النوب

(١) يلحن : يفطن ، وهو اشارة الى مطالبه علماء مصر اياه أن ينتسب فلما عجـز لجأ الى الترهيب والترغيب بالسيف والذهب .
(٢) الشرعه : الملة .
(٣) يشير الى شدة عنايته بالحديث حتى انه ليرويه بين الصفين .
(٤) الزحف : الجيش الزاحف ، وهذا اشارة الى استبساله ضد الصليبيين . جحفل لجب : جيش كثير الجلبة والصياح .
(٥) الكرد بالفتح : طرد العدو وبالضم : هم المنسوب اليهم صلاح الدين وهذا اشارة الى شرف الكرد بانتسابه اليهم ومشاركتهم اياه فى جهاده .
(٦) يشير الى يوم حطين وهى أكبر معركة فاصلة بين صلاح الدين وبين الصليبيين . وقد كانت فتح باب انتصار مستمر له عليهم .

ما فاته جمع فى الحـــرب أو خطب — الا اعتلى السيف عنه منبر الخطب (١)
يعالج الضرب وسط الحرب فى شغف — كأنما هـــو فى لهـــو وفى لعب
قد ضرســـته فلم تضرس له همـــم — بل أسكنته رحاها موضع القطب (٢)
من باع فى دينه دنياه محتســـبا — فالضرب فى دينه أشهى من الضرب (٣)
مشى فحرك للتـــاريخ أنمـــلة — خطت سجلا بذوب القلب لا الذهب

***

وأقبل الجمع والطـــاغوت رائدهم — يزهى بأجناده فى البيض واليلب (٤)
حشد على الزور ساموا الحق خسفهم — والحق مهما وهى الموعـود بالغلب
ظلـــوا يكـــيدونه والله كائدهم — كيدا يحطم بيض الهند بالقصب (٥)
ترى هنـــالك حزب الله فى طرب — وحزب ابليس فى هـــم وفى نصب
تقابل العدل والعـدوان فالتحـــما — وشبت الحرب بين الصدق والكذب

***

قد أقسم السمر أن يشرقن من دمهم — وأقسم البيض أن يتخسن باللبب (٦)
وآلت الخيل والهيـجاء ملعبـــها — لاتبرح الحرب والاسلام فى حرب (٧)
عن خيل بدر روت أنسابها فمضت — فى نصرة الدين تزهى فيـه بالنسب.
فأين أعوج أين الســـكب كى يريا — جياد نسلهما تمشى على السحب (٨)
تســـاءل العين ان كرت لغايتها — أخطرة الشهب أم ذى خطفة الشهب (٩)
خيل عراب تناجيـــها عروبتـــها — عقرت ان لم تصـولى دينى العربى

***

الله أكبـــر قد هدت بروعتـــها — قوى الصـــليب وكبته على الترب

---

(١) اشارة الى أنه كان يباغت الاعداء وقت صلاة الجمع بينما يدعاء الخطباء على المنابر .
(٢) ضرسه : أحكمه . تضرس : تهتز .
(٣) دينه فى السطر الثانى : شأنه وأمره . والضرب بالتحريك . عسل النحل .
(٤) الطاغوت : رئيس الصليبيين . البيض : الخود . اليلب : الدروع . وهنا اشارة الى التقاء الجمعين فى ساحة الوغى .
(٥) بيض الهند : السيوف . القصب : الذراع .
(٦) السمر : الرماح . اللبب : موضع القلادة . وهنا فى البيت الثانى اشارة الى سيوف الله وخليل الله .
(٧) الحرب بالتحريك : الضيق .
(٨) أعوج : اسم فرس تنسب اليه الخيل الجياد . السكب : اسم فرس رسـول الله صلى الله عليه وسلم .
(٩) الشهب : مسكنة جمع أشهب وهو الفرس الذى يشوب بياضه سواد ومحركة بالضم : جمع شهاب .

حروفها نغـــم فى أذن قائلــها وعاصف تنذر الاحزاب بالعــطب
كأنها اذ يصـــيح المســلمون بها صــواعق اغتصبت أرواح مغتصـب
يا صيحة الحق لا تخشى علـيه أذى هبت أسود الوغى من غابها الاشب(١)
وفتحت لك أبواب الســما ومضت ملائك الله تبرى الهــام بالقضب
بشرى فتوح جلا المولى كواكبــها للمؤمنين بمــا عانوا مــن النصب
مصابرين يضيق الصـــبر دونهم ذرعا ويعجب منـــهم أعجب العجب
والصبر فى الحرب أقوى عدة كتبت من سورة الفتح آيا بالدم السرب(٢)

***

قــوم شرى الله بالجنــا تأنفســهم واستنسخوا عقدهم فى محكم الكتب
موسى وعيسى مع الهادى شــهودهم ما أصدق العقد أن يشهد عليه نبى !!
كيف اشتريت نفوســا أنت مالــكها يا عبد فضلى سل فضلى عن السبب
فيا لها صـــفقة للقــوم رابحة تغرى المبايع بالتسليم والطــلب

***

رأوا هنالك رأى العين جنتـــهم فاستعجلوها بضرب الهام والصــلب
لله نشـــابة لم يلهـــهم نشب والنصر فى رنة النشاب لا النشب(٣)
هناك ساء صباح المنــذرين بما ساءوا وضاق لديهم كل مضــطرب
تغلغل الذعر فى أسرابهم فغدوا من ضيقهم يحسدون الوحش فى السرب(٤)

***

خالوا الصليب صليبا يوم بأســهم والصلب فى راحة الابطال كالقصب (٥)
ما زال قبر شعيب شــاهدا عجبــا يقص ما شاهدت عيناه من عجب (٦)
بالقـــتل ظن أديم الارض مذبحــة بالاسر أبصر هول الحشر عن كثب(٧)
جميعهم صار شتى فى مصـــارعهم فالارض متخمة والسيف فى سغب (٨)

---

(١) الاشب : ذو الشجر الشائك الملتف .
(٢) السرب : السائل .
(٣) النشابة : جماعة الضاربين بالسهام ، النشاب : السهام . النشب : المال .
(٣) السرب : جحر الوحش .
(٥) صليبا : صلبا . بأسهم : حربهم . القصب : نبات ذو انابيب مثل « الغاب » .
(٦) قبر شعيب : وموقعه بجوار حطين وهنا اشارة الى ما شاهده قبر شعيب صلوات الله عليه من قتلى وأسرى فى جيش الصليبيين .
(٧) كثب : قرب .
(٨) جميعهم : جمعهم . السغب : الجوع .

سيق الاسارى وذل الاسر حارسهم   يشكون غلين عل الخوف والسبب (١)
لو أطلقوا قيدوا بالوهم واتهموا   مما بهم موضع الاغلال فى الرقب (٢)
ما ضر أن لم تدع أغلالهم طنبا   سرادق الدين مشدود بلا طنب (٣)
هم أوقدوها لظى صاروا لها حطبا   فلا ترى فيهمو الا أبا لهب
يا يوم حطين قف الدهر فى خطر   فمن تباركه تخلده على الحقب
قد كنت باب فتوح غير مؤصدة   حتى جلا الحق ما غطاه من حجب
ما زال عزم صلاح الدين ممتطيا   جناحى النسر من ارب الى ارب (٤)
لم يترك بلدا بالشوق منجذبا   الا الى بلد بالشوق منجذب
فتلك صور بصور النصر نافخة   كأنما ترسل البشرى الى حلب (٥)
وهذه القدس تشكو ظلم غاصبها   وينشج الدين فيها غير منتحب (٦)
حتى اذا الفتح دانى صاح صائحها   تكشفت كربتى يا فارج الكرب
فزلزل الجمع واستكت مسامعهم   وصاح شيطانهم يا ساعة اقتربى (٧)
ولوا وجوههم شطر الصليب فهل   كفاهم نصبا يا عابدى النصب (٨)
تشاوروا فاذا الشورى تصيح بهم قوموا اسألوا الضب يحلل عقدة الذنب (٩)
وقال طاغوتهم لما أحيط بهم   يا عدة النصر كونى عدة الهرب
فأذن الفتح والاسراء ليلته   أعجب به عجبا قد جاء فى رجب
أتى أتيا صلاح الدين مقتحما   لا يحفل الفرق بين السهل والهضب (١٠)
حط الصليب وللتكبير روعته   عن قبة الصخرة القدسية الترب
سلوا النواقيس كانت قبل صادحة   ما بالها خرست فى ليلة الطرب
لعلها خشيت تكبيرهم فغدت   رنات ذى ضرب أنات مضطرب
ذابت معادنها مما ألم بها   وهى التى بلظى النيران لم تذب

---

(١) الغل : ما يغل به اليد والعنق . السبب : الحبل .
(٢) الرقب : جمع رقبة .
(٣) الطنب : حبل الخيمة ، وهو يشير الى بعاد الاطناب لغل الاسرى بها فى موقعة حطين .
(٤) ارب وارب : هما بمعنى الحاجة .
(٥) صور : مدينة بالشام والمراد بالبشرى الموق .
(٦) الناشج : الباكى يغص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .
(٧) استكت : صمت .
(٨) النصب نصبين : حجر يذبح عليه تقربا للالهة .
(٩) يشير الى قولهم : مسألة أعقد من ذنب الضب .
(١٠) الاتى : السيل الجارف . الهضب : جمع هضبة .

بات النبيـــون والاقصى نديهـــم يهنئون رســــول الله بالغـــلب
وثم أقبـــل عيسى فى مهــــابته يبرا الى المصطفى من فعله العصب (١)
هم حاولوا باسمه أن يحرزوا لقبا فى الفضل شتان بين الاســم واللقب
هو الطـهور فمـــا أتاه عن دنس هو السماح فما أســـماه عن شغب
ان المســيحية البلـــقاء فى حسب هى الحنيفية الغـــراء فى نسب (٢)
لكنـــهم ألبســـوها ثوب راهبة وأسلموها عصا الارهاب لا الرهب (٣)
حتى سلبت «صلاح الدين» أنفسهم ونوبها وعصاها حليـــة السـلب (٤)

***

فالبس رضا الله فى الجنات والق بها تحية المصطفى فى صـــحبه النخب
هو السماء بنى الاســـلام فاتخذوا منه لها سببا ناهيـك من ســـبب
خذوا البطولة عنه والجـهاد معـــا فانه فيهما من أضـــخم الكـــتب

---

(١) يبرا : يبرا أى يتبره .
(٢) البلقاء : ما اربعع بحجلها الى محديها .
(٣) الارهاب : الاخافه . الرهب : الخوف .
(٤) الســلب : ما يسلب .

الغد المحجّب

كم سألنا الغد ماذا فى الوطاب ... ولسان الغد عى بالجواب
وجهدنا أن نرى صفحته ... فتصدى دوننا ألف حجاب
عجبا للغد يتلو عجبا ... انما أمر غد أمر عجاب
كلما قلنا ازجروا أطياره ... أودعت أسراره صدر عقاب
حار فيه الناس جارا أعجما ... يحذق الصمت ولا يدرى الخطاب
غامض السر وان لا مسته ... تجهل الروح وان مس الاهاب
نازل فى كل يوم راحل ... ما طوى الرحل ولا حط العياب
يا له ضيفا قراه أبدا ... أنفس الشيب وأرواح الشباب
شمسه يحفر فيها رمسه ... وكذا الدنيا مجىء وذهاب

***

مستكف الغد رفقا لم نصب (١) ... فقصارى العين منه أن تصاب
جحر ضب قد أضبت (٢) شمسه ... هل ترى الزرقاء(٣) جحرا فى ضباب؟

***

ان هذا الغد بحر زاخر ... لجه الصاب أو الشهد المذاب
هم فلك فطوى آذيه ... ومضى آخر يطويه العباب
أو هو الليل : نجوم تزدهى ... وشهاب ينتهى اثر شهاب
أو هو السيف يسوى نازلا ... بين غمدين : قراب ورقاب
بل هو الغيب المهول المرتجى ... بل هو الحظ نعيم أو عذاب

***

كم عروس فوفوا أثوابها ... فتولى غدها شق الثياب
خضبوا بالمسك كفا لو دروا ... بدلوها دم دمع بالخضاب

---

(١) استكف الشىء : استوضحه بأن وضع كفه على حاجبه كمن يستظل .
(٢) أضبت الشمس : حجبت بالضباب .
(٣) زرقاء اليمامة أو العين .

وجلوها شمس حسن دلكت (١) ... أكذا كل طلوع لغياب
ثم غنوا لحنها حتى قضت ... منه نحبا فاذا اللحن انتحاب
زوجوها القبر فى زينتها ... لتقضى فيه أوطار الشباب
ما تراخى القبر عن جلوتها (٢) ... ملأ القبر يديها بالتراب

***

وكمى زلزلت عزمته ... ما حوى الغاب وما ضم القراب
فابنة الريح (٣) نراه نسرها ... وتراه زيدها الخيل العراب
ينظر الموت مغيظا مشفقا ... من عفاب تتحاماها العقاب (٤)
قد طواه الغد فى شكته (٥) ... ودباب السيف ماذب الذباب

***

ومليك بس الجن له الملك ... والريح جرت حيث أصاب (٦)
فاسألوا بلقيس من من سبأ ... أحضر العرش ومن ألقى الكتاب ؟
ما احتواها الصرح حتى أسلمت ... عز من أسلم للحق وثاب
وأجد الغد هدما فغدا ... ذلك الصرح سواء واليباب
فسلوه هل عدا عمر الندى ... قبلته شفتا الشمس فذاب ؟
كم أقام الغد ما تحت الثرى ... وأمال الغد ما فوق السحاب
فنجا المعتل فى كبرته ... وقضى السالم فى شرخ الشباب
واستراح العبد من ربقته ... وشكا السيد أغلال الرقاب

***

ليس يدرى العقل ف حكمته ... أله فى الغد حظ من صواب
ليس يدرى الليث فى ربضته ... أيراه الغد ذا ظفر وناب
ليس يدرى الجيش فى عدته ... أتقيه فى الغد الحرب (٧) الحراب
ليس يدرى الصب فى خلوته ... أبديم الغد نعمى الاقتراب
ليس يدرى الثغر فى ريقته ... أيلاقى الغد معسول الرضاب
ذئب ختل لا يحابى ظفره ... من تولى عمره حتى الذئاب

---

(١) دلكت : اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء .
(٢) جلوتها : الجلوة بالكسر : ما يعطى للعروس وقت الجلاء .
(٣) ابنه الريح : الطائرة .
(٤) عفاب : جمع عفه .
(٥) شكته : سلاحه .
(٦) أصاب : أراد .
(٧) الحرب الشديد .

عالج الانســان أبــواب العــلا وتخطــاهن بــابــا اثــر بــاب
ذلك المخـــلوق مـــن طين مضى ينطــق الطين ويأتى بالعجـــاب
خشــبته الريــح طــيرا بشرا نزجــر الريح ويستاق السحاب
وشـــكاه النجــم عينا رصـــدا ترقب النجــم فلا تخطى الحساب
وسرى في الكون صوتا أحــدا ليس يثنيه جبــال أو هضاب
فاذا الدنيــا لديــه رحلـــة واذا المريــخ من كفيــه قــاب

***

ثم كــان الغــد طلســـما فهــل حل ذا الطلســـم أو شاب الغراب ؟
دق باب الغـــد حتى مســـه دون باب الغــد نصـــب وعذابه
هـــو باب الغيــب لا يفتحــه غير مــولى عنــده أم الـــكتاب

***

فاطــو ذكر الغــد يا طيف كرى أســفر الصــبح لعينيــه فغــاب
ولــد الناس فرجـــل وطئــت هذه الدنيا ورجــل فى الــركاب
كـــل حى بعــد حين مــيت عاش عمر النسر أو عمر الحباب (١)
فاحذر الدنيــا ولا تســكن لها يا ترابا ماشــيا فــوق التــراب

***

نافـــة تنتـــج آلافــا فــلا تسأم الوضع ولا تبغى السقاب (٢)
حلبـــوها أشــطرا لــكنهم لم يفيــدوا الحزم من هذا الحلاب
ورأوها جيفـــة فاســـتكلبوا حدثوا الصــدق أناس أم كــلاب ؟

***

انما الأحيــاء مـــوتى غرقـــوا فى ملاهى ذلك العيش الكــذاب
نومهـــم مــوت فأما اســتيقظوا فشـــياه نمن عن خــتل الذئاب
خطبــوا الجــدة فى دنيا البــلى نشدوا العمران فى دار الخــراب
فاســكنوا الــدور قبــورا زورت انما أكفانكــم تلك الثيـــاب

***

ســاعة الهــول أتــت أشراطهــا أيهــا الجــانى فأيــان المتــاب
قد دعــا الحــق فللحق استجب يســتمع منك الدعــاء المستجاب
وارقب الأوبة واســـجد واقترب فى خشـــوع فالى الله المـــآب

---

(١) فقاقيع الماء .
(٢) جمع سقب وهو ولد الناقة .

لا تقـــل عتبك مر فاقتصـــد تعذب العتبى (١) اذا مر العتـاب
لا تهبـــن بأسرار غـــد ما عهدنا الهيم (٢) يرويها السراب
واغتبط واجهـل مصـابا فى غد انما الحكمـة فى جهل المصـاب
أيها الغيب عن النـاس احتجـب شق عيش الناس لو شق الحجـاب

(١) الرضـا .
(٢) الهيم الابل العطاش .

الـــرّاحُ والفــراحُ

اقرع الكـــأس يا نديم بكـــأسى　واســـقنيها حتى تمـــيل برأسى
وتوفر على الســـــلاف وأنفـــق　فى سبيل الســلاف آخر فلس (١)
لا تبال الحســاب واشرب وغـــالط　قل لخمـــــارها ثلاثا لخمس (٢)
وتحـــــدث على المدام حـــديثا　هو بعـــد المدام شـــهوة نفسى
خل عنــــك المــــلام لست أبالى　أن أبيــــع الدنى بمجـــلس أنس
يخلس الدهر من بنـــــيه سرورا　فلتــــكن همتى مسرة خلس (٣)
ان عيشى أن تطلع الكأس شمســــا　وتظل الافواه مغـــرب شـــمس
ما لدنيـــا همـــومها صـــاحيات　من أخى الهـــم غير ســـكر ونعس

＊＊＊

فاســــــقنى يا نديم حتى ترانى　مـــن خبـــالى أظن يومى أمسى
وترانى أنفدت صـــبر النـــدامى　بهـــــراء ما بين جهـــر وهمس (٤)
حلت الراح عقـــدة من لســـــانى　فتغــــــنى حتى بأسرار عرسى (٥)
ودعت لى الامال حتى اســـتجابت　واستقادت صـــعابها غير شمس (٦)

＊＊＊

فبنت لى فوق الهواء قصـــــورا　أين منهـــا آطام عـــرب وفرس (٧)
بت فيـــها دون الملوك مليـــكا　طوح التاج وارتمى تحت كرسى (٨)

＊＊＊

كيـــف أخشى الوغى وكأسى أغنت　فى لظاها غناء ســـيف وترس (٩)

---

(١) السلاف : الخمر .
(١) لخمارها : لساقيها .
(٣) يخلس الدهر : يسلب .
(٤) انفدت : افنيت .
(٥) عرسى : زوجى .
(٦) شمس : جمع شموس وهو الفرس يمنع ظهره .
(٧) آطام : جمع اطم وهو القصر .
(٨) طوح التاج : قذف .
(٩) الوغى : الحرب فى لظاها ، فى نارها .

أو أهـاب الطعـان كرا وفرا   وجوادى يوم الطعان ابن عرس (١)
كم مشـيح جـدلته بالامـانى ولو انى ألقـاه عنتر عبس (٢)

***

يا نديمى أزلف الى حبيبـا   أجتلى البدر فيه سـاعة أمسى (٣)
هو ركنى مهـما استطفت بركنى   كان اثمى فى تـرك لثم ولمس (٤)
وهـو ربى ما لوحتني الحميا   أرشف البرد من مراشف لعس (٥)
دينى الخمر لا صـيامى وحجى   وزكاتى ولا صـلاتى خمسى
والهى هـواى اما أشـاهد   شمس حسن أسجدلها عبدشمس (٦)

***

قم بنـا يا نديم نمشى الهـوينى   ونسرح عيـوننا بعـد حبس
آه مالى قد لاثت الراح عقـلى   وترجحت بين حدس ولبس (٧)
خانتى الطرف لست أدرى أهـذا   مأتم قام أم معـالم عرس (٨)
وشـخوص للانس فى زى جن   أم شـخوص للجن فى زى انس
ما لهذى الاشـياء منتكسـات   أترانى أمشى على آم رأسى (٩)
ما صياح الصـبيان خلفى وجذبى   من ثيـابى على أصبت بمس (١٠)
ان يكن ذاك فاعزبى يا حيـاتى   واحفرى يا فئوس حفرة رمسى (١١)

***

هكذا الراح تنصب الراح سـوقا   لتبيع الأخلاق بيعة وكس (١٢)
خسر الغـالين دينـا ودنيـا   من يبع راضـيا نهاه بكأس (١٣)

---

(١) ابن عرس : الدويبة المعروفة بالعرسة .
(٢) كم مشيح : المشيح البطل الذى يحمى ما وراء ظهره . جدلته : صرعته على الجدالة وهى الارض .
(٣) ازلف : قرب . اجتلى البدر : انظر اليه .
(٤) ركنى : الركن ما يلمس ويقبل عند الطواف فى الحج من جدر الكعبة . استطفت : طفت .
(٥) لوحتني : غيرتنى من شدة العطش . الحميا : سورة الكأس . البرد : البارد . لعس : جمع لعساء ، واللعس سواد محبوب فى الشفة .
(٦) اما أشاهد : أن أشاهد .
(٧) لاثت : افسـدت . الراح : الخمر . وترجحت : تذبذبت . حدس : تخمين وظن . لبس : شك .
(٨) الطرف : العين .
(٩) منتكسات : منقلبات . أم راسى : دماغى .
(١٠) على : لعلى . أصبت بمس : بجنون .
(١١) فاعزبى : فاذهبى وغيبى . رمسى : قبرى .
(١٢) الراح الاولى : الخمر . الراح الثانية : جمع راحة وهى الكف . بيعة وكس : بيعه نقص وغبن .
(١٣) نهاه : عقله .

فتن الناس للنواسي شعر ... كل بيت بناه ماخور رجس (١)
رب شعر أحرى بمحو ودرس ... بذ شعرا أحرى بحفظ ودرس (٢)
بين كأس وقينة وغلام ... لابس الاثم عاريا بعد لبس (٣)
زعم الكأس كوكبا حين دارت ... ان تكن كوكبا فكوكب نحس
ورأى الراح فى الزجاجة شمسا ... ما لها فى زجاجة النفس تغسى (٤)

***

سكر الشرب خوف هم ويأس ... فترددوا ما بين هم ويأس (٥)
حسبوها جهلا عصارة نعمى ... وهى لو أدركوا عصارة بؤس
نزف الغول عقلهم ساء صنعا ... من شرى جوهر العقول ببخس (٦)
خسة فى الطباع ما أن تراها ... تشتهى غير الأسف الاخس

عجبا كيف يدمن الشرب شربا ... ولها فى اللها تباريح مس (٧)
لم أذقها الحياة بل حدثتنى ... عبسة فى الوجوه عند التحسى (٨)
زعموها كستهمو لون ورد ... فسلوه ألم يحل لون ورس (٩)
نح عنى عقارها لست أرضى ... عقر حسى يأيها المتحسى (١٠)

هاته بالكبير ماء قراحا ... فيض سيب القدوس من عين قدس (١١)
واسقنيه صرفا بغير مزاج ... ينتشى به مزاجى وحسى (١٢)
دنس العرض واستحل حراما ... من يزوج ماء طهورا بنجس (١٣)

---

(١) النواسي : أبو نواس . الماخور : بيت الريبة . رجس : قذر واثم .
(٢) احرى : اجدر . بمحو ودرس : الدرس الثانية : معناها الدراسة .
(٣) قينة : جارية مغنية . لابس : خالط . الاثم : الذنب . بعد لبس : بعد أن كان لابسا مستترا .
(٤) تغسى : تظلم .
(٥) الشرب : الشاربون . فترددوا : فهلكوا .
(٦) نزف : نزح وانفد . الغول : المادة المسكرة (الكؤول) . من شرى : من باع . ببخس : بقليل زهيد .
(٧) يدمن : يديم . فى اللها : جمع لهاة وهى هنة عند الحلقوم . تباريح توهج وتوقد .
(٨) التحسى : الشرب .
(٩) الم يحل : ألم يتحول . ورس : نبات ذو لون اصفر .
(١٠) العقار : الخمر ، سميت بذلك لانها تعقر العقل .
(١١) قراحا : صافيا لا يشوبه شىء . القدوس : الله تعالى مأخوذ من القدس وهو الطهر .
(١٢) صرفا : لم يمزج . المزاج الاولى : ما يوضع للمزج والخلط . والثانية : ما ركب فى الانسان .
(١٣) دنس العرض : لوثه .

فهو ابن السحاب أطيب عرس   وهي بنت الحانات أخبث عرس (١)
هل أسوى ما بين نار وماء   في احتساء وبين صاب ودبس (٢)
تشرب الراح نهمة الشاربيها   ويجد القراح قوة بأس (٣)
فهي موت الاحياء وهو حياة   لشتيت الأموات من كل جنس

فاقدروا مالكا وما قال فيها   فلظى مالك لكل مخس (٤)
هي أم الآثام من أرضعته   ألقمته ثدي ضلال ورجس
وهي باب الشيطان ان تفتحوه   يمش منكم في واضح الدرب دهس (٥)
ليس ينمي أبناء أم المخازي   دين شيخ ودين حبر وقس (٦)
حطم الكأس خلقنا وقوانا   فأفيقوا وحطموا كل كأس

ليت لي في البيان عند جهادي   شعر حسان أو بلاغة قس
لأسوم النكراء حربا عوانا   يتحامى وطيسها كل نكس (٧)
جل شعري لا أبتنيه بيوتا   للدنايا وما أبرىء نفسي
حسبي الله ما حسامي وترسي   في جهادي سوى يراعي وطرسي

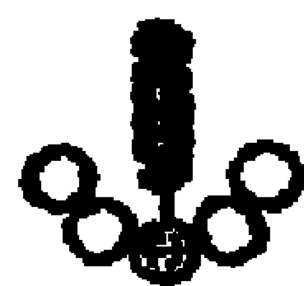
---

(١) العرس : الزوج أو الزوجة .
(٢) في احتساء : في شرب . صاب : عصارة شجر مر . دبس : عسل نحل .
(٣) النهمة : بلوغ الهمة في الغاية . الشاربيها الذين يشربونها . يجد : يوجد . البأس : الشدة .
(٤) فاقدروا مالكا : اعرفوا قدره . لظى : جهنم . مالك الاولى : الامام المعروف والثانية اسم خازن النار . المخس . الذى يفعل الخسيس .
(٥) الدرب : الباب الواسع للطريق . الدهس : الطريق السهل لا تراب فيه ولا رمل .
(٦) ينمى : ينسبهم اليه . أم المخازى : الخمر . حبر : عالم اليهود . قس : عالم النصارى .
(٧) النكراء : المنكر وهى هنا الخمر . أسومها حربا : أذيقها حربا . الحرب العوان : المدخول فيها مرة بعد مرة . يتحامى : يبتعد . الوطيس : التنور . النكس : الضعيف الذى لا خير فيه .

الفهرس

الشعر :

6716
S1A



مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)